القوة الهادئة

غيِّر طريقة تفكيرك يتغيَّر العالم من حولك

إعداد

محمد بن عبدالله بن محمد الفريج



ح مكتبة العبيكان، ١٤٣٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الفريح، محمد عبدالله

القوة الهادئة./ محمد عبدالله الفريح.- الرياض، ١٤٣٤هـ

٣٢٨ ص؛ ١٤ × ٢١ سم.

ردمك: ٦-٥١٥-٥٠٣-٦٠٣-٩٧٨

١- الوعظ والإرشاد أ. العنوان

ديوي ٢١٣ ١٤٣٤ / ٣٣٣٤

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م

الناشر العبيكان Obeikan للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض - المحمدية - طريق الأمير تركي بن عبدالعزيز الأول

هاتف: 4808654 فاكس: 4808095 ص.ب: 67622 الرياض 11517

موقعنا على الإنترنت

www.obeikanpublishing.com

متجر العبيكان Obeikan على أبل

http://itunes.apple.com/sa/app/obeikan-store

امتياز التوزيع شركة مكتبة العبيكان Obeikan

المملكة العربية السعودية - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع شارع العروبة

هاتف: 4160018 /4654424 - فاكس: 4650129 ص. ب: 62807 الرياض 11595


بسم الله الرحمن الرحیم



إهداء

إلى من دفع حياته ثمناً لكرامته

أهدي هذه الأسطر



فِهرس المحتويات

الموضوع | الصفحة

توطئة ١٣

الحاجّة كُرمة ١٥

بيل جيتس ١٨

قتال من نوع آخر ٢١

شاحنة النفايات ٢٥

قائمة الحساب ٢٧

دورة المال ٢٨

عفو جميل ٣٠

ترميم النفس ٣٢

غرفة ٣٩ .... ٣٦

فكر قبل أن تعمل ٣٩

فضيحة على الملأ ٤٦

فصاحة أعرابي ٤٨

عبء المسؤولية ٥٠

كلمة باطل ٥٣

الآراء لا تدوم ٥٥

عذر أقبح من ذنب ٥٩

لا تتسرع ٦٠

الحجّ.. ٦٢

قانون الزواج..................................... ٦٩

أريد أن أكون تلفازًا ٧١

شعب من الحمير................................ ٧٣

شخصية مبادرة................................. ٧٨

شاب جامعي..................................... ٨٣

سيدة العربة ٨٦

الحظ الحسن..................................... ٨٨

ركن شديد ٩٠

المعز المذل ٩٣

برود الأعصاب ٩٩

سؤال بوليسي.................................. ١٠٠

من ركل القطة؟ ١٠٢

لهذا قتلوه....................................... ١٠٤

التفكير بخلاف المألوف ١٠٧

مبتعث مسلم.................................... ١٠٩

كن مؤدبًا ١١٣

القول اللين ١١٥

السر.. ١١٦

أريد الإجهاض................................... ١١٧

ذكاء صياد ١١٩

لماذا أدعوه؟ ١٢٢

الولد والشجرة ١٢٧

التهجد ١٣٠

هل تملك طائرة؟ ١٣١

الكلمات السحرية.. ١٣٢

ثمن الحياة ١٣٤

الوهم.. ١٣٧

تزوج سرًّا.. ١٣٩

مكمن الفجوة.. ١٤١

نُؤَجَرُ ويسلمونَ؟ ١٤٧

شجرة آن فرانك.. ١٤٩

الصرصور.. ١٥٣

دقيقة فقط ١٥٧

بـذر التفاح.. ١٦٤

المحاكمة.. ١٦٦

أوهام الرجال ١٦٩

النـار.. ١٧٥

تزحلقت ١٧٦

الابن الأعمى.. ١٧٧

بألف رجل ١٧٩



العصفور ١٨٣
الوعاء الذهبي........................... ١٨٥
الموظف ١٨٧
الكيلو ٩٠٠ جرام ١٨٩
أتستهزئ بي؟........................... ١٩٠
محمد وجورج........................... ١٩٢
فيجي ١٩٣
اللغة الإنجليزية........................... ١٩٧
حسن الظن........................... ١٩٩
فن الاتكال........................... ٢٠٢
الخطأ القاتل ٢٠٧
آخر لحظات ٢٠٩
أحد المبتعثين ٢١٥
قهوة مالحة........................... ٢١٦
أمي أم ابني؟ ٢١٩
الملك والخادم ٢٢١
لا تُغضب غاليًا ٢٢٤
رسالة حب........................... ٢٢٨
أين الباقي؟........................... ٢٢٩
الخيال ٢٣٣
ثلاثة شيوخ ٢٣٥

تطاول وعلاج ٢٣٧
الملعقة الطويلة ٢٤١
ثمن المعجزة ٢٤٢
المنصور والواعظ ٢٤٥
صاحبة الحسن والجمال ٢٥٠
بيننا وبينهم الثلث الأخير من الليل ٢٥٧
السلبية ٢٦٤
المنطق والحظ ٢٦٦
من الأفضل؟ ٢٦٨
الثقة بين الزوجين ٢٧٠
هيلين كيلر ٢٧١
نفسية الأبناء ٢٧٣
الزاوية الإيجابية ٢٧٧
من أجل الإسلام ٢٨٠
حارس جوانتانامو..!! ٢٨٤
سياسة حاكم ٢٨٦
الهند وعبدالكلام ٢٨٩
محمد العوضي ٢٩٢
نيل الحرية ٢٩٤
أخرج الدجاجة ٢٩٦
طبيبة في عيادتها ٢٩٩

زوجة الحجاج ٣٠٢
الفرار من الفتنة................................ ٣٠٥
فن التغافل................................ ٣٠٦
أدب التغافل ٣٠٧
التعامل مع الآخرين ٣٠٩
الكلب والذئب ٣١٣
الكلب والجزار ٣١٥
حلم تحقق ٣١٧
الحكام وخدمهم................................ ٣٢٤



توطئة

والتجأت إلى الله فأعطاني القوة
التي يمنحها للمستضعفين

تـرددت كثيراً في اختيار عنوان هذا الكتاب وغيرته عدة مـرات، حيث لم يكن يروق لى العنـوان التقليدي للعناوين في المكتبة العربية، أقصـد بالـذات الكتب القديمـة منها، وكم كانت سـعادتي شـديدة عندما وقعت يدي علـى كتاب «القوة الهادئة» لروزا باركس، ذات البشـرة السمراء صاحبة أشهر كلمـة لا في التاريخ الإنسـاني، التي كانت في إحدى أمسـيات شـهر ديسـمبر عام ١٩٥٥م تجمع حاجاتهـا، وتتجهز للعودة إلى بيتهـا بعـد يوم من العمل الشـاق المضـني. التفتت يمنة ويسـرة، ثم عبرت الطريق، ووقفت تنتظر الحافلة، كي تقلها إلى واجهتها، وفي أثناء وقوفها الذي اسـتمر لدقائق عشـر، كانت (روزا) تشاهد في ألم منظرًا مألوفًا في أمريكا آنذاك، وهـو قيام الرجل الأسـود من كرسـيه، ليجلـس مكانه رجل أبيض! وكان مشـهورًا وقتهـا أن تجد لوحـة معلقة على باب أحد المحلات التجارية أو المطعم مكتوبًا عليها (ممنوع دخول القطـط والـكلاب والرجل الأسـود)!!!! كل تلك الممارسـات العنصرية تصيب (روزا) بحالة من الحزن والألم والغضب، فـإلى متى يعاملـون على أنهم هـم الدون، والأقـل مكانة...

لماذا يُحقرون ويُزدرون، ويكونون دائما في آخر الصفوف، ويصنفون سواء بسواء مع الحيوانات. مما أدى بها لإطلاق كلمتها الشهيرة التي غيرت مجرى التاريخ الأمريكي الحديث في قصة أترك للقارئ الاستمتاع بها في ثنايا هذا الكتاب، بعد أن بلغت (روزا باركس) الثمانين من العمر، تذكر في كتاب صدر لها لاحقا بعنوان (القوة الهادئة) عام ١٩٩٤م بعضًا مما اعتمل في مشاعرها آنذاك، فتقول: «في ذلك اليوم تذكرت أجدادي وآبائي، والتجأت إلى الله، فأعطاني القوة التي يمنحها للمستضعفين».

هذه القصة نقلتها لكم من كتاب: (**امرأة من طراز خاص**) لكريم الشاذلي.

ونلاحظ أن صاحبة القصة قالت في كتابها : «والتجأت إلى الله، فأعطاني القوة التي يمنحها للمستضعفين»، عندما يشعر الإنسان بظلم في حق من حقوقه... فإن الله لن يخذله، وليس هناك أجمل من أن نقول: (لا) لتلك الأعمال التي فيها إهدار لكرامة الإنسان، وضياع الدين والأخلاق والقيم، لكل هذه القيم الملهمة اخترت هذا العنوان مماثلاً لهذا الكتاب الذي أرجو من الله ﷻ أن يساعد من يقرأه على تغيير طريقة تفكيره وتعاطيه مع الأحداث، ليتغير العالم برمته من حوله.

المؤلف



الحاجّة كُرمة

اتصلت سيدة عجوز بـ «بنك الطعام» تطلب حضور مندوب؛ لاستلام خمس بطاطين تبرعًا منها لضحايا السيول، وتركت عنوانها بالتفصيل: ميدان، ثم شارع، ثم حارة، ثم حارة أخرى، ثم دكان بقال، ثم بيت!

وصل مندوب البنك بصعوبة بالغة إلى مكان إقامة السيدة العجوز، فوجدها عجوزًا أكثر مما تصور، هزيلة أكثر من أي توقع، بسيطة أقل من كل فقر، تسكن غرفة صغيرة لا تدخلها الشمس تحت بئر أسفل سلم الدرج.

استقبلت العجوز موظف البنك باشتياق شخص يبحث عن ضوء في عتمة، فأصرّت على أن تؤدي له واجب الضيافة، كوبًا من الشاي، وهي تقدمه قالت له:

الشاي يا بني، من يد خالتك كُرمة، بالهناء والشفاء.

كان الموظف الشاب يشرب الشاي، وهو يراقب عروق وجهها تنتفض، وهي تحكي منفعلة، وكان مدهوشًا، إذ تصرخ في وجع:

لا تتعجب، فأنا فقيرة، ولكن هناك من هو أفقر مني، فمعاشي من زوجي رحمه الله ثلاث مئة جنيه، اشتريت بمئتين وخمسين جنيهًا هذه البطاطين، ويكفيني خمسون جنيهًا.



تسكن الحاجة كُرمة في غرفة لا تتسع لأكثر من شخصين، حيث سريرها صغير، يتحمل بصعوبة جسدها النحيل، ولمبة في السقف، وتلفاز بإيريال معلق على شباك المنور، وهاتف قديم يبدو أنه نافذتها الوحيدة مع الحياة، وابتسامة دافئة كبيرة تكشف عن أنها منذ زمن بعيد لم تعرف أبعد من هذه الغرفة.

ولكن يا حاجة كُرمة، لا تفهميني على نحو خاطئ، وتحمّليني، ألستِ أولى بثمن الخمس بطاطين، فظروفك...

وتضرب الحاجة كرمة يدها على طرف السرير، فيهتز، وتقول بعبارات لا زيف فيها ولا تراجع: يا بني، ما رأيته في التلفاز يقطّع القلب، أُناس عرايا، مرميون في الشوارع من غير بيت أو غطاء، أنا فقيرة، ولكن لست معدمة.. أما هم فمعدمون، وإن لم يكونوا فقراء، أنا ربنا ساترني في غرفة، أقفل بابها، فأستدفئ، وأنام.. وهم ليس عندهم باب أو غرفة، يا بني، خذ البطاطين، وتوكل على الله، وأعطِها محتاجًا قبل أن يحلّ الليل، وتصل بالسلامة، لقد شرّفتنى يا بني.

ذهب الموظف بأغلى خمس بطاطين إلى مقر بنك الطعام، وحكى لزملائه، والدموع تملأ عينيه قصة الحاجة كُرمة، بكرمها وكبريائها، ووجهها الصافي الصادق، وكلماتها البريّئة الحقيقية، وعلاقتها مع الله.

هـذه المرأة العجـوز التى نسـيها الزمـن لم يهملها اللّه برحمته، فقد رزقها الحب والبسـاطة والشجاعة، هذه امرأة لا تخاف أحدًا، لا تخاف الفقر، ولا الجوع والبرد، ولا المرض، ولا الموت، تحب اللّه، وتعيش في أمانه وفي وعده الحق لها.

هذه المـرأة نظنها تعيش على هامش الحياة، ولكنها هي الحياة نفسها.

قـرر زمـلاء الموظـف أن يفعلوا أي شـيء لهـذه المرأة، فاقترحوا لها معاشًـا شـهريًّا، ومعونة عاجلـة، والبحث عن شقة صـغيرة لها، وسـرير أكبر، وثلاجة بها طعام، وفسحة في مكان جميل، لكن موظف البنك الذي ذهب إليها قال لهم بثقة من عرفها عن قرب: إنها سترفض كل شيء.

وفى النهاية وصـلوا إلى حيلة، إذ اتصـلوا بها على أنهم من شركة الهاتف، فأبلغوها بأنها فازت بجائزة مالية كبيرة، فقالـت لهم دون أن تهتز من فرحة أو مفاجأة: أتعرفون بنك الطعام؟ تبرعوا بالفلوس كلها لهذا البنـك، قولوا لهم: اشتروا بالمبلغ كله بطاطين، وأرسـلوها إلى منكوبي السيول، فلا أحد يموت من الجوع، ولكن هناك كثيرون يموتون من البرد.

• **حديـث: «ليس الغِنـى عن كثرة العرض، لكـن الغنى غنى النفس»[1].**



(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٤٤٦) ومسلم (رقم ١٠٥١).

بيل جيتس

قرر بيل جيتس مؤسس شركة مايكروسوفت ومالكها، إلقاء محاضرة في إحدى المدارس الأمريكية عن التنمية الذاتية؛ وذلك لاقتناعه بأن أغلب أنظمة التعليم تعزّز الإحساس الكاذب بسهولة النجاح، ومن ثمّ يتخرّج جيل غير قادر على الابتكار، أو التعامل مع الواقع.

كان عنوان المحاضرة «مهارات وأفكار لن تتعلّموها في المدارس»، وللتعرف على نصائحه إليكم إحدى عشرة قاعدة:

القاعدة الأولى: الحياة ليست عادلة تمامًا، وعليك أن تعتاد على العيش في الظروف التي تعيش فيها.

القاعدة الثانية: لن تستطيع الحصول على دخل سنوي قدره ٦٠ ألف دولار، بمجرد التخرج في المدرسة الثانوية، ولن تتقلد منصبًا رفيعًا، لمجرد أنك إنسان محترم، ولن تحصل على سيارة إلا بعد أن تجتهد، وتجدّ في الحصول على الوظيفة المرموقة والسيارة الفارهة.

القاعدة الثالثة: العالم لا يعنيه مدى احترامك لذاتك، ولا كيف ترى نفسك، فسوف يتوقع منك الجميع أن تنجز شيئًا، وأن تؤدي دورًا قبل أن ينتابك شعور بالفخر تجاه نفسك.

القاعدة الرابعة: إذا كنت تعتقد أن معلمك شديد وعنيف، وأن طلباته المتواصلة تفوق طاقتك، فلا تسرع في الحكم، وانتظر حتى يكون لك مدير.

القاعدة الخامسة: لا تظن أن العمل في مطاعم الهمبرجر، وغسل الأطباق وظيفة دون المستوى، فمازال الناس في الدول الفقيرة يتمنون فرصة عمل كهذه.

القاعدة السادسة: قبل ولادتك لم يكن والداك شخصين مملّين، كما تظن الآن، لقد أصبحا كذلك بسبب مصاريف دراستك، وارتفاع ثمن ملابسك الجميلة، والنظر إليك، وأنت تكبر يومًا بعد يوم؛ لذلك قبل أن تشرع تنقذ العالم، وتغيره، وتنقذ الغابات الاستوائية من الدمار، وحماية البيئة، والتخلص من السلبية في العالم، ابدأ أولًا بتنظيف دولابك الخاص، وأعد ترتيب غرفتك.

القاعدة السابعة: إذا ما أخطأت، وسقطت، وارتبكت، فاعلم أن الذنب ذنبك، وليس ذنب أهلك، أو والديك، وبدلًا من أن تبكي حظك، وتندبه، تعلَّم من أخطائك.

القاعدة الثامنة: قد تكون مدرستك تخلصت من المتفوقين والكسالى معًا، ولكنهم مازالوا موجودين في كل مكان، ففي بعض المدارس أُلغيت درجات الرسوب، حيث يُمنح الطلبة أكثر من فرصة لإعطاء الإجابات الصحيحة،

وهي فرص لن يتمتعوا بها عند الخروج إلى الحياة العملية، ففي بعض الأحيان لا نُمنح إلا فرصة واحدة فقط.

القاعدة التاسعة: الحياة التي نراها في الأفلام السينمائية ليست واقعية ولا حقيقية. في الواقع لا يقضي الناس كل وقتهم في اللعب والإجازات والجلوس في المقاهي الفارهة، بل عليهم الذهاب إلى العمل.

القاعدة العاشرة: الحياة ليست سلسلة من الفصول الدراسية المتتابعة، ولن تستطيع أن تقضي كل فصل صيف في إجازة، ولن يكون أصحاب الأعمال مثلًا كالمعلمين متفرغين فقط لمساعدتك، عليك أن تساعد نفسك، وأن تنجز كل أعمالك على حساب وقتك أنت.

القاعدة الحادية عشرة: عليك أن تحترم المتفوقين، حتى إن كانوا غريبي الأطوار؛ لأنه ربما تنتهي بك الحال في العمل إلى أن تكون تحت قيادتهم.

- **الحكمة:** معرفة رأي ووجهة نظر أحد ممن أثروا في هذه الحياة يساعد على تغيير طريقة نظرنا إلى كثير من الأمور في حياتنا.





قتال من نوع آخر

قبل أيام تواعدت مع أحد الأصدقاء، وذهبت إلى منزله، وكنت أنتظر في سيارتي، وفجأة وقفت أمامي سيارة، ونزل منها شابان، وحملا عجوزًا بطريقة رائعة جدًّا، وكأنها محمولة على كرسي، فنظرت إليها، وقلت: سبحان من سخر لك هذين، وكأنها ملكة من ملكات ذلك الزمان الذي كانت تحمل كراسيهن على رقاب العبيد!

خرج صاحبي، وحكيت له ما رأيت، فقال: هذان جاران لي، وسأحكي لك قصتنا معهما، يقول:

في يوم من الأيام، بعد أن فرغنا من صلاة العصر، خرجت من المسجد مبكرًا؛ لانتظار زوار من مدينتنا، ووقفت عند باب منزلي أحادثهم، وأصف لهم البيت، وأنا منشغل، وإذا بسيارة هذين الشابين تقف أمامي، ولم يكن لهما إلا بضعة أشهر آنذاك، أشحت بوجهي عنهما إلى الجهة الأخرى، وأنا منشغل بالهاتف، تحدثت ما شاء لي الله، وحين هممت بالدخول إلى المنزل، فإذا بأحدهما يمسك بتلابيب أخيه، ويجذبه عن الباب الذي ستخرج منه والدتهم.

وما كان من الأخ الآخر إلا أن فعل الفعل نفسه، وبدأ العراك، وكلٌّ يصرخ في الآخر، ويتدافعان بطريقة جعلتني وبعضًا من الجيران نتدخل فورًا.

والله الـذي لا إلـه غيره مـا عهدنا عليهمـا إلا كل خير، أسرعنا إليهما، ونحن في دهشة مما يحصل، التفت الصغير إلينـا، وهـو ممسـك بتلابيب أخيـه، قائلًا لنا: مـن أراد أن يتدخل، فليحفظ حقي.

تقدمنا، وأبعدنـا أحدهم عن الآخر، وقلـت لهما: اتقيا الله، تتشاجران أمام والدتكما على مرأى منها ومسمع! ماذا حل بكما وما المشكلة؟

فردّ الصغير قائلًا: أردت أن أحمل والدتي، وأدخلها إلى المنزل حسب الاتفاق بيني وبينه، فهو من حملها من سريرها في المستشـفى، وأنزلها في السيارة، ومن حقي أنا أن أحملها، وأدخلها المنزل.

فقال الكبير بصـوت عالٍ: سـتة أشـهر، وأنت تخدمها، وأنـا في الدورة، وتواعدني كثيرًا بأن تأتي بها إليّ، ولكنك لم تفعل، أنت خدمتها أكثر مني.

يقول صـديقي: فتحنا أفواهنا، والدهشـة تكاد تعصف بعقلـي وعقلـه، وكل واحد منهما مسـتعد أن يموت في سـبيل حمل أمه.

لم أسـتطع أن أحبس دموعي، ولكننا حاولنا بطرق شتى أن نحلّ الموضوع، ولكن الصغير كان متمسكًا بحقه.

يعلـم الله أننا وقفنا أكثر من ساعة، ونحن نحاول أن نحكم بينهما في هذا الأمر، وكلما نظرت إلى عيني أحد الجيران وجدتهما غارقتين في الدموع من كثرة المواقف التي ذكروها، وكل واحد يحكي أن أخاه فعل لها، وعمل لها، وهو لم يفعل، ولم يعمل.

وقد قال الصغير: حرمتني من حملها في الحج، واستأثرت بهذا لنفسك، وحكى الكبير، وهو يعاني، كيف أن ظروف العمل تجبره على التقصير في خدمة والدته، وأنه أولى بمثل هذه الأمور، خاصة خارج المنزل؛ ليعوض ما فاته من خدمة والدته.

أخيرًا، عرفنا أن هناك اتفاقًا مسبقًا بينهما، وأنهما يقومان على خدمة والدتهما يومًا ويومًا، أي إن كلًّا منهما يأخذ يومه في خدمة والدته، والاختلاف يكون دائمًا حين يكون هناك خروج لها من المنزل، إما للمستشفى أو للعمرة أو للتنزه.

حِرْنا معهما، ونحن واقفان لم نجد من أحدهما تنازلًا، حتى كدت أحمل أمهما أنا، وأوصلها إلى الشقة؛ كي نريحهما، ونستريح.

قاطعنا إمام المسجد، وقد وصل إلينا، وألقى السلام، وقال مخاطبًا الأخ الأصغر: أليس بينكم اتفاق، وأنا شاهد

عليه؟ فعرفنا أن إمام المسجد قد اطلع على حالهما، وعرفت أخيرًا أنه وجدهما، وهو خارج من بيته لصلاة الفجر على هذه الحالة، وحكم بينهما.

وفي نهاية المطاف توصلنا معهما إلى هذا الحل الذي رأيته، وهو أن يحملاها معًا، حين تخرج من المنزل أو تعود إليه!

• **الحكمة:** ما أجمل الصراع من أجل بر الأم!



شاحنة النفايات

ذات يوم كنت متوجهًا إلى المطار مع صاحب سيارة الأجرة، وبينما كنا نسير في الطريق، وكان سائق سيارة الأجرة ملتزمًا بمساره الصحيح، انطلقت سيارة من موقف سيارات بجانب الطريق بشكل مفاجئ أمامنا.

وبسرعة ضغط سائق سيارة الأجرة بقوة على المكابح، وكاد يصطدم بتلك السيارة. الغريب في الموقف أن سائق السيارة الأخرى «الأحمق» أدار رأسه نحونا، وانطلق بالصراخ والشتائم تجاهنا، فما كان من سائق سيارة الأجرة إلا أن كظم غيظه، ولوّح له بالاعتذار والابتسامة.

استغربت من فعله، وسألته: لماذا تعتذر له، وهو المخطئ؟ هذا الرجل كاد يتسبب لنا في حادث تصادم كارثي!

هنا لقنني سائق سيارة الأجرة درسًا، أصبحت أسميه فيما بعد: «قاعدة شاحنة النفايات». قال: كثير من الناس مثل شاحنة النفايات، تدور في الأنحاء محملة بأكوام النفايات «المشكلات بأنواعها، الإحباط، والغضب، وخيبة الأمل...» وعندما تتراكم هذه النفايات داخلهم، يحتاجون إلى إفراغها في أي مكان قريب، فلا تجعل من نفسك مكبًّا للنفايات. لا تأخذ الأمر بشكل شخصي، فقط ابتسم،

وتجاوز الموقف، ثم انطلق في طريقك، وادعُ الله أن يهديهم، ويفرج كربهم وقال لي هل نسيت قول الرسول ﷺ: «**مَنْ كَظَمَ غيظًا، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أن يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالى عَلَى رُؤُوسِ الخَلائِقِ يَومَ القِيامَةِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ مَا شَاءَ**»[1].

• **الحكمة:** يقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾.



(١) أخرجه أبو داود (رقم ٤٧٧٧) وابن ماجه (رقم ٤١٨٦) والترمذي (رقم ٢٠٢١) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٦٥٢٢).

قائمة الحساب

كانت الأم منهمكة في إعداد الطعام، حينما دخلت عليها ابنتها ذات العشر سنوات، ومدت يدها إليها بورقة، وعيناها تلمعان ذكاءً وحيوية، أسرعت الأم، وجففت يديها المبللتين، ثم راحت تقرأ ما كتبته ابنتها بخط جميل: فاتورة حساب المبلغ: أجرة قيامي بجلي الصحون: ديناران، لعنايتي بأخي الصغير في أثناء غيابك: ٣ دنانير، مكافأة على درجاتي الجيدة في المدرسة: ٥ دنانير.

تطلعت الأم في عيني ابنتها، فطاف بخاطرها مجموعة من أحداث ماضية، فكتبت على الورقة نفسها: لقد حملتك ٩ أشهر مجانًا، وقاسيت آلام الحمل والولادة مجانًا، وقضيت الليل للعناية بك مريضة مجانًا، ورضيت بكل الهموم التي سببتها لي مجانًا، وعلّمتك الدروس، وساعدتك على فروضك مجانًا، واعتنيت بك وبنظافتك وألعابك وثيابك مجانًا ومسحت دموعك مجانًا. مدّت الأم الورقة لابنتها، فلما قرأتها رمت بنفسها على صدر أمها خجلًا، ثم كتبت أسفل قائمة حسابها: قائمة الحساب مدفوعة.

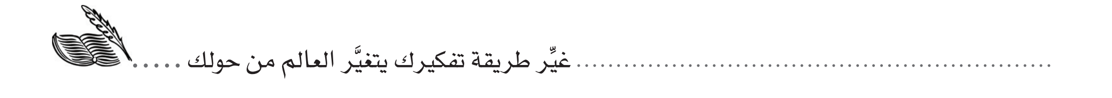
- **الحكمة:** لا تطالب غيرك بسداد ما عليه تجاهك إلا بعد أن تسدد ما عليك.



دورة المال

في بلدة صغيرة تبدو مهجورة تمامًا، مثل غيرها من المدن التي تمرّ بظروف اقتصادية صعبة، والجميع غارق في الديون، ويعيش على الاقتراض، فجأة يأتي سائح غني إلى تلك البلدة، ويدخل الفندق، ويضع ١٠٠ دولار على كاونتر الاستقبال، ويذهب لتفقد الغرف في الطابق العلوي من أجل اختيار غرفة مناسبة، وفي هذه الأثناء يستغل موظف الاستقبال الفرصة، ويأخذ المئة دولار، ويذهب مسرعًا إلى الجزار؛ ليدفع دَيْنَه.

الجزار يفرح بهذه الدولارات، ويسرع بها إلى تاجر الماشية؛ ليدفع باقي مستحقات عليه، وتاجر الماشية بدوره يأخذ المئة دولار، ويذهب بها إلى تاجر العلف؛ لتسديد دَيْنِه، وتاجر العلف يذهب مسرعًا إلى صاحب الشاحنة الذي ينقل له العلف؛ لتسديد ما عليه من مستحقات متأخرة، ثم يأخذ تاجر الشاحنة المبلغ، ويذهب مسرعًا إلى الفندق الذي يقيم فيه إذا حضر إلى هذه المدينة، ويسدد قيمة إقامته إذا حضر، ويعطي موظف الاستقبال المئة دولار، وموظف الاستقبال يضع المئة دولار على طاولة الاستقبال قبل نزول السائح من جولته التفقدية للفندق، وينزل السائح الذي لم



يعجبه مستوى الفندق، ويأخذ المبلغ، ويرحل عن المدينة، ولا أحد من سكان المدينة كسب شيئًا، ولكن الجميع سدد ديونه!

• **الحكمة:** إذا أردت النظر إلى طريقة المال في دورته فسيكفي أن ترسم هذه الصورة في ذهنك.



عفو جميل

يَحكون أن فقيهًا كان يمشــي في إحـدى الطرقات، وإذا بلصٍّ يمدّ يـده، ويخطف عمامته التي كانت على رأســه، ثم يُطلق ساقيه للريح، فما كان من الفقيــه إلا أن أخذ يجري خلـف اللص، وهو يقــول: وَهَبتُك إياها، قـل: قَبِلت، وهبتُك، قل: قبلتُ.

لقـد شـعر الفقيــه بأنه مـن المؤكـد أن الحاجـة المُلحّة هــي التي دفعت ذلــك الرجل إلى أن يرتكـب جناية من أجل الحصول على شيء، لا يكاد يساوي خمسة دراهم، فَرقّ قلبه له، وأحب أن يُعلمه أن له أن يمضــي بالعمامة على أنها هدية أو هبة؛ حتى يشعر براحة الضمير وهدوء الخاطر.

• **عـبرة:** نحن اليوم في حاجة ماسّــة إلى طريقة تفكير ذلك الفقيه، وإلى رِقّة قلبه ونبل عواطفه، حيث إن كثيرًا من الأخطاء والتجاوزات التي تقع هنا وهناك لا تصدر في الغالب من أشخاص شرِّيرين أو عدوانيين، إنها تصدر من أشخاص يمرون بظروف حرجة، وقاهرة تجعلهم يخضعون لضغوطها، فيفقدون رشـدهم وصوابهم، وتصــدر من أشخاص يمرون بلحظات ضعف أمام مغريات قوية، وأشخاص أساؤوا الفهم، فساء سلوكهم، وساءت مواقفهم، وهكذا فإن المعرفة الكاملة

صفح كامل. من السهل أن نتهم، وأن نسيء الظن، وأن نعاتب، ونعاقب، لكن من الصعب أن نتفهم دوافع السلوك السيِّئ والموقف الرديء، ومن الصعب أن نعذر، وأن نصفح، ونواسي، إن هذه الأمور تحتاج إلى شفافية ورقّة وإبداع.

ما أجمل، أن نعقد العزم على أن نقبس من روح ذلك الفقيه وكرم ذاته، حتى نرسِّخ في أعماقنا معاني العفو والتسامح والشفقة، إننا حين نقع في خطأ كبير نبحث بجدّية ومثابرة عن أولئك الذين يلتمسون لنا الأعذار، ويتفهمون تداعيات أخطائنا، ما يوجب علينا أن نفعل ما كنا نرجو من الناس أن يفعلوه، وينهضوا إليه.



ترميم النفس[1]

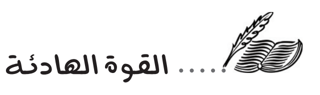
كثرة عدد السكان مع الجودة فضيلة عند الأمم، لكن الخطأ أن يكثر العدد بلا نفع ولا إنتاج، والإسلام يحثّ على طلب الذرية الطيبة الصالحة، ولكن إذا تحولت كثرة النسل إلى عبء اجتماعي صار هذا خطأ في التقدير، ونحن في الشرق أكثر الأمم نموًّا سكانيًّا مع ضعف في التربية والتعليم، فقد تجد عند الواحد عشرين ابنًا، لكنه أهمل تأديبهم وتعليمهم، فصار سهرهم في دبكة شعبية مع لعب البلوت وأكل الفصفص بلا إنتاج ولا عمل، بل صاروا حملًا ثقيلًا على الصرف الصحي والطرق والمطارات والمستشفيات، في حين الخواجة ينجب طفلين، فيعتني بهما، فيتخرج أحدهما طبيبًا، والآخر يهبط بمركبته على المريخ، وأنا ضد جلد الذات، لكن مادام أن الخطأ يتكرر، والعلاج يستعصي فالبيان واجب، مازال بعض العرب يرفع عقيرته عبر الشاشات، ويقول: «**أنا ابن جلا وطلاع الثنايا**»، ثم تجده في عالم الشرع لا يحفظ آية الكرسي، وفي عالم الدنيا لم يسمع بابن خلدون، وابن رشد، وتجد الغربي ساكتًا قابعًا في مصنعه، أو معمله يبحث، وينتج، ويخترع، ويبدع، أرجو من شبابنا أن يقرؤوا قصة أستاذ ثورة اليابان الصناعية «تاكيو

---

(١) بقلم الدكتور/ عائض القرني بتصرف.

أوساهيرا» وهي موجودة في كتاب «**كيف أصبحوا عظماء؟**» إذ كان طالبًا صغيرًا ذهب للدراسة في ألمانيا، فكان ينسلّ إلى ورشة قريبة، فيعمل فيها خمس عشرة ساعة على وجبة واحدة، فلما اكتشف كيف يدار المحرك، وأخبر الأمة اليابانية بذلك استقبله عند عودته إلى المطار إمبراطور اليابان، فلما أدار المحرك، وسمع الإمبراطور هدير المحرك قال: هذه أحسن موسيقا سمعتها في حياتي، وطالب عربي في المتوسطة سأله الأستاذ: الكتاب لسيبويه مَنْ ألّفه؟ فقال الطالب: الله ورسوله أعلم، والتمدد في الأجسام على حساب العقول مأساة، والافتخار بالآباء مع العجز منقصة، لن يعترف بنا أحد، حتى نعمل، وننتج، فالمجد مغالبة، والسوق مناهبة، وإن النجاح قطرات من الآهات والزفرات والعرق والجهد، والفشل زخّات من الإحباط والنوم والتسويف، كن ناجحًا، ثم لا تبالِ بمن نقد، أو جرّح، أو تهكم، إذا رأيت الناس يرمونك بأقواس النقد فاعلم أنك وصلت إلى بلاط المجد، وإن مدفعية الشرف تطلق لك إحدى وعشرين طلقة احتفاء بقدومك.

لقد هجر كثير منّا الكتاب، وأصبح يعيش الأمية، فلا يحفظ آيةً ولا حديثًا ولا بيتًا شعريًّا، ولم يقرأ كتابًا، ولم يطالع قصة ولا رواية، ولكنه علّق في مجلس بيته شجرة



الأنساب؛ ليثبت لنا أنه من أسرة آل مفلس من قبيلة الجهلة، والوحي ينادي: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾، والتاريخ يخبرك أن بلالًا مولى حبشي، وهو مؤذن الإسلام الأول، وأن جوهر الصقلي فاتح مصر وباني الأزهر أمازيغي، أمه تبيع الجرجير في مدينة سبتة، ولكن النفس الوثّابة العظيمة لا تعتمد على عظام الموتى؛ لأن العصامي يشرّف قبيلته وأمته وشعبه، ولا ينتظر أن يشرفه الناس، لقد كان نابليون شابًّا فقيرًا، لكنه جدّ، واجتهد، حتى أخذ التاج من لويس الرابع عشر، وفتح المشرق، وصار في التاريخ أسطورة، وهو القائل: «الحرب تحتاج إلى ثلاثة: المال، ثم المال، ثم المال، والمجد يحتاج إلى ثلاثة: العمل، ثم العمل، ثم العمل».

لقد أرضينا غرورنا بمدح أنفسنا، حتى سكِرَ القلب بخمر المديح على مذهب جرير: «**أَلَستُم خَيرَ مَن رَكِبَ المَطايا**»؟ وقد ركب الآخر بساط الريح وإف ١٦ والكونكورد، ولو اجتمعنا ما أنتجنا سيارة «فولكس فاغن» فضلًا عن «كراسيدا». ورحم الله امرأ عرف تقصيره، فأصلح من نفسه، ولا بد أن تقنع المريض بمرضه؛ حتى يستطيع أن يعالج نفسه، على أني أعترف بأن عندنا عباقرة ونوابغ يحتاجون إلى مراكز بحوث ومؤسسات لرعايتهم، ومعامل ومصانع؛ لاستقبال نتاجهم.

لقد تركت اليابان الحرب، وتابت إلى الله من القتال، وتوجهت إلى العمل والإنتاج، فصارت آيةً للسائلين وكدّس العراق قبل الغزو السلاح، واشتغل بحروبٍ مع الجيران، فانتهى قادته إلى المشنقة، وجُوّع الشعب، ثم قُتِل وسُحِق. سوف نفتخر إذا نظر الواحد منّا إلى سيارته وثلاجته وتلفازه وهاتفه، فوجدها صناعةً محلية. وأرجو أن نقتصد في الأمسيات الشعرية؛ فإن عشرة دواوين من الشعر لا تنتج صاعًا من شعير، يقول نزار قباني:

وطالعوا كتب التاريخ واقتنعوا

متى البنادق كانت تسكن الكتبا؟

• **الحكمة:** علينا أن نعيد ترميم أنفسنا بالإيمان والعمل وتهذيب عقولنا بالعلم والتفكر، وهذا جوهر رسالتنا الربانية الخالدة، وطريق ذلك المسجد والمكتبة والمصنع، والخطوة الأولى مكتبة منزلية على مذهب الخليفة الناصر الأندلسي يوم ألزم الناس بإنشاء مكتبة في كل منزل وقراءة يومية مركزة، وهذا خير من مجالس الغيبة والقيل والقال وقتل الزمان بالهذيان: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾.



غرفة ٣٩

في أحد فنادق المدينة المنعزلة، وفى اليوم الأول من شهر مارس جاء زبون إلى صاحب الفندق، وسأله: هل الغرفة رقم ٣٩ فارغة؟

أجاب صاحب الفندق: نعم، إنها فارغة! فسأل: هل يمكن أن أحجزها فقط ليلة واحدة؟

أجابه: نعم، وبالفعل حجز الغرفة، وصعد إليها، ولكن قبل أن يصعد طلب من صاحب الفندق سكينةً سوداء وخيط حرير أبيض طوله ٣٩ سم، وبرتقالة واحدة وزنها ٧٢ جرامًا.

تعجب صاحب الفندق من الطلبات الغريبة، لكنه أحضرها له، وصعد إلى الغرفة، ولم يطلب أكلًا أو شرابًا أو أي شيء آخر!

ولسوء الحظ أن غرفة صاحب الفندق مجاورة للغرفة ٣٩ وبعد منتصف الليل سمع صاحب الفندق أصواتًا غريبة جدًّا جدًّا داخل الغرفة كأنها أصوات حيوانات مفترسة، وسمع أصوات تكسير وضرب، وشعر كأن الغرفة أصبحت كومة من الرماد، فبات الليل يفكر ماذا يحدث داخل الغرفة ٣٩؟

وفي الصباح قبل أن يغادر الزبون طلب صاحب الفندق أن يعاين الغرفة، وبالفعل صعد صاحب الفندق إلى الغرفة، لكن



وجد كل شـيء كما هو، وخيط الحريـر في مكانه، والبرتقالة كمـا هي، والسـكينة في مكانهـا، ودفع الزبون حسـاب الليلة بأجر مضاعف، وأعطى بقشيشًا أكثر من حساب الغرفة.

ومضـى عام، وكان صـاحب الفندق قد نسـي الموضـوع برمّته، وفى يوم واحد مارس من العام المقبل فوجئ صـاحب الفندق بالرجل نفسـه، وعندما رآه تذكـر ما حدث في العام الماضـي، وطلب الزبون الغرفة رقم ٣٩ وطلب سـكينة سوداء وخيط حرير طوله ٣٩ سم، وبرتقالة وزنها ٧٢ جرامًا.

فقرر صـاحب الفندق أن يراقب؛ ليعـرف ماذا يحدث، وبالفعل ظلّ طوال الليل سـاهرًا يترقب، وبعد منتصف الليل بـدأت الأصـوات ذاتها التـي سـمعها العام الفائت، وسـمع التكسـير نفسـه، ولكن هذه المرة كانت الأصوات أشد، كانت أصواتًا مبهمة غير مفهومة، وفى الصباح رحل الزبون، ودفع الحسـاب مضـاعفًا، وبقي صـاحب الفندق يتساءل عن هذه الأصـوات، وعن اختيار الغرفة رقم ٣٩، وعن وزن البرتقالة، وعن طول الخيط الحرير، وعن السكينة؟

وظلّ طوال العام يترقب أول يوم من شهر مارس، وبالفعل في صباح أول أيام شهر مارس من العام الثالث حضر الزبون نفسـه، وطلب الأشياء نفسـها، والغرفة ذاتها، وبقي صاحب

الفندق ساهرًا، وسمع الأصوات نفسها، لكن كانت هذه المرة أقوى بكثير من العام الماضي.

وفى الصباح، وقبل أن يرحل الزبون، وعندما جاء ليدفع الحساب، قال له صاحب الفندق: أريد أن أعرف السر، قال: إذا قلت لك السر تعدنى ألا تخبر أي شخص على الإطلاق، قال صاحب الفندق: أعدك ألا أخبر أحدًا مهما كان، قال: تقسم على ذلك، قال له صاحب الفندق: أقسم على ذلك، وبالفعل صاحب الفندق لم يخبر أحدًا بالسر، حتى الآن.

الحكمة:

إذا المرء أفشى سرّه بلسانه
ولام عليه غيره فهو أحمقُ

إذا ضاق صدرُ المرءِ عن سرّ نفسه
فصدر الذي مُستودَع السر أَضيَقُ





فكر قبل أن تعمل

روي أن أحدَ الولاةِ كان يتجول ذات يوم في السوق القديمة متنكرًا في زي تاجر، وفي أثناء تجواله وقع بصره على دكانٍ قديمٍ ليس فيه شيء مما يغري بالشراء، كان الدكان شبه خالٍ، وكان فيه رجل طاعن في السن، يجلس بارتخاء على مقعد قديم متهالك، ولم يلفت نظر الوالي سوى بعض اللوحات التي تراكم عليها الغبار.

اقترب الوالي من الرجل المسن وحيّاه، فردّ الرجل التحية بأحسن منها، وكان يغشاه هدوء غريب، وثقة بالنفس عجيبة، فسأل الوالي الرجل:

دخلت السوق؛ لأشتري، فماذا عندك مما يباع؟!

أجاب الرجل بهدوء وثقة: أهلًا وسهلًا، عندنا أحسن بضائع السوق وأثمنها!

قال ذلك دون أن تبدر منه أي إشارة للمزح أو السخرية، فما كان من الوالي إلا أن ابتسم، ثم قال: هل أنت جادّ فيما تقول؟

أجاب الرجل: نعم، كل الجد، فبضائعي لا تقدر بثمن، أما بضائع السوق، فإن لها ثمنًا محددًا لا تتعداه!



دُهِشَ الوالي، وهو يسمع ذلك، ويرى هذه الثقة، وصمت برهة، وأخذ يقلب بصره في الدكان، ثم قال: ولكني لا أرى في دكانك شيئًا للبيع، قال الرجل: أنا أبيع الحكمة، وقد بعت منها كثيرًا، وانتفع بها الذين اشتروها، ولم يبقَ معي سوى لوحتين!

قال الوالي: وهل تكسب من هذه التجارة؟ قال الرجل، وقد ارتسم على وجهه طيف ابتسامة:

نعم، يا سيدي، فأنا أربح كثيرًا، فلوحاتي غالية الثمن جدًّا!

تقدم الوالي إلى إحدى اللوحات، ومسح عنها الغبار، فإذا مكتوب عليها: «فكِّر قبل أن تعمل».. تأمل الوالي العبارة طويلًا، ثم التفت إلى الرجل، وقال: بكم تبيع هذه اللوحة؟

قال الرجل بهدوء: بعشرة آلاف دينار فقط!

ضحك الوالي طويلًا، حتى اغرورقت عيناه، وبقي الشيخ ساكنًا، كأنه لم يقل شيئًا، وظل ينظر إلى اللوحة باعتزاز، قال الوالي: عشرة آلاف دينار! هل أنت جادّ؟

قال الشيخ: ولا نقاش في الثمن!

لم يجد الوالي في إصرار العجوز، إلا ما يدعو إلى الضحك والعجب.

وخمّن في نفسه أن هذا العجوز مختلّ في عقله، فظلّ يسايره، وأخذ يساومه على الثمن، فأوحى إليه أنه سيدفع في هذه اللوحة ألف دينار، والرجل يرفض، فزاد ألفًا، ثم ثالثة ورابعة، حتى وصل إلى تسعة آلاف دينار، والعجوز مازال مصرًّا على كلمته التي قالها.

ضحك الوالي، وقرر الانصراف، وهو يتوقع أن العجوز سيناديه إذا انصرف، ولكنه لاحظ أن العجوز لم يكترث لانصرافه، وعاد إلى كرسيه المتهالك، فجلس عليه بهدوء، وفيما كان الوالي يتجول في السوق فكّر، لقد كان ينوي أن يفعل شيئًا تأباه المروءة، فتذكر تلك الحكمة: «فكِّر قبل أن تعمل». فتراجع عما كان ينوي القيام به، ووجد انشراحًا لذلك. وأخذ يفكر، وأدرك أنه انتفع بتلك الحكمة، ثم فكّر، فعلم أن هناك أشياء كثيرة، قد تفسد عليه حياته لو أنه قام بها دون أن يفكر، ومن هنا وجد نفسه يهرول باحثًا عن دكان العجوز في لهفة، ولما وقف عليه قال: لقد قرّرت أن أشتري هذه اللوحة بالثمن الذي تحدِّده!

لم يبتسم العجوز، ونهض من على كرسيه بكل هدوء، وأمسك خِرْقَة، ونفض بقية الغبار عن اللوحة، ثم ناولها الوالي، وتسلّم المبلغ كاملًا، وقبل أن ينصرف الوالي قال له الشيخ: بعتك هذه اللوحة بشرط!

قال الوالي: وما الشرط؟

قال: أن تكتب هذه الحكمة على باب بيتك، وعلى معظم الأماكن في البيت، وحتى على أدواتك التي تحتاج إليها عند الضرورة، فكّر الوالي قليلًا، ثم قال: موافق. ذهب الوالي إلى قصره، وأمر بكتابة هذه الحكمة في أماكن كثيرة في القصر، حتى على بعض ملابسه وملابس نسائه، وكثير من أدواته.

وتوالت الأيام، وتبعتها شهور، وحدث ذات يوم أن قرر قائد الجند أن يقتل الوالي؛ لينفرد بالولاية، واتفق مع حلاق الوالي الخاص، وأغراه بألوان من الإغراء، حتى وافق أن يكون في صفّه، وفي دقائق سيتمّ قتل الوالي!

ولما توجّه الحلاق إلى قصر الوالي أدركه الارتباك، إذ كيف سيقتل الوالي، إنها مهمة صعبة وخطيرة، وقد يفشل، ويطير رأسه. ولما وصل إلى باب القصر رأى مكتوبًا على البوابة: «فكِّر قبل أن تعمل».

وازداد ارتباكًا، وانتفض جسده، وداخله الخوف، ولكنه جمع نفسه، ودخل، وفي الممر الطويل، رأى العبارة ذاتها تتكرر مرات عدة، هنا وهناك: «فكِّر قبل أن تعمل»، «فكِّر قبل أن تعمل»، «فكِّر قبل أن تعمل».

وحتى حين قرر أن يطأطئ رأسه، فلا ينظر إلا إلى الأرض، رأى على البساط العبارة نفسها تخرق عينيه، فازداد الحلاق اضطرابًا وقلقًا وخوفًا، فأسرع يمدّ خطواته؛ ليدخل الحجرة الكبيرة، وهناك رأى العبارة نفسها تقابله وجهًا لوجه: «فكِّر قبل أن تعمل»، فانتفض جسده من جديد، وشعر بأن العبارة ترنّ في أذنيه بقوة لها صدى شديد.

وعندما دخل الوالي هاله أن يرى أن الثوب الذي يلبسه الوالي مكتوب عليه: «فكّر قبل أن تعمل»، فشعر بأنه هو المقصود بهذه العبارة، بل داخله شعور بأن الوالي ربما يعرف ما خطَّط له!

وحين أتى الخادم بصندوق الحلاقة الخاص بالوالي، وأفزعه، فإذا به يقرأ على الصندوق العبارة نفسها: «فكّر قبل أن تعمل»، فاضطربت يده، وهو يعالج فتح الصندوق، وأخذ جبينه يتصبّب عرقًا، وبطرف عينه نظر إلى الوالي الجالس، فرآه مبتسمًا هادئًا، وذلك ما زاد في اضطرابه وقلقه.

فلما همَّ بوضع رغوة الصابون لاحظ الوالي ارتعاشة يده، فأخذ يراقبه بحذر شديد، وتوجُّس، وأراد الحلاق أن يتفادى نظرات الوالي إليه، فصرف نظره إلى الحائط، فرأى اللوحة منتصبة أمامه: «فكِّر قبل أن تعمل».



فوجد الحلاق نفسه يسقط منهارًا بين يدي الوالي، وهو يبكي منتحبًا، وشرح للوالي تفاصيل المؤامرة، وذكر له أثر هذه الحكمة التي كان يراها في كل مكان، ما جعله يعترف بما كان سيقوم به.

ونهض الوالي، وأمر بالقبض على قائد الحرس وأعوانه، وعفا عن الحلاق.

وقف الوالي أمام تلك اللوحة يمسح عنها ما سقط عليها من غبار، وينظر إليها بزهو، وفرح وانشراح، فاشتاق إلى مكافأة ذلك العجوز، وشراء حكمة أخرى منه. لكنه حين ذهب إلى السوق وجد الدكان مغلقًا، وأخبره الناس بأن العجوز قد مات!

انتهت القصة، ولكنها عندي لم تنتهِ بعد، بل بدأت بشكل جديد، وفي صورة أخرى، سألت نفسي: لو أن أحدنا كتب هذه العبارة مثلًا: «الله يراك.. الله ينظر إليك.. الله قريب منك.. الله معك.. يسمعك، ويحصي عليك».

كتبها في أماكن عدة في البيت، على شاشة جهاز الكمبيوتر مثلًا، وعلى طاولة المكتب، وعلى الحائط الذي يواجهه إذا رفع رأسه من على شاشة الحاسوب، وفوق التلفاز مباشرة، يراها وهو يتابع ما في الشاشة، وعلى لوحة صغيرة

يعلقها في واجهة سيارته، وفي أماكن متعددة من البيت، وفي مقر عمله.

بل، لو أن هذه العبارة لكثرة ما فكَّر فيها، وأعاد النظر فيها، استقرت في عقله الباطن، وانتصبت في بؤبؤ عينيه، واحتلت الصدارة في بؤرة شعوره، وتردّد صداها في عقله وقلبه، حيثما حملته قدماه، رآها تواجهه.. ونحو هذا.

«اللّه يراك.. اللّه ينظر إليك.. اللّه قريب منك.. اللّه معك.. يسمعك، ويحصي عليك». أحسب أن شيئًا مثل هذا لو نجح أحدنا فيه، سيجد له أثرًا بالغًا في حياته، واستقامة سلوكه، وانضباطًا في جوارحه، وسيغدو مباركًا حيثما كان.

- **الحكمة:** قد تبدو لك كثير من الأمور في غاية التفاهة، ولكن عند التعمق فيها تبدو عكس ذلك تمامًا.

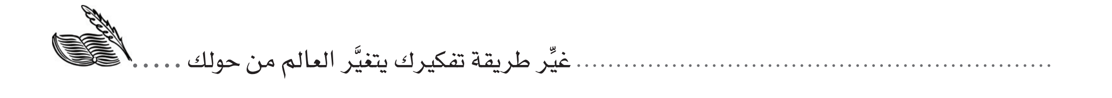


فضيحة على الملأ

في حفلة عشاء على شرف قس اسمه باولو، احتفالاً بتقاعده بعد ٢٥ سنة من الخدمة، اُختير رئيس البلدية لإلقاء كلمة بهذه المناسبة، بدأت الحفلة، وكان الجميع ينتظر قدوم رئيس البلدية، لكنه تأخّر، ولم يظهر، فقرر القس باولو أن يلقي كلمةً، وكانت كما يأتي:

«قبل ٢٥ عامًا، عندما قدمت إلى هنا، وتسلّمت عملي أخذت في البداية انطباعًا سيئًا عن سكان المنطقة، والسبب في ذلك أن أول شخص جلس على كرسي الاعتراف أمامي، اعترف لي بأنه سرق تلفازًا، واستطاع أن يكذب على الشرطة، وينجو بفعلته، ثم سرق مالاً من أبويه، واختلس مبلغًا ضخمًا من صاحب العمل، وعندما انتقل إلى عمل آخر أقام علاقة مع زوجة معلمه الجديد، وتاجر في الأدوية المهربة، وسرق مصوغات أخته. صدمت في البداية، لكنني عندما تعرفت أكثر على سكان المنطقة عرفت كم هم طيبون، وأن أول رجل اعترف لي لم يكن يمثلهم».

وحالما أنهى القس كلمته دخل رئيس البلدية، واعتلى المنصّة، واعتذر عن التأخير، ثم قال: «لن أنسى أبدًا، عندما



قدم القس باولو إلى بلدتنا المتواضعة، لقد كان لي الشرف أن أكون أول شخص يعترف أمامه».

• **الحكمة:** احرص على أن تكون أول من يحضر المناسبات العامة، خصوصًا إذا كان هناك حديث سوف يدور حولك.



فصاحة أعرابي

يحكى أن تاجرًا تعرض إلى قطاع الطريق، وأخذوا ماله، فلجأ إلى الخليفة المأمون؛ ليشكو إليه، وأقام ببابِه سنةً، فلم يؤذَن له، فلجأ إلى حيلة وصل بها إليه، وهي أنه حضر يوم الجمعة، ونادَى: يا أهل بغداد، اشهدوا علي بما أقول، فإن لي ما ليس لله، وعندي ما ليس عند الله، ومعي ما لم يخلقه الله، وأحب الفتنة، وأكره الحق، وأشهد بما لم أرَ، وأصلي بغير وضوء، فلما سمعه الناس حملوه إلى الخليفة المأمون، فقال له: أصحيح ما بلغني عنك؟

فقال: صحيح.

قال: فما حملك على هذا؟

قال: قُطع عليَّ، وأخذ مالي، ولي ببابك سنة لم يؤذن لي، ففعلت ما سمعت؛ لأراك وأبلغك لتردّ عليّ مالي.

قال: لكَ ذلك إن فسّرتَ ما قلتَ.

قال: نعم، أما قولي: إن لي ما ليس لله، فلي زوجة ووَلَد، وليس ذلك لله، وقولي: عندي ما ليس عند الله، فعندي الكذب والخديعة، والله بريء من ذلك.

وقولي: معي ما لم يخلقه الله، فأنا أحفظ القرآن، وهو غير مخلوق. وقولي: أحب الفتنة، فإني أحب المال والولد؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾. وقولي: أكره الحق، فأنا أكره الموت، وهو حق، وقولي: أشهد بما لم أَرَ، فأنا أشهد أن محمدًا رسول الله، ولم أره. وقولي: أصلي بغير وضوء، فإني أصلي على النبي بغير وضوء.

فاستحسن المأمون ذلك، وعوّضه عن ماله.

عبرة: غيّر طريقة تعاطيك مع الأحداث من حولك إذا لم تكن الأمور تجري كما تريد.



عبء المسؤولية

لما تلقى عمر بن عبدالعزيز خبر توليته الخلافة، انصدع قلبه من البكاء، وهو في الصف الأول، فأقامه العلماء على المنبر، وهو يرتجف، ويرتعد، وأوقفوه أمام الناس، فأتى ليتحدث، فما استطاع أن يتكلم من البكاء، قال لهم: بيعتكم بأعناقكم، لا أريد خلافتكم، فبكى الناس، وقالوا: لا نريد إلا أنت، فاندفع يتحدث، فذكر الموت، وذكر لقاء الله، وذكر مصارع الغابرين، حتى بكى من في المسجد.

يقول رجاء بن حيوة: والله لقد كنت أنظر إلى جدران مسجد بني أمية، ونحن نبكي، هل تبكي معنا؟! ثم نزل، فقرَّبوا له المراكب والموكب، كما كان يُفعَل بسلفه، فقال: لا، إنما أنا رجل من المسلمين، غير أني أكثر المسلمين حِملًا وعبئًا ومسؤولية أمام الله، قرِّبوا لي بغلتي فحسب، فركب بغلته، وانطلق إلى البيت، فنزل من قصره، وتصدَّق بأثاثه ومتاعه على فقراء المسلمين.

نزل عمر بن عبدالعزيز في غرفة في دمشق أمام الناس؛ ليكون قريبًا من المساكين والفقراء والأرامل، ثم استدعى زوجته فاطمة بنت الخلفاء، وأخت الخلفاء، وزوجة الخليفة، فقال لها: يا فاطمة، إني قد وليت أمر أمة محمد عليه

الصلاة والسلام (وتعلمون أن الخريطة التي كان يحكمها عمر، تمتد من السند شرقًا إلى الرباط غربًا، ومن تركستان شمالًا، إلى جنوب إفريقيا جنوبًا)، فإن كنت تريدين الله والدار الآخرة، فسلِّمي حُليّك وذهبك إلى بيت المال، وإن كنت تريدين الدنيا، فتعالي أمتعك متاعًا حسنًا، واذهبي إلى بيت أبيك، قالت: لا، والله، الحياة حياتُك، والموت موتُك، وسلّمت متاعها وحليّها وذهبها، فرفَعه إلى بيت مال المسلمين.

ونام القيلولة في اليوم الأول، فأتاه ابنه الصالح عبدالملك ابن عمر بن عبدالعزيز، فقال: يا أبتاه، أتنام، وقد وليت أمر أمة محمد، فيهم الفقير والجائع والمسكين والأرملة، كلهم يسألونك يوم القيامة، فبكى عمر، واستيقظ، وقد توفي ابنه هذا قبل أن يكمل العشرين.

عاش عمر , عيشة الفقراء، كان يأتدم خبز الشعير في الزيت، وربما أفطر في الصباح بحفنة من الزبيب، ويقول لأطفاله: هذا خير من نار جهنم.

وقد ذهب إلى بيت المال يزوره، فشمّ رائحة طيب، فسدّ أنفه، قالوا: ما لك؟ قال: أخشى أن يسألني الله ﷻ يوم القيامة: لِمَ شممت طيب المسلمين في بيت المال؟

دخل عليه أضياف ليلًا، فانطفأ السراج في غرفته، فقام يصلحه، فقالوا: يا أمير المؤمنين، اجلس. قال: لا، فأصلح

السراج، وعاد مكانه، وقال: قمت، وأنا عمر بن عبدالعزيز، وجلست وأنا عمر بن عبدالعزيز.

قالوا لامرأته فاطمة بعد أن توفي: نسألك بالله، أن تصِفي عمر؟ قالت: والله ما كان ينام الليل، والله لقد اقتربت منه ليلة، فوجدته يبكي، وينتفض، كما ينتفض العصفور بلّله القطْر، قلت: ما لك يا أمير المؤمنين؟ قال: ما لي! توليت أمر أمة محمد، وفيهم الضعيف المجهد، والفقير المنكوب، والمسكين الجائع، والأرملة، ثم لا أبكي، سوف يسألني الله يوم القيامة عنهم جميعًا، فكيف أُجيب؟

خاطرة: أعد لكل مسؤولية توليتها إجابة.



كلمة باطل

استجوب الضباط الإيطاليون المجاهد العظيم عمر المختار، فانظر ماذا قال، سأله أحد الضباط: هل حاربت الدولة الإيطالية؟

فأجاب: نعم.

وهل شجَّعت الناس على حربها؟

نعم.

وهل أنت مدرك عقوبة ما فعلت؟

نعم.

وهل تقرّ بما تقول؟

نعم.

منذ كم سنة، وأنت تحارب السلطات الإيطالية؟

منذ عشر سنين.

هل أنت نادم على ما فعلت؟

لا.

هل تدرك أنك ستُعدَم؟

نعم.

فيقول له القاضي بالمحكمة: أنا حزين أن تكون هذه نهايتك.

فيردّ عمر المختار: بل، هذه أفضل طريقة أختم بها حياتي.

فيحاول القاضي أن يغريه، فيحكم عليه بالعفو العام، مقابل أن يكتب للمجاهدين أن يتوقفوا عن جهاد الإيطاليين، فينظر إليه عمر، ويقول كلمته المشهورة: إن السبابة التي تشهد في كل صلاة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، لا يمكن أن تكتب كلمة باطل.

لقد خطر لي أن أعلق على هذه القصة، ولكني لم أفعل؛ لأن القصة لا تحتاج إلى تعليق، فسبحان من جعلها تتكلم عن نفسها!





الآراء لا تدوم[1]

درست قبل ست سنوات مادة الإحصاء في الولايات المتحدة الأمريكية مع فتاة تبغض الزواج، ترتدي بإسراف (فانلات) مرسومًا عليها وجوه رجال بشعين تعلوهم علامة إكس (X) وتذيِّل توقيعها، في بريدها الإلكتروني بعبارة: الروائية البريطانية الشهيرة، ماري كوريللي: لا أريد زوجًا؛ لأن لدي حيوانات أليفة تؤدي الدور نفسه، لدي كلب ينبح كل صباح، وببغاء يثرثر طوال الظهر والعصر، وهرّ يأتي خلسة إلى المنزل في ساعة متأخرة من الليل.

وكان واحد من زملائي السعوديين أحد أكبر المناهضين لها، يستعرض صور زوجته وأطفاله المبتسمين أمامها؛ نكاية فيها، ولسان حاله يقول: موتي غيظًا!

وكلما استفزّها ابن جلدتنا بعثت إليه رابطًا إلكترونيًّا يحتوي على مشاهد لأسر منكوبة إثر الزواج، أو أخبارًا صحفية تظهر اعتداءات الآباء على ذويهم.

وكان الفصل برمته يتفرج بحماسة على القصف المتبادل، فقد كانت تصلنا نسخ من تلك الروابط والرسائل، كأننا نجلس حول حلبة ملاكمة، نحتسي القهوة، ونهتف مع كل لكمة.

---

(١) (قصة بتصرف) وردتني عبر البريد الإلكتروني أنقلها لكم كما هي.



وحينمـا أرسـلت إليـه زميلتنـا عبـارة الممثـل والمخرج الأمريكي وودي ألين: «لم أشـعر أنا وزوجتي بلذّة مشتركة إلا عندما وقّع القاضي أوراق الطلاق».

ردّ عليهـا بإيميـل أرفـق فيـه صـورة ضـوئية لبطاقـة رومانسية أهدتها إليه زوجته كتبت فيها: «عالمي أصبح معك أزكى وأشـهى، لا أدري ماذا سـأفعل لو لم تكن في حياتي؟!»، سـأكون قطعًا إما محاصـرة في مستشـفى المجانـين أو أحد أنصار المخرج الفارغ وودي ألين».

وعندمـا كتـب زميلنا مقالًا في نشـرة الجامعـة، يتناول خلاله دور الأزواج في تشـييد الأسـر الناجحة، ردّت عليه في العدد المقبل بمقال طويل استهلّته بتصريح ساخر للكوميديان الأمريكـي، جاكي ماسـون، يقـول فيه: «ثمانـون في المئة من الرجـال المتزوجين يخونـون في أمريكا، والبقيـة يخونون في أوروبا».

وفور أن سألته زميلته اللدودة في الفصل: «كيف تستطيع أن تنام بجوار شخص يشخِّر؟».

أجابها بسـؤال مباغت: «هل جربتِ أن تتناولي فطورك في الفراش؟ اعتدت أنا وزوجتي إعداد الفطور لبعضنا».

استرجعت هذه الحرب الضروس بعد أن جمعنا الفيس بوك أخيرًا بعد سنوات من التشرد والشتات.

المفاجأة كانت أن زميلتنا العزبة الشهيرة، المناوئة للزواج، تزوجت وأنجبت، وتعيش حياة سعيدة مع زوجها وطفلها، حسب تعبيرها، في حين أن زميلنا المنافح عن الحياة الزوجية يعيش حياة أسرية «مضطربة» وفق وصفه. وعندما سألته عن السبب أجاب مازحًا: «أكل الأجبان يوميًّا يسبب الإمساك».

قصة زميلتنا وزميلنا السابقة تؤكد أن الآراء المتطرفة لا تدوم، بل تنهار، وتهرم مع مرور الوقت.

فلا الانصراف عن الزواج خيار منطقي وموضوعي، ولا تصوير الحياة الزوجية بالوردية أمر موفق.

معاناة كثير من المتزوجين والمتزوجات، على حد سواء، تكمن في أنهم كانوا يعتقدون أن الزواج كالاستجمام الدائم على شاطئ مبلل بالفرح والبهجة، ما ينعكس سلبيًّا على حياتهم، عندما يقترن أحدهم فعليًّا بشريك العمر، حيث يكتشفان أن الزواج ليس كما كانا يتصورانه.

فمنذ أن يغلق الزوجان الباب عليهما تجتاحهما المسؤوليات شيئًا فشيئًا لتحل محل المشاعر الرومانسية

المتأججة، فيتسرب الملل، ويشيع الإحباط إذا لم يتعاملا بتوازن مع واجباتهما وسعادتهما المشتركة.

المقدم على الحياة الزوجية عليه ألا يُفرط في التفاؤل، ولا يدع المسؤوليات والواجبات والأطفال تسرق حياته وزوجته منه، والعكس صحيح.

وإذا أراد أحدهما من الآخر شيئًا فعليه أن يبادر، فإذا سئم الزوج من تسريحة زوجته أو هيئتها فعليه أن يبدأ بنفسه أولًا، فيعتني بهندامه ومظهره، فمن غير اللائق أن ينتقد الرجل لباس زوجته، وهو يرتدي ملابس رثة.

• **خاطرة:** الحياة الزوجية ليست كلها عسلًا أو بصلًا، لكنها لا تخلو من الاثنين؛ فالفطور لا يكتمل دون عسل، والغداء لا يصلح بلا بصل.



عذر أقبح من ذنب

في أثناء حديث الملك مع فيلسوفه، ذكر الفيلسوف عَرَضًا أن العذر قد يكون أقبح من الذنب أحيانًا، وهنا انبرى الملك إليه صائحًا: هل جننت؟ كيف يكون العذر أقبح من الذنب، في حين أن العذر يكون دائمًا مبررًا ومخففًا للذنب؟

فردّ عليه الفيلسوف قائلًا: مولاي، أعطني بعض الوقت، وسأثبت لك صحة هذه المقولة، فردّ عليه الملك مهددًا: من مصلحتك أن تفعل هذا في غضون يوم، وإلا فقدت وظيفتك، أو ربما رأسك.

وفى اليوم المقبل، حين كان الملك منحنيًا يداعب كلبه، جاء الفيلسوف من خلفه، ثم ركله ركلة عنيفة على مؤخرته.

فاستدار الملك غاضبًا، وقال سائلًا الفيلسوف بغضب: ويحك! ماذا فعلت أيها المجنون؟!

فردّ عليه الفيلسوف بسرعة قائلًا:

ألتمس عذرك يا مولاى، فلقد ظننتك الملكة!

• **عبرة:** أحيانًا يكون تفسير الموقف أو الرأي بالفعل أبلغ منه بالقول.

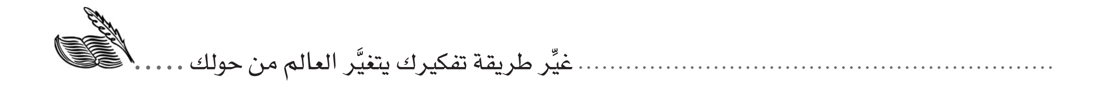




لا تتسرع

كان هناك رجل جالسًا في أحد المقاهي الفرنسية، ينظر إلى محتويات الكأس الذي أمامه أكثر من نصف ساعة، وفجأة دخل سائق شاحنة محب للمشكلات، وجلس بالقرب منه، ثم أخذ الكأس من أمام الرجل، وشربه دفعة واحدة دون استئذان من الرجل المسكين الذي بدأ في البكاء، عندها قال له سائق الشاحنة: ويلك يا رجل، أنا أمزح معك، سوف أشتري لك غيره، أرجوك، فأنا لا أحتمل بكاء رجل.

أجاب الرجل: أنا لا أبكي من أجل المشروب، ولكن اليوم هو أتعس يوم في حياتي؛ فقد تأخرت في النوم، ما أدى إلى التخلف عن موعد عمل مهم فيه صفقه تجارية مهمة للشركة التي أعمل فيها، فأغضب ذلك رئيسي في العمل، فطردني، وعندما غادرت المكان إلى مواقف السيارات وجدت سيارتي قد سرقت، فاستقللت سيارة الأجرة. وبعد أن دفعت الحساب، وغادرت المكان اكتشفت أنني نسيت محفظتي في السيارة، فدخلت البيت، فوجدت زوجتي تخونني مع عامل الحديقة، فجئت إلى هنا أفكر في وضع حدّ لحياتي، فوضعت السمّ في الكأس، وجلست أفكر في الانتحار، فجئت أنت، وشربت الكأس، فحرمتني حتى من الانتحار.



• **عبرة:** من الجيد التأكد من سلامة الإجراءات والتصرفات التـي تقوم بها قبل تنفيذها، وعنـد تنفيذها دون مراجعة، فعليك تحمل النتائج.



الحجّ

بعد انتهاء شعائر الحج وانفضاض الحجيج، كلٌّ إلى حال سبيله اكتظ المطار بالحجاج العائدين إلى بلادهم، ينتظرون طائراتهم؛ لتقلَّهم إلى الأحباب الذين ينتظرونهم بفارغ الصبر.

جلس سعيد على الكرسي، وبجانبه حاجّ آخر، فسلّم الرجلان على بعضهما، وتعارفا وتجاذبا أطراف الحديث، حتى قال الرجل الآخر:

– والله يا أخ سعيد، أنا أعمل مقاولًا، وقد رزقني الله من فضله، وفزت بمناقصة أعدّها صفقة العمر، وقد قررت أن يكون أداء فريضة الحج للمرة العاشرة أول ما أفعله شكرًا لله على نعمته التي أنعم بها علي، وقبل أن آتي إلى هنا أديت زكاة أموالي، وتصدقت؛ كي يكون حجّي مقبولًا عند الله، ثم أردف بكل فخر واعتزاز:

– وهأنذا قد أصبحت حاجًّا للمرة العاشرة.

أومأ سعيد برأسه، وقال:

– حجًّا مبرورًا، وسعيًا مشكورًا، وذنبًا مغفورًا إن شاء الله.

ابتسم الرجل، وقال:

- أجمعين يا رب، وأنت يا أخ سعيد، هل لحجّك قصة خاصة؟

أجاب سعيد بعد تردّد:

- والله يا أخي، قصة طويلة، ولا أريد أن أُوجع رأسك بها.

ضحك الرجل، وقال:

- بالله عليك، هلاّ أخبرتني، فكما ترى نحن لا نفعل شيئًا سوى الانتظار هنا.

ضحك سعيد، وقال:

- نعم، الانتظار، وهو ما تبدأ به قصّتي، فقد انتظرت سنين طويلة، حتى أحجّ، فأنا أعمل منذ أن تخرجت معالجًا فيزيائيًّا قبل ٣٠ سنة، وقاربت على التقاعد، وزوّجت أبنائي، وارتاح بالي، ثم قررت بما تبقى من مدخراتي البسيطة أداء فريضة الحج هذا العام، فلا يضمن أحد ما تبقى من عمره، وهذه فريضة واجبة.

ردّ الرجل:

- نعم، الحج ركن من أركان الإسلام، وهو فرض على كل من استطاع إليه سبيلًا.

أكمل سعيد:

صدقت، وفي اليوم نفسه الذي كنت أعتزم فيه الذهاب إلى متعهد الحج بعد انتهاء الدوام، وسحبت لهذا الغرض كل النقود من حسابي، صادفت إحدى الأمهات التي يُعالج ابنها المشلول في المستشفى الخاص الذي أعمل فيه، وقد كسا وجهها الهمّ والغمّ، وقالت لي: أستودعك الله يا أخ سعيد، فهذه آخر زيارة لنا لهذا المستشفى، استغربت كلامها، وحسبت أنها غير راضية عن علاج ابنها، وتفكر في نقله إلى مكان آخر، فقالت لي: لا، يا أخ سعيد، يشهد الله أنك كنت لابني أحنّ من الأب، وقد ساعده علاجك كثيرًا، بعد أن كنّا قد فقدنا الأمل فيه.

استغرب الرجل، وقاطع سعيد قائلًا:

- غريبة، إذا كانت راضية عن أدائك وابنها يتحسن، فَلِمَ تركت العلاج؟

أجابه سعيد:

- هذا ما فكرت فيه، وشغل بالي، فذهبت إلى الإدارة، وسألت المحاسب عن سبب ما حدث، وإن كان بسبب قصور

مني؟ فأجابني المحاسب بأن لا علاقة لي بالموضوع، ولكن زوج المرأة قد فقد وظيفته، وأصبحت الحال صعبة جدًّا على العائلة، ولم تعد تستطيع دفع تكاليف العلاج الطبيعي، فقررت إيقافه.

حزن الرجل، وقال:

- لا حول ولا قوة إلا بالله، مسكينة هذه المرأة، فكثير من الناس فقدوا وظائفهم بسبب أزمة الاقتصاد الأخيرة، وكيف تصرفت يا أخ سعيد؟

أجاب سعيد:

- ذهبت إلى المدير، ورجوته أن يستمر في علاج الصبي على نفقة المستشفى، ولكنه رفض رفضًا قاطعًا، وقال لي: إن هذا مستشفى خاص يبتغي الربح، وليس مؤسسة خيرية للفقراء والمساكين، ومن لا يستطيع الدفع، فليس من حقّه العلاج.

خرجت من عند المدير حزينًا مكسور الخاطر على المرأة وابنها، خصوصًا أن الصبي قد بدأ يتحسن، وإيقاف العلاج معناه انتكاسة تعيده إلى نقطة الصفر، وفجأة وضعت يدي لا إراديًّا على جيبي الذي فيه نقود الحج، فتسمّرت في مكاني لحظة، ثم رفعت رأسي إلى السماء، وخاطبت ربي قائلًا:

اللهم، أنت تعلم بمكنون نفسي، وتعلم أن ليس أحبّ إلى قلبي من حج بيتك وزيارة مسجد نبيك، وقد سعيت لذلك طوال عمري، وعددت لأجل ذلك الدقائق والثواني، ولكني مضطر إلى أن أخلف ميعادي معك، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم.

وذهبت إلى المحاسب، ودفعت كل ما معي له أجرة لعلاج الصبي ستة أشهر مقدمًا، وتوسلت إليه أن يقول للمرأة: إن المستشفى له ميزانية خاصة للحالات المشابهة.

دمعت عينا الرجل، وقال:

- بارك اللّه لك، وأكثر من أمثالك، ولكن إذا كنت قد تبرعت بمالك كله، فكيف حججت إذًا؟

قال سعيد ضاحكًا:

- أراك تستعجل النهاية، هل مللت من حديثي؟ اسمع يا سيدي، بقية القصة، رجعت يومها إلى بيتي حزينًا على ضياع فرصة عمري في الحج، وفرحت لأني فرّجت كربة المرأة وابنها، ونمت ليلتها ودمعتي على خدّي، فرأيت نفسي في المنام، وأنا أطوف حول الكعبة والناس يسلمون علي، ويقولون لي: حجًّا مبرورًا يا حاج سعيد، فقد حججت في السماء قبل أن تحجّ على الأرض، دعواتك لنا يا حاج سعيد،

حتى استيقظت من النوم، وأنا أحس بسعادة غير طبيعية على الرغم من أني كنت شبه متأكد أني لن أتشرف يومًا بلقب حاج، فحمدت الله على كل شيء، ورضيت بأمره.

وما أن نهضت من النوم حتى رنّ الهاتف، وكان مدير المستشفى الذي قال لي:

– يا سعيد، أنجدني، فأحد كبار رجال الأعمال يريد الذهاب إلى الحج هذا العام، وهو لا يذهب دون معالجه الخاص الذي يقوم على رعايته وتلبية حاجاته، ومعالجه زوجته في أيام حملها الأخيرة، ولا يستطيع تركها، فهلاّ أسديت إلي خدمة، وذهبت بدلًا منه؟ لا أريد أن أفقد وظيفتي إذا غضب مني، فهو يملك نصف المستشفى.

قلت له بلهفة:

– وهل سيسمح لي بأن أحجّ؟

فأجابني بالموافقة، فقلت له: إني سأذهب معه دون أي مقابل مادي، وكما ترى، فقد حججت بأحسن ما يكون عليه الحج، وقد رزقني الله حج بيته دون أن أدفع أي شيء، والحمد لله وفوق ذلك فقد أصرّ الرجل على إعطائي مكافأة مجزية؛ لرضاه عن خدمتي له، وحكيت له قصة المرأة المسكينة، فأمر بأن يعالج ابنها في المستشفى على نفقته الخاصة، وأن يكون

في المستشفى صندوق خاص لعلاج الفقراء، وفوق ذلك، فقد وظّف زوجها في وظيفة لائقة في إحدى شركاته.

نهض الرجل وقبّل سعيد على جبينه، قائلًا:

- والله لم أشعر في حياتي بالخجل، مثلما أشعر الآن يا أخ سعيد، فقد كنت أحج المرة تلو الأخرى، وأنا أحسب نفسي قد أنجزت شيئًا عظيمًا، وأن مكانتي عند الله ترتفع بعد كل حجة، ولكني أدركت لتوي أن حجّك بألف حجّ من أمثالي، فقد ذهبت أنا إلى بيت الله، في حين دعاك الله إلى بيته، ومضى، وهو يردّد: غفر الله لي، غفر الله لي.

• **خاطرة: «الله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه...»**[(١)].



(١) أخرجه مسلم (رقم ٢٦٩٩).

قانون الزواج

عاد الزوج من عمله متجهّم الوجه، مقطب الجبين، ففتحت له زوجته الباب، فلم يسلم عليها، ولم يكلمها، ولم يغيّر ملابس العمل، كعادته كل يوم، جلس في زاوية، ووضع يده على رأسه، وراح يتأفف، قدمت له زوجته الطعام، فلم يأكل، وقال: أعيدي الطعام إلى مكانه، فلن آكل شيئًا، سألته: ما بك؟

قال في انفعال: لا شيء.. لا شيء..

قالت: أرجوك، أخبرني، فلعلي أستطيع مساعدتك، قال: قلت لكِ: لا شيء.. فدعيني وشأني، تلطفت معه أكثر، وقالت: أنا زوجتك وصاحبة سرك، فلمن تبثّ همّك إذا لم تبثّه لزوجتك؟

تشجع، وقال: وبماذا تستطيعين مساعدتي؟

قالت: أساعدك بحياتي لو أردت، وهل عندي من هو أغلى منك؟ فقط، قل لي: ما الذي أزعجك؟

قال: قانون تزمع الحكومة إصداره، هو الذي أزعجني.

قالت: وما دخلك أنت بقوانين الحكومة؟

قال: القانون يقول: يحكم بالإعدام على كل رجل لا يتزوج على زوجته!

قالت: وهل يزعجك يا حبيبي، أن تموت شهيدًا؟!

• **عبرة:** الذكاء يملكه كل أحد، ولكن حسن التدبير في المواقف لا يملكه إلا قلة من الناس.





أريد أن أكون تلفازًا

طلبت مدرّسة من تلاميذ فصلها كتابة نص عما يتمنون أن يكونوا عليه، أو يحدث لهم.

في نهاية الدوام المدرسي جلست المدرّسة في بيتها، تراجع ما كتبه طلبتها، واسترعى نظرها رسالة بعينها، وما أن انتهت منها، حتى امتلأت مآقيها بالدموع تأثرًا بما قرأت، وفي تلك اللحظة دخل زوجها، عائدًا من عمله، وشاهد تأثرها الشديد، فسألها عما حدث؟ فمدت يدها له بورقة الإجابة، وطلبت منه قراءتها، فقرأ: «يا إلهي، سأطلب منك الليلة شيئًا خاصًّا جدًّا، أريدك أن تحولني إلى تلفاز، وأن آخذ مكان جهازنا في البيت، وأن أعيش مثله بيننا، وأن يكون لي مكان خاص بي، وأن تجتمع عائلتي حولي، وأن أعامل بجدية، عندما أتحدث، وأن أكون مركز الاهتمام، وألا أقاطع، عندما أسأل، وأن أتلقى العناية نفسها التي يحظى بها التلفاز، عندما لا يعمل لسبب أو لآخر، وأن أتمتع برفقة والدي، عندما يعود إلى البيت مساءً، حتى عندما يكون متعبًا، وأن تتعلق بي أمي، حتى وهي حزينة أو متكدرة، بدلًا من كل عدم الاهتمام الذي ألقاه الآن، وأريد يا إلهي، من أخي أن يتعارك من أجل أن يكون معي، وأن أشعر بأن عائلتي بين الفينة والأخرى تترك كل شيء فقط لتقضي بعض الوقت معي، وأخيرًا أتمنى أن

أجعلهم جميعًا سعداء، وأتمنى ألا أكون قد بالغت في طلبي، فما أريده هو أن أعيش كجهاز التلفاز».

وما أن انتهى الزوج من قراءة الرسالة، حتى قال متأثرًا: شيء محزن، يا له من طفل حزين ووالدين تعيسين، ولكنني يا حبيبتي، لا أجد الأمر يستحق كل هذا الحزن! فردّت عليه قائلة: كاتب هذه المقالة هو ابننا.

- **الحكمة:** حسن تدبيرك لوقتك في هذه الحياة المليئة بالضجيج وكثرة المشاغل يغنيك عن قراءة مثل هذه الرسائل.





شعب من الحمير

تهلّلت أسارير السلطان، وهو يقرأ في واحدة من صحفه الرسمية عن اختراع أجنبي جديد آلة تحوّل البشر إلى حمير!

لم تلبث تلك الابتسامة أن تحولت إلى قهقهة عالية، بعد أن ذكر تفصيل الخبر أن طبيبًا ألمانيًّا اخترع هذه الآلة؛ ليتمكن من إجراء تجاربه على الحمير دون الخوف من المنظمات الحقوقية، فقد اكتشف الطبيب الألماني أن منظمات الحقوق تثور، إما للإنسان أو للحيوان، جميع الحيوانات ما عدا الحمير لا أحد يثور لأجلها أو يعترض!

ويبدو أن صوت الضحكة كان مجلجلًا، إذ دخل المستشار الأول للسلطان على إثر ضحكته المزعجة، وهو ينحني متملقًا، حتى أوشك يُقبّل قدمه، وهو يقول: خيرًا إن شاء الله، ما الذي يضحك مولانا هذا الصباح!

تجشأ السلطان في صوتٍ مرتفع مقزز، وهو يرمي بالصحيفة إلى يد مستشاره الأكبر، وهو يقول: اقرأ هذا الخبر المضحك، ثم قل لي: ما رأيك؟!

أمسك المستشار الصحيفة بيده اليمنى، وتلقّف باليسرى تفاحة ضخمة قذفها له سيده، فبدا أشبه ما يكون بالكلب!

وأخذ يمرّ على الخبر بعينيه بسرعة، ثم التمع بريق غامض في عينيه، وهو يقول: ما رأيك يا مولاي، في أن نستغل هذا الاختراع لمصلحتنا؟!

عقد السلطان حاجبيه في تركيز، وهو يقول: وكيف ذلك؟!

استطرد المستشار قائلًا: تخيّل يا سيدي، أن نشتري عددًا هائلًا من تلك الآلات، ونضعها في مداخل دور التعليم المشي في أسواق المدينة، ومن ثم يمرّ جميع شعبك من خلالها، وفجأة، يتحول شعبك كله إلى حمير!

ازداد انعقاد حاجبي السلطان، وهو يسأل في غباء: وما فائدتي من كل ذلك؟!

تقوّس ظهر المستشار، ولامس أنفه الأرض فعلًا بين قدمي السلطان، ثم اعتدل، وهو يقول: هذا سؤال لا يسأله حاكم حكيم مثلكم يا مولاي!

تخيّل أنك تحكم شعبًا من الحمير، يعمل دون كلل ولا ملل، شعب بلا اعتراض، ولا إرادة، سوف تمتد سنوات حكمك ثلاثين سنة أو ستين، وربما أكثر.

برقت عينا السلطان في جشع، وهو يقول: أريدك أن تشتري لي كل الآلات الموجودة اليوم.



بل الآن حالًا!

المستشار ينحني: أمرك مولاي، ثم ينصرف.

وبعد أسبوع واحد من شراء الآلات، وتعميمها على جميع المرافق والحدائق والأماكن العامة، استدعى الحاكم مستشاره على وجه السرعة، فيصطدم رأسه في المائدة الضخمة؛ ذلك أنه تسرّع في الانحناء.

الحاكم يمسكه من تلابيبه بقسوة، وهو يقول: ما الذي فعلته آلتك الحمقاء أيها المأفون؟!

المستشار يتظاهر بالغباء، وهو يقول: ما الذي فعلته يا مولاي؟ أخبرني!

الحاكم يقذف مستشاره بقسوة، فيقع بين قدميه، ويزأر في وحشية:

ألم تقرأ صحفنا الرسمية؟

المظاهرات تقوم ضدي في كل مكان، دولتي هي الدولة الوحيدة التي بدأت تجاهر باعتراضها على الحاكم.

مسيرات طلابية ضخمة، طوابير لا تنتهي من المحتجين على سياستي في الحكم، والمفكرون يعبرون عن آرائهم بحرية، والكتاب والصحفيون يسلخون جلدي، وأنا على قيد

الحياة. كل ذلك، وأنت تتظاهر بأنك لا تعرف، ثم سال لعابه فوق صلعة مستشاره، وصرخ غاضبًا: ما الذي يحدث؟

المستشار يسجد بين قدمي السلطان، ويرفع رأسه بانكسار، وهو يقول بصوتٍ لا يكاد يسمع: آسف يا سيدي، فأنا للتو قرأت الدليل المرفق بالآلة.

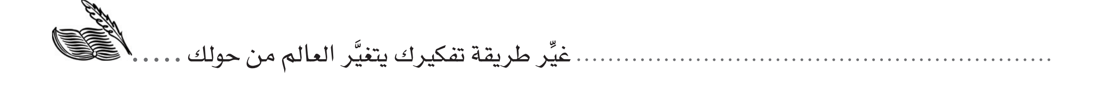
نظر الحاكم إلى مستشاره نظرة جفّفت الدم في عروقه، وهو يقول:

ما الذي يعنيه ذلك؟

خفّض المستشار رأسه، وهو يقول: الفقرة الثانية من دليل المستخدم تقول: إنك بإمكانك أن تحصل على نتيجة عكسية لو أردت.

انعقد حاجبا الحاكم في غباء، وهو يقول: أنا لا أفهم ما ترمي إليه. ما الذي تريد قوله؟

ترقرقت الدموع في عيني المستشار، وهو يقول: الفقرة الثانية تقول في وضوح: يا سيدي، إن تأثير هذه الآلة لا يقتصر على البشر فقط، أي إنه لا يكتفي بتحويل البشر إلى حمير إذا مروا من خلال الآلة، بل إنك بإمكانك أن تحوِّل الحمير إلى بشر من خلال مرورهم في الآلة نفسها.



اتسـعت عينا الحاكم في رعب، وهو يقول: هل تعني أننا حصلنا على بشر.

تحشـرج صوت المستشار، وهو يقول: نعم، يا مولاي، لقد كنت تحكم شعبًا من الحمير طوال ثلاثين عامًا، وها هو الآن تحول إلى بشر؟

خاطرة: قـد يكون تخطيطك عاليًا ودقيقًـا، ولكن دون قراءة متأنية وشـاملة للتفاصيل قد تكون النتائج عكس ما ترجوه تمامًا.



شخصية مبادرة

في إحدى أمسيات شهر ديسمبر عام ١٩٥٥ الباردة جمعت (روزا باركس) ذات البشرة السمراء التي تعمل خياطة حاجاتها، وتجهزت للعودة إلى بيتها بعد يوم من العمل الشاق المضني، مشت روزا في الشارع تحتضن حقيبتها مستمدة منها بعض الدفء اللذيذ.

التفتت يمنة ويسرة، ثم عبرت الطريق، ووقفت تنتظر الحافلة؛ كي تقلّها إلى وجهتها، وفي أثناء وقوفها الذي استمر عشر دقائق كانت (روزا) تشاهد في ألم منظرًا مألوفًا في أمريكا آنذاك، وهو قيام الرجل الأسود من كرسيه؛ ليجلس مكانه رجل أبيض.

لم يكن هذا السلوك وقتها نابعًا من روح أخوية، أو لمسة حضارية، بل إن القانون الأمريكي آنذاك كان يمنع منعًا باتًّا جلوس الرجل الأسود، وسيده الأبيض واقف، حتى إن كانت الجالسة امرأة سوداء عجوزًا، وكان الواقف شابًّا أبيض في عنفوان شبابه، فتلك مخالفة تُغرم عليها المرأة العجوز.

وكان مشهورًا وقتها أن تجد لوحة معلّقة على باب أحد المحالّ التجارية أو المطاعم مكتوبًا عليها: (ممنوع دخول القطط والكلاب والرجل الأسود).

كل تلك الممارسات العنصرية كانت تصيب (روزا) بحالة من الحزن والألم والغضب، فإلى متى يعاملون على أنهم هم الدون والأقل مكانة؟!

لماذا يُحقرون، ويُزدرون، ويكونون دائمًا في آخر الصفوف، ويصنفون سواء بسواء مع الحيوانات؟

وعندما وقفت الحافلة استقلّتها (روزا)، وقد أبرمت في صدرها أمرًا.

قلّبت بصرها يمنة ويسرة، فما أن وجدت مقعدًا خاليًا، حتى ارتمت عليه، وقد ضمّت حقيبتها إلى صدرها، وجلست تراقب الطريق الذي تأكله الحافلة في هدوء، إلى أن جاءت المحطة المقبلة، وصعد الركاب، وإذا بالحافلة ممتلئة، وبهدوء اتجه رجل أبيض إلى حيث تجلس (روزا) منتظرًا أن تفسح له المجال، لكنها ويا للعجب نظرت إليه غير مبالية، وعادت لتطالع الطريق مرة أخرى!

ثارت ثائرة الرجل الأبيض، وأخذ الركاب البيض يسبون (روزا) ويتوعدونها إن لم تقم من فورها، وتجلس الرجل الأبيض الواقف.

لكنها أبت، وأصرت على موقفها، فما كان من سائق الحافلة أمام هذا الخرق الواضح للقانون إلا أن يتجه

مباشـرة إلى الشرطة؛ كي تحقق مع تلك المرأة السوداء التي أزعجت السادة البيض!

وبالفعل تمّ التحقيق معها وتغريمها خمسة عشر دولارًا، نظير تعدّيها على حقوق الآخرين.

وهنـا انطلقت الشـرارة في سـماء أمريكا، ثـارت ثائرة السود في جميع الولايات، وقرّروا مقاطعة وسائل المواصلات، والمطالبة بحقوقهم بوصفهم بشرًا، لهم حق الحياة والمعاملة الكريمة.

استمرت حالة الغليان مدة طويلة، امتدت إلى ٣٨١ يومًا، وأصابت أمريكا بصداع مزمن.

وفي النهاية خرجت المحكمة بحكمها الذي نصـر (روزا باركس) في محنتها، وتمّ إلغاء ذلك العرف الجائر وكثير من الأعراف والقوانين العنصرية.

وفي ٢٧ أكتوبر عام ٢٠٠١، بعد مرور ٤٦ سـنة على هذه الحادثـة، تمّ إحياء ذكراها في التاريخ الأمريكي، حيث أعلن السـيد سـتيف هامب، مديـر متحف هنري فـورد في مدينة ديربورن في ميتشـيجن عن شـراء الحافلة القديمة المهترئة من موديل الأربعينيات التي وقعت فيها حادثة السـيدة (روزا باركـس) التي قدحت الزناد الذي دفع حركة الحقوق المدنية

في أمريكا للاستيقاظ، بحيث تعدّل وضع السود.

وقد تمّ شراء الحافلة بمبلغ ٤٩٢ ألف دولار أمريكي. وبعد أن بلغت (روزا باركس) الثمانين من العمر، تذكر في كتاب صدر لها لاحقًا بعنوان «القوة الهادئة» عام ١٩٩٤ بعضًا مما اعتمل في مشاعرها آنذاك، فتقول: «في ذلك اليوم تذكرت أجدادي وآبائي، والتجأت إلى الله، فأعطاني القوة التي يمنحها للمستضعفين».

وفي ٢٤ أكتوبر عام ٢٠٠٥ احتشد الآلاف من المشيعين الذين تجمعوا للمشاركة في جنازة (روزا باركس) رائدة الحقوق المدنية الأمريكية التي توفيت عن عمر يناهز ٩٢ عامًا.

يوم بكى فيه الآلاف، وحضره رؤساء دول، ونكّس فيه علم أمريكا، وتمّ تكريمها بأن رقد جثمانها في أحد مباني الكونجرس منذ وفاتها حتى دفنها، وهو إجراء تكريمي لا يحظى به سوى الرؤساء والوجوه البارزة.

ولم يحظَ بهذا الإجراء سوى ٣٠ شخصًا منذ عام ١٨٥٢، ولم يكن منهم امرأة واحدة.

ماتت (روزا) وعلى صدرها أعلى الأوسمة، فقد حصلت على الوسام الرئاسي للحرية عام ١٩٩٦، والوسام الذهبي

للكونجرس عام ١٩٩٩، وهو أعلى تكريم مدني في البلاد. وفوق هذا وسام الحرية الذي أهدته لكل بني جنسها عبر كلمة: (لا) أشهر (لا) في تاريخ أمريكا.

- **تدبر:** كل حدث تاريخي جلل، وكل موقف كبير مشرف، كان وراءه شخصية مبادرة تؤمن بقدرتها على قهر ما اصطلح الناس على تسميته بـ(المستحيل)، فكيف يصبح المرء منا شخصية مبادرة؟ كيف يمكن أن نصنع بأيدنا العالم الذي نحيا فيه؟



شاب جامعي

شـاب جامعي خلـوق أراد أن يتـزوج، لكن أمـه العجوز تكفلت له بأن تبحث له عن فتاة تعرفها، وتدخل مزاجها؛ لأنه ليس كل بنت على حد زعمها تصلـح له، أخوات هذا الشـاب ذكـرن له زميلتهن في الكلية، وهي فتاة رائعة وآية في الجمال والأخلاق واجتماعية بشـكل كبير، ومن كثرة ما يتكلمن عنها تعلـق قلبه بهـا، وطلب من أخواتـه أن يكلمنها عنـه، فبدأت البنـات يتحدثن لتلك الفتـاة عن أخيهن، أخلاقـه الرائعة، ودمـه الخفيـف، وحفاظه على الصـلاة، واحتقاره للشـباب الذين يتسـكعون، فتعلقت المسكينة به، وأحبته، وتمنت اليوم الـذي يجمعها به، لكن المشـكلة أنهما من قبيلتين مختلفتين، فكيـف يقنعون الأم العجـوز بهذه الزوجة، وبعد مشـاورات، وكمـا تعرفـون النسـاء وحيلهن، بعـد يومين اتصلـت البنت المتيمـة بأخوات الشـاب، وقالـت: ليس هنـاك إلا أن أتعرف على والدتكم شخصـيًّا، وأجعلها تعجب بي، وهي نفسها التي تخطبنـي لابنها، فأخذن يفكرن في الطريقة التي تتعرف بها على أمه؟

طرأ على بالها أن أباها وأمها سـوف يحجّان هذا العام، فقالـت: ما رأيكن في أن تذهب والدتكن إلى الحج في الحملة التي يذهب فيها أهلي، وأنا أقنع أهلي بأن أذهب معهم؟

ومـن حينها، وهي تطلب من أهلهـا أن تذهب معهم إلى الحـجّ. قالوا لهـا: ليس هناك مانع، والحج فريضـة على كل مسلم، وودّنا أنك تذهبين، وتؤدين فرضك.

فرحـت الفتـاة، وقالـت لأخـوات الشـاب: إن أهلـي سـيأخذونني للحج معهـم، والدور عليكـن في إقناع والدتكن بأن تذهب إلى الحج.

وعندما وصلوا إلى مكة المكرمة، تشوقت البنت إلى رؤية الأم في السـكن الـذي يقيمـون فيه، فأخـذت ترافقها في كل وقت، وفي كل صـلاة، وفي الليل تسـاعدها علـى قراءه أدعية وأنساك.

ولما جاء يوم عرفة أخذت تجمع لها الحصـى، ولما ذهبوا إلى الرجم كانت معها في كل خطوة من خطواتها.

وحين جاء آخر يوم من أيام الحج، وكانوا يطوفون للوداع ذهبت لتسلّم عليها، وتحضـنها، وتقول لها: والله إني أحبك مثـل والدتي، وإني أرتاح لك كثيرًا يا عمتي وتنهال من عينها دموع التماسيح، وذهبوا إلى المطار؛ ليرجعوا إلى بلدتهم، ولما وصـلوا استقبل الولد والدته ووالده في المطار، وأخذ يسألهما عن حجهما؛ عسـاكما لم تتعبا، وبعدهـا قال: يا والدتي، هل ارتحت في حجك؟

قالت: يا بني، والله إنه أحسن حجّ كان في هذه السنة، الله يخليك لنا.

قال: هل من كانوا في صحبتكم طيبون، وهل وارتحتِ لهم؟

قالت: والله ما عليهم بأس أناس طيبون، لكن والله ما أضاق صدري إلا بنت مملة كانت معنا تشبّثت بعنقي، هناك ما رأيت مثلها في إلحاحها، كان الله في عون من سيتزوجها!

عبرة: ليس كل تخطيط تعتقده صوابًا تكون نتائجه جيدة على كل حال.



سيدة العربة

في قديم الزمان وفي إحدى الدول الأوروبية، حيث يكسو الجليد كل شيء بطبقة ناصعة البياض، كانت هناك أرملة فقيرة ترتعش مع ابنها الصغير، فحاولت أن تجعله لا يشعر بالبرد بأي طريقة.

يبدو أنهما قد ضلا الطريق، ولكن سرعان ما تصادف عبور عربة يجرّها زوج من الخيل، وكان الرجل سائق العربة من الكرام، فوقف أركب الأرملة وابنها.

وفي أثناء الطريق، بدأت أطراف السيدة تتجمد من البرودة، وكانت في حالة سيئة جدًّا، حتى كادت تفقد الوعي.

وبسرعة بعد لحظات من التفكير أوقف الرجل العربة، وألقى بالسيدة خارج العربة، وانطلق بأقصى سرعة، تصرف يبدو للوهلة الأولى في منتهى القسوة، ولكن تعالوا ننظر ماذا حدث.

عندما تنبّهت السيدة إلى أن ابنها ووحيدها في العربة، ويبعد عنها باستمرار، قامت وبدأت تمشي وراء العربة، ثم بدأت تركض إلى أن بدأ عرقها يتصبب، وبدأت تشعر بالدفء، واستردت صحتها مرة أخرى.

هنا أوقف الرجل العربة، وأركبها معه، وأوصلهما بالسلامة.

أعزائي، كثيرًا ما يتصرف أحباؤنا تصرفات تبدو في ظاهرها غاية في القسوة، ولكنها في حقيقة الأمر في منتهى اللطف والتحنّن.

هل الوالدان، حينما يقسوان على ابنهما كره له؟ هل الطبيب، حينما يسقيك دواءً مرًّا كره لك؟

حكمة: يجب أن نبحث عن المقصد دومًا، وألا نتسرع في أحكامنا على الأشخاص، الأكثر شجاعة هم بالتأكيد هؤلاء الذين يتمتعون بالرؤية الأكثر وضوحًا، لما سيواجهون في المستقبل، سواء كان المجد أو الخطر، ومع ذلك يواجهونه.

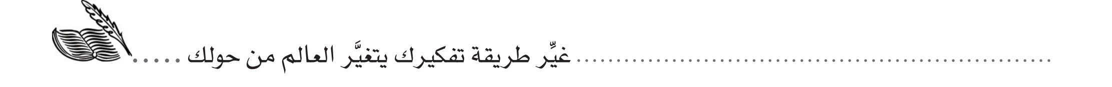


الحظ الحسن

فى ليلة رأس السـنة، جلس المؤلف الكبـير أمام مكتبه، وأمسـك قلمه، وكتب: في السنة الماضية، أجريت عملية إزالة المـرارة، ولازمـت الفراش شـهورًا عدة، وبلغت السـتين من العمـر، فتركـت وظيفتى المهمـة في دار النشـر الكبرى التي ظللت أعمل فيها ثلاثين عامًا، وتوفي والدي، ورسـب ابنى في بكالوريوس كلية الطب؛ لتعطله عن الدراسـة شـهورًا عدة، بسبب إصـابته في حادثة سـيارة، وفى نهاية الصفحة كتب: «يا لها من سنة سيئة!».

ودخلت زوجته غرفة مكتبه، ولاحظت شـروده، فاقتربت منـه، ومن فوق كتفـه قرأت ما كتب، فتركـت الغرفة بهدوء، وبعد دقائق عادت، وقد أمسـكت بيدها ورقة أخرى وضـعتها بهدوء بجوار الورقة التي سبق أن كتبها زوجها.

وتنـاول الـزوج ورقـة زوجتـه، وقـرأ منها: «في السـنة الماضـية، شفيت من آلام المرارة التى عذبتك سنوات طويلة، وبلغـت السـتين، وأنـت في تمام الصـحة، وسـتتفرغ للكتابة والتأليـف بعـد أن تمّ التعاقد معك على نشـر أكثر من كتاب مهم، وعاش والدك حتى بلغ الخامسـة والثمانين من غير أن يسـبب لأحد أي متاعب، وتـوفي في هدوء دون أن يتألم، ونجا



ابنـك من الموت في حادثة سـيارة، وشـفي دون أي عاهات أو مضـاعفات، وختمت الزوجة عبارتها قائلة: «يا لها من سنة تغلب فيها حظنا الحسن على حظنا السيئ!».

حكمـة: أنت من يدير عقلك وتصـرفاتك وألفاظك؛ لذا فمن الرائع أن تختار لنفسـك الكلمات الإيجابية، فالبلاء موكل بالمنطق.



ركن شديد

كل إنسان لديه طموح وأحلام يودّ لو تحققت، ودائمًا يكون هذا الطموح متجهًا نحو الأعلى ونحو الأكثر، بالنسبة إلى المكاسب والمكانة الاجتماعية، ولذلك نرى إشارات النصر والتفوق تتجه إلى أعلى، وإذا أراد الإنسان أن يعبر عنها أشار بيده إلى أعلى.

وهكذا ارتبط الأعلى بالتفوق والتميز، وارتبط الأسفل بالخسارة والإحباط، وارتبطت الكثرة بالخير غالبًا والقلة بالفقر وضيق الحال، كل إنسان يريد أن يرتقي صاعدًا في المكانة الاجتماعية، ومع هذا ينبغي الانتباه إلى أمر مهم؛ حتى تتحقق الأماني، ويستمتع بها الإنسان أبلغ استمتاع، ولا تكون وبالًا عليه بعد تحققها، وربما يتمنّى لو أنها لم تتحقق، وسنضرب مثلًا لهذا.

عندما تستخدم سلمًا للوصول إلى مكان عالٍ لإنجاز عمل ما، تحرص على اختيار سلم متين متماسك، ويكون طوله متناسبًا مع الغرض المقصود منه، ثم تتأكد من وضعه في المكان الصحيح؛ لتحقق الهدف الذي ترجوه منه.

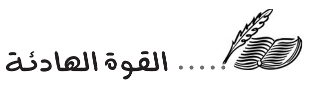
لذلك ليس غريبًا أن نرى في حياتنا أفرادًا حققوا ما كانوا يعدّونه هدفًا لهم، وكانوا يظنون أنه بمجرد تحقق هذا

الأمر سيحصلون على السعادة وراحة البال، ولكنهم بعد وصولهم لما يريدون عاشوا تعساء، ولم يستفيدوا من تحقيق رغباتهم شيئًا، لا السعادة، ولا راحة البال.

لقد تسلّقوا السلم حتى النهاية، ولكن عندما وصلوا إلى النهاية اكتشفوا أن السعادة التي كانوا يرجونها بتحقيق هذا الهدف ليست هنا، ولم يتبقَّ من العمر والاستطاعة ما يمكنهم من العودة والبدء من جديد، لقد اكتشفوا في النهاية أنهم اهتموا بالسلم، وقضوا عمرهم في الصعود عليه، ونظرهم معلق نحو الهدف الأعلى، لكن بذلك لم ينتبهوا إلى الحائط، ولم ينتبهوا إلى الطريق الموصل إلى أين سيؤدي بهم، وما نتائج هذا الطريق؟ وما الذي سيحصل بعد الوصول؟ وهل هذا الطريق فعلًا أم أنه خداع للذات والنفس بسبب الهوى والوسواس؟

إن الطموح حق لكل إنسان، بل إن فطرته لا تقبل إلا الطموح والارتقاء والاستزادة، ويبقى عقله وتفكيره وحكمته تترجم له هذه الأحلام.

في حياتنا رأينا أساتذة ودكاترة وتجارًا وسياسيين ورؤساء ومديرين بذلوا في حياتهم ما يحسدهم عليه الآخرون، ويتمنون أن يكون لهم بعض ما عند هؤلاء، ولكن في حقيقة الأمر، إذا قدر لك أن تطلع على حياتهم التي وراء



الستار، وتتعرف على مشاعرهم الحقيقية ستجدهم يعيشون في عذاب، لقد وصلوا إلى أن السلم كلما كان عاليًا كان السقوط منه أخطر، وتدارك الخطر أصعب، لقد ارتقى هتلر سلم النجاح، وكانت له دولة وصولة، فماذا كانت النهاية؟

وعلينا أن نقتنع بأن عمل عقلين أفضل من عمل عقل واحد، وثلاثة عقول أفضل من عقلين، وهكذا، وعلينا أن نقتنع بأن الاستفادة من خبرات الآخرين وسؤالهم ليس عيبًا، وليس دليلًا على قصور عقولنا، بل على العكس، فهو دلالة على الذكاء والفطنة؛ لأنك تستفيد من عقول الآخرين مجانًا، حينما تسألهم، ويكونون سعداء بتعليمك، ولو طلبت منهم أقل الأشياء تفاهة من الماديات لما أعطوك بغير مقابل، أليس من الذكاء أن تستفيد من الآخرين مجانًا، ولا تخسر شيئًا؟!

وحينما تصل سيصل معك كثيرون، ممن سألتهم، واستعنت بهم، وأعنتهم، وسيفرح بك السابقون، ويسير على أثرك اللاحقون، وهذه هي السعادة الحقيقية، وليست السعادة بوصول الإنسان وحده إلى الهدف، فهده أنانية سيدفع ثمنها، ولا بد أن يدفع ما قدمته أنانيته، إن طريق النجاح متعب، ولكنه لذيذ، والسعادة التي تأتي في النهاية تنسي كل تعب.





المعز المذل

المعتمد بن عباد ملك إشبيلية في عصر ملوك الطوائف من بني عباد، ولد في باجة «إقليم في البرتغال حاليًا» وتوفي في أغمات ٤٣١ هـ - ٤٨٨ هـ / ١٠٤٠ - ١٠٩٥م، اسمه محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي، أبو القاسم المعتمد على الله، كان شابًّا، فارسًا، شاعرًا مجيدًا، يحب الأدب؛ فاجتمع في بلاطه نجوم ساطعة من أرباب القصيد ونوابغه، أمثال أبي بكر بن عمار، وابن زيدون، وابن اللبانة، وابن حمديس الصقلي، وفضلًا عن كون المعتمد شاعرًا مجيدًا، فقد كانت زوجته إعتماد الرميكية شاعرة كذلك، وكانت إشبيلية حاضرة دولته آية في الروعة.

كان المعتمد بن عباد، حين آل إليه حكم إشبيلية سنة (٤٦١ هـ = ١٠٦٨م)، في الثلاثين من عمره، امتلك قرطبة وكثيرًا من المملكة الأندلسية، واتسع سلطانه إلى أن بلغ مدينة مرسية.

عاش ابن عباد أيام ملوك الطوائف، وهم ملوك تقاسموا الدولة الأموية في الأندلس، وحكم كل واحد منهم جزءًا أو دويلة، حتى بلغ مجموع تلك الدويلات إحدى وعشرين دولة، لكل دولة منها عرش وملك وجيش ضعيف، ولما رأى

ألفونسو السادس ملك ليون وقشتالة ضعفهم وتفرقهم هجم على طليطلة، فاجتاحها، واستردّها، ثم أرسل إليه رسولًا معه خمس مئة فارس يحمل رسالة تهديد من ألفونسو بأن على المعتمد أن يتنازل عن حصون معينة، وحشد الرسالة بالتهديد، فثار المعتمد، وجمع العلماء، فاتفقوا على الاستنجاد بزعيم المرابطين يوسف بن تاشفين في الشمال الإفريقي، وتمّ القرار في الحال، فأمر المعتمد بقتل الفرسان النصارى جميعًا، وضرب الرسول، وبصق في وجهه، وفي الحال أصدر ابن تاشفين نداءً بـ «الجهاد» فتسابق شباب المسلمين إلى الساحة، وأقبل المتطوعون من أرجاء البلاد، حتى ازدحمت البلاد بالمجاهدين المسلمين، وأقبل ألفونسو في أربعين ألف جندي، وكتب إلى أمير المسلمين ابن تاشفين يتهدده، فكتب له على ظهر خطابه: «جوابك هو ما سوف ترى» ثم التقى الجمعان في مكان قريب من بطليموس (Badajoz) حاليًا على حدود البرتغال في سهل واسع من الأرض يقال له: الزلاقة.

كانت استجابة يوسف بن تاشفين سريعة مذهلة، فقد أقبل في قرابة مئة سفينة، ونيف وعشرين ألف جندي، واندفع إلى الزلاقة، فوجد المعتمد بن عباد قد سبقه، وقضى ليلة كاملة يهاجم، وتنهشه الجراح، وفي اللحظة المناسبة وصل

المرابطون، وقائدهم إلى قلب المعركة، وتكامل عدد الإسبان خمسين ألفًا. هرب القائد ألفونسو في بضعة رجال، وكانت الواقعة يوم الجمعة الأولى من شهر رمضان، حيث قتل جميع الجيش النصراني، فلم يعد منهم سوى ثلاث مئة.

كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في أول الأمر يحترم المعتمد بن عباد، ويقول: هو ضيفنا، ولكن نفرًا وشوا إلى ابن تاشفين بأن المعتمد يميل إلى الترف.

أمر قائد المرابطين بحمل المعتمد بن عباد وآل بيته إلى منفاهم بالمغرب، وسارت بهم السفينة من إشبيلية في نهر الوادي الكبير في طريقها إلى المغرب، وخرج الناس لتوديعهم محتشدين على ضفتي النهر، وقد ملأ الدمع أعينهم، وذابت قلوبهم حسرة وألمًا على ملكهم الذي أدبرت عنه الدنيا، فخرج هو وأسرته على هذه الصورة المخزية بعد الجاه والسلطان، وقد سجل الشاعر الأندلسي الكبير ابن اللبانة هذا المشهد الحزين بقصيدة مبكية جاء فيها:

حان الوداعُ فضجّت كل صارخة

وصارخٍ من مُفداة ومن فادِ

سارت سفائنُهم والنوْحُ يتبعها

كأنها إبلٌ يحدو بها الحادي

كم سال في الماء من دمعٍ وكم حملت

تلك القطائعُ من قطعاتِ أكبادِ

وبعد أن وصلت السفينة إلى المغرب أقام المعتمد وأسرته أيامًا في طنجة، ثم أُخذوا بعد ذلك إلى مكناسة، وقضوا هناك أشهرًا قبل أن يرحلوا إلى منفاهم إلى أغمات، وهي مدينة صغيرة تقع على مقربة من مراكش عاصمة دولة المرابطين، وكان قد سبق المعتمد إلى هذا المنفى «عبدالله بن بلكين» أمير غرناطة.

وفي أغمات عاش المعتمد كاسف البال، كسير القلب، يُعامَل معاملة سيئة، ويتجرع مرّ الهوان، ليس بجانبه من يخفف عنه مأساته، ويطارحه الحديث، فتأنس نفسه، وتهدأ، ينظر إلى بناته الأقمار، فيشقيه أنهن يغزلن؛ ليحصلن على القوت، ولكنه كان يتجلد، ويتذرع بالصبر، ويلجأ إلى شعره، فينفس عن نفسه بقصائد مُشجية مؤثرة، تدخل عليه بناته السجن في يوم عيد، فلما رآهن في ثياب رثّة، تبدو عليهن آثار الفقر والفاقة، انسابت قريحته بشعر شجيّ حزين:

فيما مضى كنتَ بالأعياد مسرورا

فساءك العيدُ في أغمات مأسورا

ترى بناتك في الأطمارِ جائعة

يغزلْن للناس لا يملكْنَ قِطميرا

بــــرزْن نــحــوَك لـلـتـسـلـيـمِ خـاشـعـةً
أبــصـــارُهـــنّ حـســيـراتٍ مـكـاسـيـرا

يـطـأْنَ فـي الـطـيـن والأقـــدام حافية
كـأنـهـا لــم تــطــأْ مــســكًـا وكـافــورا

واشــتدت وطــأة الأَسْــرِ علــى إعتمــاد الرميكيــة زوجة المعتمــد، ولم تقــوَ طويــلاً على مغالبــة المحنــة، فتُوفيت قبل زوجهــا، ودُفنــت بأغمــات علــى مقربة مــن ســجن زوجها.

وطال أَسْــر المعتمد وسجنه، فبلغ نحو أربع سنوات، حتى أنقذه الموت من هوان الســجن وذلّ السجان، فلقي ربه في ١١ من شــوال ٤٨٨هــ = ١٠٩٥م، ودُفن إلى جانــب زوجته، وقد أوصى بأن يكتب على قبره:

قَـبـرَ الـغَـريـب سَـقـاكَ الـرائِـحُ الـغـادي
حَـقًّـا ظَـفِــرتَ بِـأَشــلاء ابــن عَـبّــادِ

بِالحِلمِ بالعِلمِ بِالنُّعمى إِذِ اِتّصلَت
بِالخَصبِ إِن أَجدَبوا بِالرِيّ لِلصادي

بالطاعِنِ الضارِبِ الرامي إِذا اِقتَتَلوا
بِـالـمَـوتِ أَحـمَـرَ بِـالـضـرغـامِـةِ الـعـادي

بِـالـدَهـر فـي نِـقَـمٍ بِـالـبَـحـرِ فـي نِـعَـمٍ
بِـالـبَـدرِ فـي ظُـلَـمٍ بِـالـصَـدرِ فـي الـنـادي

نَعَم هُوَ الحَقُّ وَافاني بِهِ قَدَرٌ
مِنَ السَماءِ فَوافاني لِميعادِ

وَلَم أَكُن قَبلَ ذاكَ النَّعشِ أَعلَمُهُ
أَنَّ الجِبالَ تَهادى فَوقَ أَعوادِ

كَفاكَ فارفُق بِما اِستودِعتَ مِن كَرَمٍ
رَوّاكَ كُلَّ قَطوبِ البَرقِ رَعّادِ

يَبكي أَخاهُ الّذي غَيّبتَ وابِلَهُ
تَحتَ الصَفيحِ بِدَمعٍ رائِحٍ غادي

حَتّى يَجودَكَ دَمعُ الطَلِّ مُنهَمِراً
مِن أَعيُنِ الزَّهرِ لَم تَبخَل بِإِسعادِ

وَلا تَزالُ صَلاةُ اللَّهِ دائِمَةً
عَلى دَفينِكَ لا تُحصى بِتَعدادِ





برود الأعصاب

نزل من بيته صباحًا ذاهبًا إلى العمل كالمعتاد، قبل خروجه اصطدمت قدماه بقمامة الجيران! كتم غضبه عن الجيران وعمال النظافة؛ لأنه كان في عجلة من أمره، ركب سيارته في الشوارع المزدحمة والجو الخانق، فاستغرق الطريق ساعة كاملة، وصل بعدها إلى عمله متأخرًا ومنهكًا، لم يستطع أن يتمالك أعصابه، عندما وبَّخه المدير على تأخره وإهماله الذي يتسبب في الخسارة للشركة، فانفجر غاضبًا، وانتابته حالة هياج عارمة، وكانت النتيجة المتوقعة: «أنت مُقَال».

تخيَّل معي أن بداخل كل شخص منا كوبًا فارغًا، فكلما حدث شيء يغضبك يبدأ هذا الكوب في الامتلاء، هذا بالضبط ما حدث في يوم هذا الشخص، حيث أخذ الغضب يتراكم داخله، وكوبه يمتلئ، حتى سال على الأرض التي قد تكون مقعدًا تركله برجلك، أو صديقك الذي تغلق في وجهه سماعة الهاتف، أو كما حدث لمديرك الذي تنفجر غاضبًا في وجهه، والنتيجة خسارة لا تعوض.

خاطرة: أنت من يملك قرار أعصابك وإثارتها.

كتاب قوة الصبر رائع في مجال التدريب على الصبر والتحمل.



سؤال بوليسي

بنت ماتت والدتها، وفي أثناء تشييع جنازة الأم قابلت البنت شابًّا تراه لأول مرة، كان وسيمًا جدًّا، فوجدت فيه جميع المواصفات التي كانت تتمناها في فارس أحلامها.

أعجبت هذه الفتاة بذلك الشاب، وأحبّته حبًّا شديدًا، لكن المشكلة أنها لم تتعرف عليه، ولم تأخذ عنوانه أو رقم هاتفه، وحتى اسمه لم تعرفه، بدأت البنت تبحث عن أي شيء أو معلومات تدلّها عليه، لكن جميع محاولاتها باءت بالفشل.

وبعد أيام قليلة قتلت هذه البنت أختها، السؤال:

في اعتقادك ما السبب الذي جعل الفتاة تقدم على قتل أختها؟

فكِّر جيدًا قبل أن ترى الإجابة، وحاول أن تكون صادقًا مع نفسك، من أجل أن تعرف هل أنت محتاج إلى طبيب نفسي أم لا؟

هل فكَّرت جيدًا؟

حسنًا، انزل إلى أسفل؛ حتى ترى الإجابة.

آخـر مرة! إن هـذا السـؤال ليس عشـوائيًّا، أرجو منك التفكير في حل السؤال، إنه فعلًا نظرية علمية، خمِّن الإجابة، وضعها في بالك، قبل أن تراها رجاءً.

وإليك الإجابة:

أقدمـت الفتاة على قتل أختهـا، على أمل أن يظهر ذلك الشاب مرة أخرى في جنازة أختها!

إذا كانت إجابتك الإجابة السـابقة نفسـها (صحيحة) فهذا يدلّ على أن تفكيرك كتفكير المرضـى النفسيين الذين لديهم ميول ونزعة للقتل.

هذا الاختبار طُبِّق من قبل أطباء نفسيين على أشخاص كان المراد معرفة هل تفكيرهم تفكير إجرامي أم لا؟

وطُبِّـق هذا الاختبار على مجرمين كثيرين كانوا متهمين بارتـكاب مجموعـة من الجرائـم، وقـد أجابوا عنه بشـكل صحيح.

تأمل: إذا كانت إجابتك صحيحة، فهذا يعني أن لديك أفكارًا إجراميـة، أمـا إذا كانت إجابتك خاطئـة، فهذا يعني أنك سليم ولا يعاني أي مشكلات .



من ركل القطة؟

مدير لا يعرف عن مهارات التعامل مع الناس شيئًا، كان يراكم الأعمال على نفسه، ويحمل نفسه ما لا تطيق، صاح في سكرتيره يومًا، فدخل، ووقف بين يديه، صرخ فيه: اتصلت بهاتف مكتبك، ولم تردّ، قال: كنت في المكتب المجاور، آسف، قال بضجر: كل مرة آسف، آسف خذ هذه الأوراق، وناولها إلى رئيس قسم الصيانة، وعُدْ بسرعة، مضى السكرتير متضجرًا، وألقاها على مكتب قسم الصيانة، وقال: لا تؤخرها علينا، تضايق الرجل من أسلوب السكرتير، وقال: ضَعْها بأسلوب مناسب.

قال: مناسب، غير مناسب، المهم خلصها بسرعة، تشاتما، حتى ارتفعت أصواتهما، ومضى السكرتير إلى مكتبه، وبعد ساعتين أقبل أحد الموظفين الصغار في الصيانة إلى رئيسه، وقال: سأذهب؛ لأخذ أولادي من المدرسة، وأعود، صرخ الرئيس: وأنت كل يوم تخرج.

قال: هذه حالي منذ عشر سنوات، أول مرة تعترض عليّ، قال: ارجع إلى مكتبك.

مضى المسكين إلى مكتبه حائرًا من هذا الأسلوب، وصار يجري اتصالات، يبحث عمن يوصل أولاده من المدرسة إلى

البيت، حتى طال وقوفهم في الشمس، وتولى أحد المدرسين إيصالهم، عاد هذا الموظف إلى بيته غاضبًا، فأقبل إليه ولده الصغير معه لعبة، وقال: بابا، المدرس أعطاني هذه؛ لأنني... صاح فيه الأب: اذهب إلى أمك، ودفعه بيده، مضى الطفل باكيًا إلى أمه، فأقبلت إليه قطته الجميلة تتمسح به كالعادة، فركلها الطفل بقدمه، فضربت بالجدار، السؤال: من ركل القطة؟

أظنّك تتبسم، وتقول: المدير، صحيح المدير؛ لأنه ضغط نفسه، حتى انفجر، فانفجر من حوله.

تدبر: لماذا لا نتعلم فن توزيع الأدوار، والأشياء التي لا نقدر عليها؟ نقول بكل شجاعة: لا نقدر، خاصة أنك إذا ضغطت نفسك، فإن تصرفاتك قد تتعدى ضررها إلى ناس أبرياء، لم يكونوا طرفًا في المشكلة أصلًا، ولا ذنب لهم.



لهذا قتلوه

روى الدكتور معروف الدواليبي رحمه الله هذا اللقاء المهم بين الجنرال شارل ديجول والملك فيصل بن عبدالعزيز رحمه الله:

قبيل حرب حزيران، حيث جلس الجنرال ديجول والملك فيصل بحضور رئيس وزراء فرنسا آنذاك السيد جورج بومبيدو، وبدأ الاجتماع بين الرجلين في حضرة مترجم:

قال ديجول: يتحدث الناس أنكم يا جلالة الملك، تريدون أن تقذفوا بإسرائيل إلى البحر، وإسرائيل هذه أصبحت أمرًا واقعًا، ولا يقبل أحد في العالم رفع هذا الأمر الواقع.

أجاب الملك فيصل: يا فخامة الرئيس، أنا أستغرب كلامك هذا، إن هتلر احتل باريس، وأصبح احتلاله أمرًا واقعًا، وكل فرنسا استسلمت إلا أنت انسحبت مع الجيش الإنجليزي، وبقيت تعمل على مقاومة الأمر الواقع، حتى تغلبت عليه، فلا أنت رضخت للأمر الواقع، ولا شعبك رضخ، فأنا أستغرب منك الآن أن تطلب مني أن أرضى بالأمر الواقع، والويل يا فخامة الرئيس، للضعيف إذا احتله القوي، وراح يطالب بالقاعدة الذهبية للجنرال ديجول: إن الاحتلال إذا أصبح واقعًا، فقد أصبح مشروعًا.



دُهش ديجول من سرعة البديهة، والخلاصة المركزة بهذا الشكل، فغيَّر لهجته، وقال:

يا جلالة الملك، يقول اليهود: إن فلسطين وطنهم الأصلي، وجدهم الأعلى إسرائيل ولد هناك.

أجاب الملك فيصل: يا فخامة الرئيس، أنا معجب بك؛ لأنك متدين مؤمن بدينك، وأنت بلا شك تقرأ الكتاب المقدس، أما قرأت أن اليهود جاؤوا من مصر غزاة فاتحين، فحرقوا المدن، وقتلوا الرجال والنساء والأطفال، فكيف تقول: إن فلسطين بلدهم، وهي للكنعانيين العرب، واليهود مستعمرون، وأنت تريد أن تعيد الاستعمار الذي حققته إسرائيل منذ أربعة آلاف سنة؟ فلماذا لا تعيد روما استعمارها لفرنسا الذي كان قبل ثلاثة آلاف سنة فقط؟ أنصلح خريطة العالم لمصلحة اليهود، ولا نصلحها لمصلحة روما؟ ونحن العرب أمضينا مئتي سنة في جنوب فرنسا، في حين لم يمكث اليهود في فلسطين سوى سبعين سنة، ثم نفوا بعدها، قال ديجول: ولكنهم يقولون: إن أباهم ولد فيها.

أجاب الملك: غريب يا فخامة الرئيس، عندك الآن مئة وخمسون سفارة في باريس، وأكثر السفراء يلد لهم أطفال في باريس، فلو صار هؤلاء الأطفال رؤساء دول، وجاؤوا يطالبونك بحق الولادة في باريس، فمسكينة باريس، لا أدري لمن ستكون؟

سكت ديجول، وضرب الجرس مستدعيًا بومبيدو، وكان جالسًا مع الأمير سلطان ورشاد فرعون في الخارج، وقال ديجول: الآن فهمت القضية الفلسطينية، أوقفوا السلاح المصدر لإسرائيل، وكانت إسرائيل يومها تحارب بأسلحة فرنسية، وليست أمريكية.

يقول الدواليبي: واستقبلنا الملك فيصل في الظهران عند رجوعه من هذه المقابلة، وفي صباح اليوم المقبل، ونحن في الظهران استدعى الملك فيصل رئيس شركة التابلاين الأمريكية، وكنت حاضرًا، وقال له: إن أي نقطة بترول تذهب إلى إسرائيل ستجعلني أقطع البترول عنكم، ولما علم بعد ذلك أن أمريكا أرسلت مساعدة لإسرائيل قطع عنها البترول، وقامت المظاهرات في أمريكا، ووقف الناس مصطفين أمام محطات الوقود، وهتف المتظاهرون: نريد البترول، ولا نريد إسرائيل، وهكذا استطاع الملك فيصل رَحِمَهُ اللهُ نتيجة حديثه مع ديجول، وبموقفه البطولي في قطع النفط أن يقلب الموازين كلها.

حكمة: قراءتك للتاريخ ومعلوماتك المتكاملة تنقذك في أحلك الظروف، وكيف والحال بك رئيس لدولة.





التفكير بخلاف المألوف

كان هذا أحد الأسئلة التي تستخدم في استمارة طلب الالتحاق بإحدى الوظائف: كنت تقود سيارتك في ليلة عاصفة، وفي طريقك مررت بموقف للحافلات، ورأيت ثلاثة أشخاص ينتظرون الحافلة:

١ـ امرأة عجوز توشك أن تموت.

٢ـ صديق قديم سبق أن أنقذ حياتك.

٣ـ شخصية مشهورة تعدّها قدوتك.

كان لديك متسع في سيارتك لراكب واحد فقط، فأيهم ستقلّه معك؟

يمكنك أن تقلّ السيدة العجوز؛ لأنها توشك أن تموت، وربما من الأفضل إنقاذها أولًا، تستطيع أن تأخذ صديقك القديم؛ لأنه قد سبق أن أنقذ حياتك، وقد تكون هذه هي الفرصة المناسبة لردّ الجميل، وفي كل الأحوال، فإنك لن تكون قادرًا على إيجاد الشخص المشهور الذي تحترمه مرة أخرى، كان هناك شخص واحد فقط تمّ ترشيحه لهذه الوظيفة، من بين ٢٠٠ شخص تقدموا، وذلك لإجابته التي لا غبار عليها.

في اعتقادك، ماذا كان جواب الرجل؟

قال ببساطة: سأعطي صديقي القديم مفاتيح السيارة، وأطلب منه توصيل السيدة العجوز إلى المستشفى، فيما سأبقى أنا؛ لأنتظر الحافلة بصحبة القدوة.

عبرة: غيِّر طريقة تفكيرك تتغير حياتك للأحسن.



مبتعث مسلم

شكرًا بريطانيا؛ لأن قيمة الإنسان البريطاني، وكل من يسكن أرض بريطانيا تجعل سيارات الإسعاف والمطافي والشرطة تمشط الشوارع بسرعة البرق وصوت الرعد وسط احترام الجميع، فتجد السيارات تصطف اصطفافًا على الأرصفة، والشارع يستجيب في الحال، حتى تمر تلك الفرقة التي يتمتع أصحابها باللياقة العالية، ووصف عنوان الحادثة لا يتعدى الثواني، إذ لا تحتاج إلا إلى رقم المنزل والشارع، وأترك الباقي لهم.

شكرًا بريطانيا؛ لأني بدأت أتمتع بشعور الإنسان، لا أحمل معي سوى وجعي إذا زرت المركز الصحي، فهم لا يعرفون ديني، ولا جنسيتي، ولا مذهبي، ولا لوني، ولا كفيلي، ولكن يعرفون أهم من هذا كله أني إنسان، وإنسان فقط.

شكرًا بريطانيا؛ لأني لا أحمل هوية في جيبي مدة ٣ سنوات، ولم يوقفني عسكري، ولم يترصد بي رجل مرور، ولم يجرح شعوري مسؤول.

شكرًا بريطانيا؛ لأني كل يوم أسمع كلمة تفضل، لو سمحت، آسف، هل من الممكن؟



شكرًا بريطانيا؛ لأن ولدي له اشتراك في مكتبة ملأى بقصص الأطفال المناسبة لعمره وجدول مناسب ليومه، بداية من جلسة قصص إلى جلسة ألعاب، وهو لم يتعدّ السنة من عمره.

شكرًا بريطانيا؛ لأن زوجتي وابني يزوران المركز الصحي من غير أوراق وهوية وتحويل وطابور، شكرًا لعاملة الاستقبال التي تحول زوجتي إلى طبيبة، وليس إلى طبيب؛ لأنها تعرف أنها مسلمة، وتفضل أن تراها طبيبة إذا أمكن، وهي تفعل ذلك تلقائيًّا.

شكرًا بريطانيا؛ لأن أسعار منتجات الأطفال رخيصة، مقارنة بالمنتجات الأخرى، وأفضل ما يكون تحت رقابة شديدة في مكوناتها؛ لأنه طفل وحساس، فحليب الأطفال لا يوجد فيه نسبة السكريات التي توجد في نوع آخر كنت أشربه، وأنا صغير.

شكرًا بريطانيا؛ لأني أخرج، وأدخل، وأمشي، ولا أسمع ضوضاء ومناظرات ومطبات وحفرًا ومشاجرات، فرجلي تتزحلق، وهي حافية، فكيف بمن يقود السيارة؟

شكرًا بريطانيا؛ لأني كشفت على عيني، بعد أن مرّ الفحص على ٣ أطباء، ولم أتكلف سوى ١٠ باوندات، وأول

سؤال سألني الطبيب: أين كشفت نظارتك المرة السابقة؟ فقلت له: في مكان بعيد، فقال: إن استطعت فلا تكشف في المكان البعيد، فقلت في نفسي: سامحك الله أيها الطبيب فلان.

شكرًا لجاري العزيز ذي الأخلاق الرائعة الذي يأخذ البريد من باب العمارة؛ ليضعه أمام باب شقتي يوميًّا، بل يعرض علي أن أترك ابني عنده إن أردت أن أتعشى أنا وزوجتي في الخارج، فهو يريد أن يتطوع.

شكرًا للبروفيسورة ذات التعامل والانضباط العالي، فهي تذكرني بموعد اجتماعنا، وتلخص لي محاور اجتماعنا، وتطبع لي الورقة، وتضعها في بريدي، وتعدّت أخلاقها إلى أن أرسلت لي وردًا بمناسبة قدوم ابني، وشكرًا لعامل الكلية؛ لأنه يسمعني: تفضل سيدي، كل يوم، وشكرًا لمسؤولة المكتبة؛ لأنها تترك ما بيدها، وتبحث معي عمّا أريد، بل تأسف عن تأخرها.

شكرًا للشباب البريطاني؛ لأنهم لم يرمقوا زوجتي بنظرة، ولا برقم، ولا كلمة، بل على العكس هي محل احترام ومساعدة شكرًا، شكرًا، شكرًا؛ لأني تعلمت ديني الذي فقدته، وأنا طفل وأنا شاب، وكتب الله لي أن أتعلمه، ليس من بطون الكتب ولا الدورات الشرعية ولا الجلسات العلمية

ولا برامج التلفاز الدينية، بل واقع يفرضه المجتمع والجميع، بداية من مدرس الروضة إلى سائق الحافلة ومن عامل الشارع إلى رئيس الوزراء.

هذا ما شهدته شخصيًّا.

قد تتفق معي، أو تختلف، وأنا أعرف أن أصابع يديك ليست سواء، ولكن هذه الحقيقة رأيتها بأم عيني.

شكرًا.. شكرًا.. شكرًا بريطانيا، لا تخف علي؛ لأني مازلت مسلمًا وعربيًّا أكثر، ومن أمة محمد ﷺ، وسأكون كذلك أبد الآبدين، إن شاء الله.

هاني باحويرث

بريستول، بريطانيا

خاطرة: عندما يدخل عمدة لندن، وهو يعدّ الرجل الثاني من حيث القوة السياسية في بريطانيا بعد مرتبة رئيس الوزراء، المصرف أو محطة القطارات، أو أي مصلحة أخرى، تجده يقف في الطابور، مثله مثل الناس العاديين، وهذا ما يلاحظه الناس هنا في لندن، فهل هذا يحدث في بلادنا العربية؟!





كن مؤدبًا

بعدما أخبره طبيبه عن إصابته بمرض خطير، وأن يومه قد اقترب وحياته قاب قوسين أو أدنى من الانقضاء، خرج يمشي مشية الحائر الذاهل، وقد نسج الألم على وجهه غبرة، مطلقًا لعبرته سبيلها، يئن أنينًا محزنًا، قد حمل همًّا عظيمًا، وبينما هو يسير هائمًا على وجهه أراد أن يشرب ماءً؛ لجفاف في ريقه أصابه بعد الخبر الكارثة، وعندما دلف إلى البقالة، فإذا به يجد صاحبها يضرب طفلًا صغيرًا ضربًا مبرحًا، فاستفظع ما فعل الرجل، فلم يتردّد في إطلاق النار عليه، فأراده قتيلًا، ثم خرج، واستقلّ سيارة أجرة، وقد قابله السائق بازدراء واحتقار، ما دفعه إلى إطلاق رصاصة عليه، وبعدها وجد نفسه في سيرك عالمي يزور مدينته، فأراد أن يروح عن نفسه، وانتظم في طابور شراء التذاكر، وساءه ما شاهد من فظاظة أحد الباعة مع الجمهور، فاستقبح سلوكه، فتتبّعه، عندما خرج، وباغته برصاصة أودت بحياته، العجيب أن الرجل كان يسألهم جميعًا قبل أن يقتلهم عن أعمارهم، وبعدما يجيبونه يرد عليهم: ربما عشت ضعف عمرك لو كنت مؤدبًا! وكان يترك بجانب كل ضحية ورقة كتب فيها: لو كان لطيفًا لعاش أطول!

وبعد سلسلة من الحوادث ذاع صيت الرجل في المدينة، وانتشر خبره، وتناقل الرواة ما يفعله، فدبّ الذعر في قلوب الناس، وخصوصًا غير المهذبين والصفقاء؛ خشية أن يكونوا ضحاياه القادمين، فربما التقوا هذا الرجل ذات يوم، فيؤدبهم على سوء خلقهم بالقتل! ما دفعهم إلى أن يكونوا أكثر لطفًا وأرق تعاملًا وتهذيبًا مع الآخرين، فعمّ اللطف وانتشر بين الناس في المدينة!

ماذا تختار: من تلك القصة الرمزية؟ أقول: اختر إما الموت أو اللطف! فاللطف والأدب وحسن التعامل مع الآخرين عمرٌ ثانٍ طويل من حيث بركة العمر وعظم الجوائز المكتسبة، وأجدني أحيانًا عاجزًا عن إيجاد تفسير منطقي لغلظة بعضهم وقسوته وتعامله العنيف مع الجميع، فلا تجد أحدًا قد سلم منه ولا من سوء خلقه، فلا تراه إلا متجهمًا، وإذا ما خالفت رأيه رماك بجارح الكلام، وإذا ذهبت غير مذهبه جرّعك مسموم كلامه مغلظًا لك في الخطاب.

يذكر في هذا أن غنيًّا كان شديد الكبر عظيم الصلف احتقر أحد حاملي الأمتعة في أحد المطارات، وبعد أن غادر التاجر أتى أحد المسافرين يواسي العامل، فقال له العامل مبتسمًا: لا تقلق سيدي، هو يريد لوس أنجلوس، وأمتعته ستذهب إلى نيويورك!



القول اللين

قد قدّم لنا القرآن الكريم دروسًا جميلة في فنون اللطف ومهارات الذوق، فقال سبحانه في معرض العتب على النبي ﷺ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾.

فهل رأيتم لطفًا وذوقًا وأدبًا مثل هذا؟! وهل سمعتم معاتبة أحسن من تلك؟! فمن تأمل حال البشر يجد أن أغلبهم يباغت المخطئ بالتهديد، ويتلقاه بالتهويل، ثم يرسل النقد كسهم قاتل مسمومًا، أما المولى سبحانه فقد بدأ بالعفو قبل المعاتبة! ومن الوصايا الجميلة ما أوصى بها سبحانه موسى وهارون عليهما السلام بأن يقولا لفرعون قولًا لينًا. وهو القائل: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾. فهل سمعتم أطيب من هذا الكلام وأعذب من هذا الخطاب؟

حكمة: الكلام اللين يقلب الحق البين.



السر

شـاب بولندي أسلم على يديه المئات في مدة وجيزة على الرغم من قلة علمه الشـرعي وقرب عهده بالإسلام، ما أثار انتباه أحد الفضـلاء الـذي التقاه في إحدى المـدن الألمانية، فسـأله عن سـر محبـة النـاس له، بحيـث سـهَّل مهمته في الدعوة؟ فأجابه: فقط تصرفت بوصفي مسلمًا!

تدبر: وقبل كل شـيء كن لطيفًا مع نفسـك، ففاقد الشيء لا يعطيه، فاللطفاء مع أنفسهم رصيدهم من الثقة كبير؛ لذا تجدهم أقرب إلى العطاء بعكس الذين يكرهون أنفسـهم، فهم في سعي دائم للأخذ والاستئثار بكل شيء.



أريد الإجهاض

ذهبت امرأة قلقة إلى طبيبها، وقالت: أيها الطبيب، أنا أعاني مشكلة خطيرة، وأحتاج إلى مساعدتك، طفلي لم يتمّ سنة واحدة من العمر، وأنا حامل مرة أخرى، لا أريد أطفالًا متتابعين.

قال الطبيب: وماذا تريدين مني أن أفعل؟

قالت: أريد منك الإجهاض، وأن تنهي حملي، وأنا أعتمد على مساعدتكم في ذلك.

فكّر الطبيب برهة، وبعد الصمت قال للسيدة: أعتقد أنه لدي حل أفضل لمشكلتك، وأقل خطورة بالنسبة إليك أيضًا.

ابتسمت، معتقدة أن الطبيب سيقبل طلبها.

ثم تابع: أنت ترين أنه ليس لديك الرغبة في رعاية طفلين في الوقت نفسه؛ لذا فالأفضل قتل الطفل الذي بين ذراعيك، وبهذه الطريقة، يمكنك أخذ قسط من الراحة قبل أن يولد الطفل الثاني، إذا كنتِ تريدين قتل أحدهما، فلا يهمّ أي واحد كان، وهكذا لن يكون هناك أي خطر على جسمك إذا اخترت الطفل الذي بين ذراعيك.

هنا أحسَّت السيدة بالرعب، وقالت: لا، أيها الطبيب، إن هذا رهيب، إنها جريمة قتل طفل!

أجاب الطبيب: أوافقك الـرأي، ولكن كنت موافقة على قتل من في بطنك، وظننت أنه أفضل الحلول.

ابتسـم الطبيـب، مـدركًا أنـه قد أبـدى وجهـة نظره، فاقتنعت الأم أنه لا يوجد اختلاف في قتل الأطفال الأحياء أو الذين مازالوا في الرحم، فالجريمة هي نفسها!

خاطرة: غيِّر أسلوبك في الإقناع تتغير أحوال من هم حولك.



ذكاء صياد

خــرج الملــك مع وزيــره، يتنزّهــان على شــاطئ البحر، فوجــدا في طريقهمــا صــيادًا مرقّــع الثيــاب، يرمي شــباك الصيد في مياه البحر، ويغني فرحًا مسرورًا غير عابئ بشيء من هموم الدنيا.

قــال الملك لوزيره: هذا صــياد قوي وذكــي جدًّا، هيا بنا لنتعــرف عليه عن قــرب، اقترب الملك ووزيره من الصــياد، وألقيا عليه التحية، فردّ عليهما.

قال الملك للصياد: كيف حالك؟

قال الصــياد: حالي، كما تراني، أرمي شــباكي، وأصيد أرزاقي، وأعود إلى عيالي، مطمئنًا بالي، فأنا ملك مثلك أيها الملك.

قال الملك: لا ينبغي أن يكون في مملكتي ملك غيري، فأنا ملك البلاد، ولا ملك ينازعني ملكي.

قال الصــياد: أنت ملك على عرش مملكتك، وأنا ملك البحر والصيد على عرش شباكي.

أراد الملك أن يختبر الصــياد، فقال له: أريد أن أسألك، فإن أجبتني بجواب صحيح أعطيتك مكافأة.

قال الصياد: أنا رجل فقير وخلفي عيال، اسأل يا ملك الزمان، وزيرك، فهو أجدر بالإجابة مني.

رفض الملك، وأصرّ على سؤال الصياد، وقال له: كم عدد نجوم السماء؟ وما عمل ربك الآن؟

قال الصياد للملك: لا أجيبك، حتى تعطيني الأمان.

قال الملك: لك مني العهد والأمان.

قال الصياد للملك: احلق شعرك، وضعه على الطاولة هنا أمامي، ثم ابدأ بعدّه، شعرة تلو شعرة، حينئذٍ تعرف عدد نجوم السماء.

وأما عمل ربي الآن فلا أجيبك، حتى ينزل وزيرك عن حصانه الذي يعتليه، ثم يخلع كل ملابسه، ويلبس ملابسي.

أمر الملك أن يفعل وزيره ذلك، ففعل الوزير ما أمر به الملك.

خلع الصياد ملابسه، ولبس ملابس الوزير، ثم ركب على حصان الوزير، وقال:

إن عمل ربي الآن أن يغيِّر، ويبدّل في ثوانٍ.

وفجأة مرّ غراب من فوق رؤوسهم ينعق.

فقال الملك لوزيره: ماذا يقول الطير؟ قال: لا أعلم.

قال الملك للصياد: ماذا يقول الغراب؟

قال الصياد: أمّا «النعقة» الأولى فمعناها، سبحان من لا يعرف سرّ المخلوق إلا هو، وأمّا «النعقة» الثانية فمعناها، سبحان من لا يعلم العلوم إلا هو، وأمّا «النعقة» الثالثة فمعناها، سبحان من لا يملك الأرزاق والأعمار إلا هو.

قال الملك للصياد: مكانك على ظهر الجواد، ولا تنزل، وأنت أيها الوزير، مكانك على شاطئ البحر، ولا تعلُ.

تدبر: حسن المنطق موكل بحسن الرزق، كما أن البلاء موكل بسوء المنطق.



لماذا أدعوه؟

دخلت الصالون، وهي ترتدي أجمل ابتسامة، تميط اللثام عن أسنان ناصعة وسعادة هائلة، قبل أن تشرع تقرأ الكتاب الذي أخرجته من حقيبتها الأنيقة، تقدمت نحوها مصففة شعرها بانشراح، رحبت بها بحرارة، ثم ناولتها صورة، قائلة: اخترت لك سيدتي، هذه التسريحة، فقد شعرت أنها تناسبك. تصفحتها الزبونة السعيدة على عجل، وقالت، وهي تمدّ لها جوالها: لا، لدي تسريحة أجمل منها، إنها في هاتفي. تأملت المصففة شاشة الجوال الصغيرة بتأنٍّ، ثم ابتسمت قائلة: لكِ ما تريدين.

سرقت انتباهي تلك الزبونة البريطانية، لفتت نظري ليس بسبب ابتسامتها أو تسريحتها، بل بسبب عمرها، إنها تتجاوز الثمانين عامًا، لكنها تتحلى بروح وحيوية فتاة يافعة، مازالت تركض خلف الموضة والتسريحات الحديثة بحماسة، مازالت تقبل على الحياة، كأنها في العشرين.

جارها الأسكتلندي، الدكتور جيمس ميرليس ٧٣ عامًا، الحائز على جائزة نوبل في الاقتصاد عام ١٩٩٦، يتشبث بالحياة هو الآخر، لكن بنظارته السميكة وأحلامه الكثيرة، كان يتحدث بحبور في لقائه التلفازي، كأنه فاز بنوبل أمس،

وليس قبل ١٤ عامًا، كان سعيدًا جدًّا، وهو يمطر المذيع بكلمات صينية تعلمها للتو، لدى ميرليس شهية مفتوحة لالتهام المزيد من الكتب واللغات على الرغم من آلام عينيه الطفيفة. جدوله اليومي مزدحم بالفعاليات والأنشطة والفواكه. يبدأ يومه في الساعة السادسة صباحًا بالتهام صحيفة وتفاحة، ثم ينخرط في قراءة ما تيسر من كتاب، قبل أن يذهب إلى الجامعة، عصرًا يذهب إلى المعهد لتعلم اللغة الصينية، ومساء يمارس الرياضة، وتصفح بريده الإلكتروني، قبل أن يخلد إلى النوم يتناول موزة وكتابًا، يقول: كلما كان يومي متخمًا ازدادت بشرتي نصاعة وابتسامتي اتساعًا. يحلم ميرليس بأن يتعلم الصينية والألمانية وكثيرًا من المهارات التقنية المتسارعة، مستحضرًا كلمات الفيلسوف الإنجليزي، فرنسيس بيكون: الشيخوخة في الروح، وليست في الجسد.

الإنجليز ليسوا وحدهم الذين يتمتعون بالحياة، حتى آخر قطرة، فالسنغافوريون يفعلون ذلك بمهارة، يعترف رجل الأعمال السنغافوري الناجح تشو باو ٨٣ عامًا بأنه لا ينام سوى أربع ساعات يوميًّا، يقول: لا أودّ أن أهدر يومي في الفراش، يقضي تشو جلّ يومه في المكتب أو مع أبنائه، يلعب معهم كرة السلة أو يطهو لهم، يرى السنغافوري أن الموت يهرب منه كلما وجده سعيدًا، يقول في مذكراته التي صدرت

العـام الماضـي: أنا لا أخاف مـن الموت، سـيحملني يومًا ما، عاجلًا أم آجلًا، لكن لماذا أدعوه قبل أوانه؟

المسـنون في العـالم يركضـون، ويسـتمتعون، يتبرجون، ويتعلَّمون، لكن أقرانهم في دولنا العربية مريضـون وحزينون ومكتئبون، يموتون قبل الموت.

لِمَ لا نجـد سـبعينيًّا يدرس في الجامعـة، أو يتعلم لغة أخـرى؟ لِمَ لا نجـد كبيرة في السـن تصـبغ شـعرها، وتغير تسريحتها بين الحين والآخر؟

لماذا تنطفئ حماسة معظم آبائنا في الستين؟ يقلع كبارنا عن السـعادة والفرح مبكرًا، يحرمون أنفسهم والآخرين من إمكاناتهم إثر تقوقعهم وانزوائهم.

في الغـرب، عندمـا يتقـدم الإنسـان في السـن تظهـر عليـه ملامـح الرفاهية والارتيـاح، فقد تحرر مـن كثير من الالتزامـات، وتفـرغ لهواياتـه وسـعادته. في المقابـل، يذوي إنسـاننا، عندما يكبر، تصـيبه الأمراض الواحد تلو الآخر، إثر جلوسه وإحباطه، ينتظر الموت أن يلتقطه في أي لحظة.

الإقبـال علـى الحيـاة يطيـل العمر، ويسـعد الإنسـان، وينعكس على أدائه وعمله. ألم يقل سـيد الخلق عليه الصلاة والسلام: «**خير الناس من طال عمره وحسن عمله**».

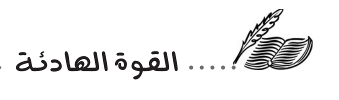
فَلِـمَ لا نطيـل أعمار آبائنـا بإسـعادهم وإخراجهم من عزلتهم وقنوطهم، بتدريبهم على تقنيات حديثة وتحفيزهم علـى خوض غمار تجـارب جديـدة؟ إن من لا يجيد أصـول اللعبة لن يخوضـها، فلنعلمهم، ونعيد الحياة والحماسة إلى أرواحهم وأطرافهم.

علينا أن نشـجِّع أمهاتنا وآباءنا وأقاربنا على ممارسـة مـا يحبـون، وأن يلونـوا حياتهـم دون أن نطفئهـم بعبارات قاسـية سرًّا وعلانية على شاكلة: (متصابية) أو (مراهق في الخمسين) تجعلهم يذبلون، ويختفون.

تأثرت كثيرًا، عندما سألني قبل أشهر عدة رجل في العقد الخامس أن أساعده على كتابة رسالة نصية من جواله.

مـن لا يعرف كتابة رسـالة هاتفية قطعًا لا يسـتطيع أن يرسـل إيميلًا، أو يتصـفح موقعًا إلكترونيًّـا. الأمية في وقتنا الحاضـر لم تعد تقتصـر على القراءة، بل على التعاطي مع وسائل التقنية الحديثة.

فالإنجـاز والإبـداع لا يرتبطـان بعمر ومرحلـة معينة، تصـفحوا أهـم اختراعـات العـالم وابتكاراتـه ومؤلفاتـه، فسـتجدون أن خلفها مسـنين يتدفقون حياة وموهبة، فَلِمَ لا نصفق لمسنينا، وندعمهم، ونؤازرهم كبقية العالم؟



إذا لم نغـيِّر عاداتنا وسـلوكياتنا، فلن نكـون أوفر حظًّا مـن آبائنا، فهم نتيجة لثقافتنا وأسـلوبنا العقيم، سنسـتمر متأخرين، ومتخلفين عن الركب، سـنهرم مبكرًا، وسـنُهزَم مبكرًا، وسنموت قبل الموت.



الولد والشجرة

منذ زمن بعيد ولى، كان هناك شجرة تفاح في غاية الضخامة، كان هناك طفل صغير يلعب حول هذه الشجرة يوميًّا، وكان يتسلق أغصانها، ويأكل من ثمارها، وبعدها يغفو قليلًا في ظلها.

كان يحب الشجرة، وكانت الشجرة تحب لعبه معها، مرّ الزمن، وكبر هذا الطفل، وأصبح لا يلعب حول الشجرة بعد ذلك، في يوم من الأيام، رجع الصبي وكان حزينًا، فقالت له الشجرة: تعالَ، والعب معي، فأجابها الولد: لم أعد صغيرًا لألعب حولك، أنا أريد بعض اللعب، وأحتاج إلى بعض النقود لشرائها، فأجابته الشجرة: لا يوجد معي أي نقود، ولكن يمكنك أن تأخذ كل التفاح الذي لدي؛ لتبيعه، ثم تحصل على النقود التي تريدها.

الولد كان سعيدًا للغاية، فتسلق الشجرة، وجمع جميع ثمار التفاح التي عليها، ونزل من عليها سعيدًا، لم يعد الولد بعدها.

كانت الشجرة في غاية الحزن بعدها؛ لعدم عودته، وفي يوم رجع هذا الولد إلى الشجرة، ولكنه لم يعد ولدًا، بل أصبح رجلًا.



وكانت الشـجرة في منتهى السـعادة؛ لعودته، وقالت له: تعالَ، والعب معي.

ولكنـه أجابها، وقائـلاً لها: لم أعد طفـلاً لألعب حولك مرة أخرى، فقد أصـبحت رجلًا مسـؤولًا عن عائلة، وأحتاج إلى بيت؛ ليكون لهم مأوى، هل يمكنك مساعدتي على هذا؟

آسـفة! فأنا ليس عندي لـك بيت، ولكن يمكنك أن تأخذ جميـع أفرعـي؛ لتبني بها لك بيتًا، فأخـذ الرجل كل الأفرع، وغادر الشـجرة، وهو سعيد، وكانت الشجرة سعيدة لسعادته ورؤيته هكذا، ولكنه لم يعد إليها.

وأصبحت الشجرة حزينة مرة أخرى، وفي يوم حار جدًّا، عاد الرجل مرة أخرى، وكانت الشـجرة في منتهى السعادة، فقالـت له: تعالَ، والعب معي، أنـا في غاية التعب، وقد بدأت في الكبر، وأريد أن أبحر لأي مكان؛ لأرتاح، فقال لها الرجل: هل يمكنـك إعطائي مركبًـا، فأجابته: يمكنـك أخذ جذعي لبناء مركبك، وبعدها يمكنك أن تبحر به أينما تشاء، وتكون سعيدًا.

فقطـع الرجـل جذع الشـجرة، وصـنع مركبه، وسـافر مبحرًا، ولم يعد مدة طويلة جدًّا.

أخيرًا عاد الرجل بعد غياب طويل وسنوات طويلة جدًّا، ولكن الشجرة أجابت، وقالت له: آسفة يا بني الحبيب، ولكن لم يعد عندي أي شيء لأعطيه لك، وقالت له: لا يوجد تفاح.

قال لها: لا عليك لم يعد عندي أي أسنان؛ لأقضمها بها.

لم يعد عندي جذع لتتسلقه، ولم يعد عندي فروع لتجلس عليها، فأجابها الرجل: لقد أصبحت عجوزًا اليوم، ولا أستطيع عمل أي شيء، فأخبرته: أنا فعلًا، لا يوجد لدي ما أعطيه لك، كل ما لدي الآن هو جذور ميتة، فأجابته، وهي تبكي...

فأجابها، وقال لها: كل ما أحتاج إليه الآن هو مكان؛ لأستريح فيه، فأنا متعب بعد كل هذه السنين.

فأجابته، قائلة: جذور الشجرة العجوز هي أنسب مكان لك للراحة. تعالَ، تعالَ، واجلس معي هنا تحت، واسترح معي.

فنزل الرجل إليها، وكانت الشجرة سعيدة به، والدموع تملأ ابتسامتها.



التهجد

أحـد التابعين ﵁ يتهجد من الليل، فرأى ولده الصـغير يقوم بجواره، فأشـفق عليه؛ لصِغَر سِنِّه، ولبرد الليل ومشقة السـهر، فقال له: ارقد يا بني، فأمامك ليـلٌ طويل، فقال له الولد: فما بالك أنت قد قمت؟

فقال: يا بني، قد طَلَب مني أن أقوم له، فقال الولد: لقد حفظت فيما أنزل الله في كتابه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾. فمَن هؤلاء الذين قاموا مع النبي ﷺ؟ فقال الأب: إنهم أصحابه.

فقال الولد: فلا تحرمني من شـرف صـحبتك في طاعة الله، فقـال الأب، وقـد تملّكته الدهشـة: يا بنـي، أنت طفل، ولم تبلـغ الحلم بعـد، فقال الغلام: يـا أبـتِ، إني أرى أمي، وهي توقد النـار، تبدأ بصـغار قطع الحطب؛ لتشعل كبارها، فأخشـى أن يبدأ الله بنا يوم القيامة قبل الرجال، إن أهملنا في طاعتـه، فانتفض أبوه من خشـية الله، وقـال: قم يا بني، فأنت أولى بالله من أبيك.



هل تملك طائرة؟

جلس رجل في غرفة التدخين في أحد المطارات؛ ليدخن قبل إقلاع الطائرة، وفور خروجه من تلك الغرفة إذا برجل يكلمه: كم مرة تدخن في اليوم؟

المدخن: لماذا هذا السؤال؟!

الرجل: لو جمعت كل المال الذي أنفقته على تلك السجائر لكانت الطائرة التي تقف في ذلك المدرج ملكك.

المدخن: وهل أنت تدخن؟

الرجل: لا.

المدخن: وهل تملك الطائرة؟

الرجل: لا.

المدخن: شكرًا على هذه النصيحة، أنا أدخن، وتلك الطائرة ملكي!

اسم المدخن ريتشارد برنسون مالك طيران فيرجن.



الكلمات السحرية

الدكتور بول جرينجارد، الحائز على جائزة نوبل في الطب عام ٢٠٠٠، أحرز كثيرًا من الانتصارات البحثية بعد رسائل كتبها إلى طهاة وسائقين وأُمّ لم يلتقِها. فجرينجارد الذي ماتت أمه في أثناء وضعه، لا يفوز بالسعادة وصفاء الذهن إلا عندما يشعل ابتسامة شخص، ولو عن بعد. هذه الرسائل الصغيرة التي يكتبها، عالم الأعصاب الأمريكي الشهير، التي لا تزيد على جملتين وأحيانًا كلمتين كان لها أثر كبير في تجلّيه ونجاحه العملي والاجتماعي. يعتقد فجرينجارد أن السعادة الأبدية لا تأتي عن طريق الجوائز والمال، فهي تخفت مع مرور الأيام، ولكنها تدوم عندما تزرع رسائل الشكر والامتنان في يومك، فتحصد الفرح في قلبك وغيرك. يقول الشاعر الألماني راينر ريلكه: السعادة شعور مذهل يملؤك، عندما تدخل السرور إلى قلوب الآخرين. إنني لا يمكن أن أصف لكم حجم هذه السعادة التي تنتشر في الخلايا بسخاء إثر رسالة تكتبونها أو مكالمة قصيرة تجرونها، إلا عندما تجربون بأنفسكم. بعضكم سيطير، وبعضكم الآخر سيسبح في فضاء لا حد له من السرور والحبور.

إدخال السعادة إلى القلوب عبر رسائل ومكالمات امتنان مفاجئة إحدى الوسائل، لكن ليست كلها، الباحث المكسيكي،

ماريو مولينا، الحائز على نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٥، لديه مبادرة مبتكرة في إسعاد الآخرين، فقد كان يقوم أسبوعيًّا بتحضير الطعام لفنيي الصيانة في المختبر الذي كان يعمل فيه في جامعة كاليفورنيا، بركلي. فعلى الرغم من انشغاله الكبير إلا أن إعداد الطعام لهؤلاء الفنيين كان يشكل له «متعة لا تضاهيها متعة». ويؤكد الدكتور مولينا دومًا أن السعادة الطفيفة التي كان يرسمها على وجوههم وراء السعادة الكبيرة التي سكنت روحه وأصابعه وأبحاثه.

مبادرة: جرّبوا أن تفاجئوا حارس أمن بوجبة منزلية طازجة أو عصيرًا باردًا، كيف ستكون ردة فعله؟ كيف سيكون حجم ابتسامته؟ إنها مبادرة ستترك أثرًا عميقًا، ليس في نفسه فحسب، بل في نفوسكم، ستبدّد أيّ حزن في داخلكم، وستفتح شهيتكم للأمل.

دعوة: إنّ السعادة تعيش بجوارنا، بجوارنا تمامًا، لكننا لا نشعر بها، بل نركلها حين تدنو منا. ألم يقل قاسم أمين: إن السعادة كرة نركلها بأقدامنا، عندما نقترب منها، ونعدو وراءها عندما تبتعد عنا؟ يقول سقراط: أعمل لسعادتي إذا عملت لسعادة الآخرين. إن السعادة الحقيقية ليست في الأخذ، بل في العطاء، فلنعمل على تكريس هذا المضمون؛ لننعم بالارتياح والسكينة.



ثمن الحياة

جمع الملك الشاب حُكَماء بلاطه، وطلب منهم أن يكتبوا له تاريخ البشرية؛ كي يطّلع عليه، ويستفيد منه، فذهب الحكماء، وعادوا إليه بعد سنوات، وهم يحملون مُجلّدات ضخمة، لكن الملك طلب منهم أن يختصروها أكثر بسبب مشاغله الكثيرة؛ كي يتسنى له قراءتها كاملة، فرجع الحكماء مرة ثانية، وعادوا إليه بعد سنوات، ومعهم مجلدات أقل من سابقتها، لكن الملك ضَجِر من كِبَرها، وأمرهم بإعادة الاختصار.

هنا اقترب منه كبير الحكماء، وقال له: سيدي، تاريخ البشر مُكرّر بشكل لا يمكن لعقل تصوّره، ولو شئت أن ألخّص لك تاريخ البشرية في عبارة واحدة؛ فإن ذلك بمقدوري!

فقال له الملك متلهفًا: هات ما عندك.

فقال الحكيم: يا مولاي، تاريخ البشرية يتلخص في عبارة واحدة: يولد الناس، ثم يتألمون، ثم يموتون.

هكذا رأى الفيلسوف الفرنسي أناتول فرانس تاريخ البشرية من خلال قصته الرمزية السابقة، لكننا بقليل من التأمل والتدبر، سنرى أنها رؤية عميقة لمعنى وجودنا في الحياة.

فالألم هو القاسم المشترك بين جميع البشر، فهو الذي يُطهّرهم في كثير من الأحيان من حظوظ أنفسهم، وهو الذي يعيدهم إلى حقيقة إنسانيتهم، وقديمًا قال أحد الحكماء: قلب يتألم، قلب يتعلَّم.

الألم هو الضريبة التي ندفعها نظير التعلّم، وهو الشاهد على أن «مجّانية التعليم» لم تَطُل دروس الحياة وتعاليمها.

ولو كان ثمة استثناء لهذه الضريبة لكان الأنبياء والرسل أولى الناس بهذا الإعفاء وتلك المنحة؛ لكنهم، قبل غيرهم، دفعوا كامل التكاليف، تألموا كثيرًا، عانوا كما لم يعانِ أحد؛ لكن عَظَمَتهم تجلّت في صلابتهم وتحمّلهم في دفع ضرائب الحياة، وثمن العيش الشريف الكريم فيها، ثمن الحياة بمبدأ وكرامة وشرف؛ ليؤكدوا لنا أن «الألم» الذي نتعرض له هو الدليل الوحيد على كوننا أحياء، وأننا يجب أن نستفيد من ذلك الألم في تعلّم الدرس، والعودة إلى ذواتنا، والدخول في دهاليزها، ومكاشفة النفس، والانعزال عن ضوضاء الحياة بعض الوقت، لنعود بعدها أشدّ قوة، وأكثر وعيًا وثباتًا.

وواهم، ثم واهم من يظنّ أن هذا القانون له استثناء.

سُئل الإمام الشافعي رحمه الله يومًا: أيهما خير للمرء، أن يُبتلى (أي يبتليه الله ويختبره)، أم يُمكَّن (أي يحقق له الله

غايتــه ومراده)؟ فردّ الإمــام الفقيه قائلًا: وهل يكون تمكين إلا بعد ابتلاء؟!

مــا أروع فهــم الإمام وفقهــه! نعم، أيُّ تمكين وانتصــار يمكن أن نحققه، ما لم نُمتحن، ونُختبر، ونُبتلى، ونتألم؟

إنه الثمن الذي يجب أن نستعد لدفعه دائمًا، ثمن النصر والشرف والحياة الكريمة.





الوهم

أُرسل فلاح إلى زيارة رجل نبيل، فاستقبله النبيل، ودعاه إلى مكتبه، وقدّم له الحساء، وحالما بدأ الفلاح شرب الحساء لاحظ وجود أفعى صغيرة في الكوب، وحتى لا يزعج النبيل، اضطر إلى شرب الحساء بكامله.

وبعد أيام شعر بألم شديد، ما اضطره إلى العودة إلى منزل النبيل من أجل الدواء، فاستدعاه النبيل مرة أخرى إلى مكتبه، وجهّز له الدواء، وقدَّمه له في كوب، وما أن بدأ يتناول الدواء، حتى وجد مرة أخرى أفعى صغيرة في كوبه.

قرر هذه المرة ألا يصمت، وصاح بصوت عالٍ: إن مرضه في المرة السابقة كان بسبب هذه الأفعى اللعينة.

ضحك النبيل بصوت عالٍ، وأشار إلى السقف، حيث عُلِّق قوس كبير، وقال للفلاح: إنك ترى في كوبك انعكاس هذا القوس، وليس أفعى.

في الواقع لا توجد أفعى حقيقية، فقد نظر الفلاح مرة أخرى إلى كوبه، وتأكد أنه لا وجود لأي أفعى، بل هناك أنعكاس بسيط، وغادر منزل النبيل دون أن يشرب الدواء، وتعافى في اليوم اللاحق.

عندما نتقبل وجهات نظر وتأكيدات محددة عن أنفسنا، وعن العالم المحيط، فإننا نبتلع خيال الأفعى.

وستبقى هذه الأفعى الخيالية حقيقية مادمنا لم نتأكد من العكس، ما أن يبدأ العقل الباطن بتقبل فكرة أو معتقد ما، سواء أكان صائبًا أم لا، حتى يبدأ باستنباط الأفكار الداعمة لهذا المعتقد.

نفترض أنك تعتقد، دون أي وعي، أن إقامة علاقة مع الآخر أمر معقد، وليس سهلًا. وبتجذره، سوف يغذي هذا المعتقد ذهنك بأفكار من نوع:

لن ألتقي أبدًا الشخص الذي سيعجبني، يستحيل إيجاد شريك جيد،...إلخ.

وما أن تتعرف على شخص ممتع، حتى يبدأ ذهنك بتدعيم الأفكار السابقة، كما يبدو أنه ليس جيدًا لهذا الحد، لن أحاول، حتى التجريب؛ لأنه لن يحصل أي شيء.

وإن ذهنك الذي تجذرت فيه فكرة «من الصعب إقامة علاقة متينة» سوف يجذب كالمغناطيس الظروف الداعمة لهذا التأكيد، ويهمل، بل يصدّ الحالات التي تثبت العكس.

إن العقل قادر على تشويه صورة الواقع ليصبح ملائمًا ومطابقًا لوجهات نظرك.





تزوج سرًّا

تزوج رجل أعمال من سكرتيرته سرًّا، وبعد شهر العسل بمدة جاءت السكرتيرة لتخبر الرجل بأنها حامل، فجُنّ جنون الرجل، وبدأ يصرخ في وجهها:

كيف تجرّأت، وقد اتفقنا أننا لا نريد أولادًا من هذا الزواج، أجهشت المرأة بالبكاء، وبدأت تروي كلامًا عن شعورها بالوحدة وعن حبها للأطفال ورغبتها في إنجابهم وتربيتهم التي لم تستطع مقاومتها على الرغم من اتفاقهما.

رقّ قلب الرجل عندها، وقال لها: إنه لن يكون نذلًا معها، وسيلبي لها رغبتها، ولكنه فكر ماذا لو جاءت زوجته إلى المكتب، ورأت بطن السكرتيرة المنتفخ، وهي تعلم أنها غير متزوجة، وإن قالت لها السكرتيرة: إنها تزوجت ستستغرب من عدم دعوتها إلى العرس، وقد تسأل عن هوية العريس؟

تحسبًا لكل ذلك اقترح على سكرتيرته الحل الآتي، قال: سأرسلك إلى إيطاليا، وتبقين هناك حتى تلدي، وعندها سألحق بك لنتمّ إجراءات التسجيل، ونعود معًا، ولكن إياك خلال هذه المدة أن تحاولي الاتصال بي، وهنا سألت السكرتيرة: ولكن كيف ستعلم أنني قد أنجبت؟

أجاب الرجل: عندما تتجبين ترسلين لي بطاقة بريدية، وتكتبين عليها همبرجر فقط، وإياك أن تكتبي أي شيء آخر، وعندها سأعي ذلك، وآتي، سافرت السكرتيرة إلى إيطاليا، وبعد أشهر عدة كان الرجل في العمل، عندما اتصلت به زوجته من المنزل لتخبره عن وصول بطاقة بريدية غريبة إلى عنوانهما.

أجابها الرجل ألا تقلق، وأنه سينظر في موضوع الرسالة مساءً، عندما يعود من العمل، وعندما عاد الرجل إلى المنزل في المساء أرته زوجته البطاقة، وما أن رآها حتى أغمي عليه.

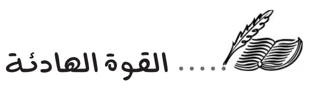
خافت الزوجة كثيرًا، واتصلت بالإسعاف على الفور، وصلت سيارة الإسعاف لنقل الرجل إلى المشفى، وبينما هم يقومون ببعض الإسعافات الأولية سأل أحدهم الزوجة عما أدى بزوجها إلى هذه الحالة؟ فأخبرتهم عن البطاقة البريدية، وعندما نظر الرجل إلى البطاقة رأى الآتي: خمسة همبرجر.



مكمن الفجوة

أجتهد ألا تتأثـر كتابتي بالأحداث اليومية التي أواجهها في عملي أو تعاملي، فما أكتبه للقراء يجب أن يكون نتاج فكر مسـتقر مبني على اسـتيعاب وتدبر ومراجعة وبحث شامل، فـلا يجوز أن يلقـي الكاتب بحـوزة قرائه غثاء قـول وهوى، فما أجدرهم بعصـارة فكره التي يروم حصـانتها وتزكيتها صـادق القصـد والهدف، ولكن حدث موقـف لي مطلع هذا الأسـبوع، ومـا نتج عنه، كان أفضـل ما يكون قصـة تبين ما يجب، وما لا يجب تجاه العملاء، وتوضـح بجلاء أثر السلوك والنمطيـة الفكريـة الموروثة في بناء ثقافة مؤسسـية تكوّن أو تهدم مفهوم جودة الخدمـات المقدمة لجمهور العملاء، وما دفعنـي لطرق هذا الموضـوع هو أن هذا الموقف أو شـبيهًا به واجهني قبل ٣٤ سـنة، وفي مكان مختلـف، وما أرمي إليه في هـذا المقال هو التنبيه لمـن يقدم خدمات للجمهـور أن يهتمّ بنوعيـة الخدمـة، وينظر إلى خدماته كما لـو كانت منتجات محسوسـة، ويستشـعر مشـاعر العملاء، عندما لا يحصلون على الخدمة النوعية التي يستحقونها.

دخلـت حجـرة إحـدى مكائـن الصـرف الآلي الملحقة بفـرع من فـروع واحد من كبـار البنوك السـعودية، وعندما أدخلت بطاقة الصـرف الآلي، فإذا بالماكينة تلتهمها وتُطفأ،



فتوجهت إلى داخل البنك، ويبدو أن مسؤولًا أو أكثر في ذلك البنك كان لديه علم بمشكلة الماكينة، حيث قابلني مساعد مدير الفرع، وقال لي: «أكَلت بطاقتك!» وهو يبتسم، لم يكن الموقف مثيرًا بعد، حيث كنت أعتقد أن المسألة لا تتعدى أن يأتي بالمفتاح، ويستخرج البطاقة، فلم أعلق إلا بقولي: يبدو أن الماكينة خربانة، فبادرني: وإلا بطاقتك خربانة، وهو يبتسم ابتسامة تنمّ عن اتهام وإقلال، وهنا احتدم الأمر في رأسي، وأحسست بوقع الإهانة، فقلت: على كل حال أرجو أن تستخرجها بسرعة، وهنا كان شخص آخر يريد استخدام الماكينة الأخرى التي بجوار الماكينة الخربانة، فقلت له: انتبه لا تذهب بطاقتك فيها، فما كان من مساعد المدير إلا أن التفت إلي متجهمًا، وقال: لا يحقّ لك أن تقول هذا، ولتبقَ في حالك، وتركني، وذهب إلى داخل الفرع، كنت أظن أنه سيحضر المفتاح، ويخرج بطاقتي، ولأنه لم يعد إلا بعد مرور دقائق عدة، دخلت أبحث عنه، فلم أجد له أثرًا، وسألت أحد الموظفين، فقال: يجب أن تأتي غدًا لتأخذ بطاقتك، فلم أتمالك نفسي من الانفعال، كيف يكون ذلك؟ يجب أن أحصل على بطاقتي أولًا، ثم إني في حاجة إلى بعض المال، وبكل برود وهو يدير لي ظهره، قال: هذا النظام، وطالما أن حسابك ليس عندنا فلا نستطيع أن نفعل لك شيئًا، ثارت ثائرتي لأسباب عدة: أولها، إن تعامل الموظفين بمن فيهم مساعد

المدير كان جافًّا وخاليًا من أي تعبير ينمّ عن تقدير معاناتي، نتيجة لفقداني بطاقتي بسبب سوء صيانة ماكينتهم.

ثانيًا، قناعتهم بأن علي الانصياع لنظامهم، وإلا فأنا إنسان غير واقعي. ثالثًا، سوء السلوك في الخلاص من العميل بمجرد وصول الموظف لقناعة بنهاية المعاملة. نعم، زمجرت، وعلا صوتي أمام موظف علاقات العملاء أشتكي، وأرفض إذلالي بنظامهم، والحقيقة أن لجامي انفلت، فآثرت أن أنسحب قناعة بأن لا طائل من جدالهم، وفي اليوم المقبل حضرت لآخذ بطاقتي، وطلب مني مدير العلاقات أن أستريح قليلًا، حتى يحضر البطاقة، وبعد أن أحضرها، ووقعت على ما يثبت الاستلام، نظر إلي وهو يبتسم، وكنت أعتقد أنه سيعتذر عما سبَّبه لي نظامهم من عناء، ولكن ذلك لم يحدث، بل الذي حدث أن بادرني: «يا أخي، أمس الله يهديك كنت غلطان» لم أشأ أن أستمع إلى باقي موشح اللوم، فتركته، وخرجت من ذلك البنك العريق، وأنا عازم على ألا أدخله ثانية.

عام ١٩٧٦ انتقلت إلى الدراسة في مدينة فكوكا، جنوب اليابان، وكان حسابي البنكي لدى بنك سنوا ومرتب بعثتي كان يودع في البنك في مدينة طوكيو، ولم يكن في مدينة فكوكا سوى فرع واحد لذلك البنك، في حين كان بنك متسوبيشي



منتشـرًا في المدينــة، وكان واحدًا منها قريبًا إلى سـكني، في ذلك الحين كانت البنوك اليابانية تسـتخدم مكائن صـرف آلي من نوع قديم، وكل بنك لديه شـبكة خاصــة به، ولم يكن بالإمكان الصرف من حساب بنك لدى بنك آخر، إلاّ أن بنك متسوبيشــي أعلن أنه سيوفر الصــرف من مكائنه لحسابات عمــلاء عدد محدود مــن البنوك اليابانية، وكان بنك سـنوا واحــدًا منهــا؛ لذا ذهبــت إلى فرع بنك متسوبيشــي القريب من منــزلي، وحاولت أن أسـحب مبلغًا من حســابي ببطاقة الصــراف، ولكــن دون جدوى، وعدت في اليــوم المقبل، حيث تبادر إلى ذهني أن راتب البعثة لم يودع بعد، وتكرر الوضــع، فــلا نقــود في الحســاب، وفي اليــوم الثالث قد بلــغ القلق بي مبلغًا، فلــم يعد في جيبي أي مبالغ نقدية، فذهبت إلى الفرع نفســه، وتكرّرت الحال، فما كان مني إلاّ أن دخلت على مدير الفرع، أشتكي وأنا منفعل، وكنت شابًّا ومفعمًا وقلقًا، وفي بلد لا أعرف فيه أحدًا، فعلا صوتي، والتفت النـاس في كل البنك إلي، وأنــا أقول: إن الماكينة اللعينة لا تخــرج لي نقودًا مع أن عندي في الحساب نقودًا.

عــمّ سـكون في البنك عدا صــوتي، وأدركـت أني حزت الانتبـاه الــذي أريد، فصــمتّ، وأنــا أتنفس بعمــق، فما كان مــن إحــدى الموظفات ألا أن أحضــرت لي كأسـ ماء، وطلب

مني مدير الفرع أن أستريح في غرفة مجاورة معدة لمقابلة كبار العملاء، ثم أحضر أحد المشرفين، ومعه موظف آخر، وجلسا قبالي وكلٌّ منهما معه دفتر وقلم، وطلبا معرفة اسمي وأين أسكن وبنكي وفي أي فرع حسابي، ثم ذهب أحدهما، وبقي الآخر يقول: اطمئن لن تخرج من هنا إلاّ ومعك بعض النقود، ولكن يجب أن نعرف أين الخلل؛ حتى لا يحدث لك مرة ثانية، وبعد الاتصال مع بنكي في طوكيو اتضح أن مرتب البعثة لم يودع في الحساب، وأن اسمي سقط سهوًا من البيان الذي سلم للبنك لإيداع رواتب المبتعثين، وأن الأمر يستدعي الانتظار إلى الغد، حتى يكون المبلغ في الحساب، بعد أن أبلغني المشرف تلك الحقيقة قال لي: أرجوك انتظر لحظة، وبعد قليل عاد ومعه مدير الفرع الذي سلمني ١٠,٠٠٠ ين، وقال: أرجو أن تكفيك بضعة أيام، حتى تترتب الأمور، وعندما تأتي لتسحب مبلغًا من الماكينة بإمكانك أن تردها لنا، وأردف ضاحكًا: وربما نقنعك بجعل حسابك لدينا، وهذا ما حدث فعلًا، فقد نقلت حسابي لديهم.

هل هي أخلاق اليابانيين التي اكتسبوها من حضارتهم وتربيتهم؟ ما جعلهم يعاملون طالبًا أجنبيًّا لا مطمع فيه معاملة كبار العملاء، وهل هي أخلاقنا التي تربينا نحفظها، هي ما جعل مساعد مدير البنك السعودي ومعاونيه يتكاتفون

لإظهار مواطن كهل مثلي أن لا احترام له، مهما يكن طالما هو غير معروف لديهم.

مـن أين نبـدأ إذا أردنـا أن نتغير، ونكون أمـة متطورة بأخلاقها وخدماتها وحضارتها؟





نُؤجَرُ ويسلمونَ؟

كان الإمام الحافظ، التابعي الجليل إبراهيم النخعيّ رَحِمَهُ اللهُ تعالى أعورَ العينِ، وكانَ تلميذه سليمان بن مهران أعمش العينِ «ضعيفَ البصرِ» وقد روى عنهما ابن الجوزي في كتابهِ (المنتظم) أنهما سارا في إحدى طرقاتِ الكوفةِ يريدانِ الجامع، وبينما هما يسيرانِ في الطريق قالَ الإمام النخعي: يا سليمان، هل لك أن تأخذ طريقًا وآخذ آخر؟ فإني أخشى إن مررنا سويًّا بالسفهاء، أن يقولوا: أعور، ويقود أعمش! فيغتابوننا، فيأثموا.

فقال الأعمش: يا أبا عمران، وما عليك في أن نؤجرَ ويأثمونَ؟!

فقال إبراهيم النخعي: يا سبحانَ اللهِ! بل نَسْلَمُ، ويَسْلَمونُ خيرٌ من أن نؤجرَ، ويأثموا.

نعم، يا سبحانَ اللهِ! أي نفوس نقية هذهِ التي لا تريد أن تَسْلَمَ بنفسها، بل تَسْلَمُ ويَسْلَمُ غيرُها؟ إنها نفوسٌ تغذّتْ بمعينِ: ﴿يَـٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾.

كنتُ أتساءلُ كثيرًا، لو كانَ إبراهيمُ النخعيُّ يكتبُ بيننا: هل تُراهُ كانَ يُعمِّمُ كلامه، ويُثيرُ الجدالَ، وَيُوهِمُ الآخرينَ، ويُورِّي في عباراتهِ، ويطرحُ المشكلة بلا حلولٍ؛ ليؤجَرَ ويأثَمَ



غـيرهُ؟! أم تُراهُ كانَ صـريحًا ناصـحًا، وبعباراتهِ واضـحًا؟! وَرَضِـيَ اللّٰه عن عمـرَ، إذ كانَ يسـأَلُ الرجـلَ، فيقولُ: كيف أنت؟ فإن حمدَ اللّٰه، قال عمرُ: هذا الذي أردتُ منكَ.

تأمـل معي، إنهم يسـوقونَ الناسَ سـوقًا للخيرِ؛ لينالوا الأجرَ: هـذا الذي أردتُ منكَ، أردتك أن تحمدَ اللّٰه، فتؤجرَ، إنهُ يستنّ بسنة حبيبهِ ﷺ، إذ ثبتَ عنهُ ﷺ مثلُ ذلكَ، فهل نتبع سنة حبيبنا ﷺ؟

أوَليسَ: نَسْلَمُ، ويَسْلَمونَ خيرٌ من أن نُؤجَر ويأثموا؟!



شجرة آن فرانك

شجرة آن فرانك تزرع في مونتريال في كندا، والإعلام الغربي يثير حول ذلك ضجّة تحتل الصفحات الأولى.

ما هذه الشجرة؟ هي شجرة كستناء نمساوية ورد ذكرها في كتاب «يوميات آن فرانك» الذي يتضمّن يوميات مراهقة نمساوية اختبأت مع أهلها وأربعة من اليهود في قبو خلفي لمصنع أبيها، قبل أن يُكتشَف أمرهم، ويُرسَلوا إلى معتقل في بيرجن بيرسن في شمالي ألمانيا، حيث توفيت الصبية بعد عام.

وعلى الرغم من كل ما أكده المحققون التاريخيون من تزييف هذا الكتاب، فإنه ظل واحدًا من الكتب الأكثر قراءة في العالم.

البرهان بسيط، فالمسودة مكتوبة بالحبر الناشف، وهو قلم لم يكن بعد مكتشفًا خلال عام ١٩٤٤ تاريخ كتابة المذكرات، هذا فضلًا عن أن اللغة العالية والناضجة التي كُتِبت بها أبعد ما تكون عن أسلوب طفلة مراهقة.

غير أن كل ذلك لا يهمّ، عندما يكون العمل حلقة من سلسلة منظمة ومحكمة لتحقيق أهداف محددة وواضحة.

ولنعد إلى شجرة الكستناء التي كانت كما يفترض في الحديقة، ووصفتها الصبية مرارًا، كبرت الشجرة التي تحولت إلى أيقونة، وسقطت في نهاية أغسطس الماضي، غير أن المصادر اليهودية أعلنت أن ذلك كان متوقعًا، ولذلك قُصَّت أغصان منها؛ لإعادة زرعها في أكثر من مدينة في العالم، منها اثنا عشر غصنًا حصة أمريكا الشمالية. واحد من هذه الأغصان «المقدسة» سيزرع في حديقة البيت الأبيض، وآخر هو ما زرع في مونتريال قبل يومين ليتم الاحتفال بذلك عالميًّا، عبر مئات التقارير التي تعيد كلها قصة آن فرانك والهولوكوست.

يتمّ ذلك في إطار الترتيب المنظم لافتعال متواصل لأي أحداث توظّف للتذكير بالهولوكوست تحقيقًا لأهداف عدة، منها ما هو موجّه إلى العالم، ومنها ما هو موجه إلى الغرب تحديدًا، ومنها ما هو موجّه إلى اليهود أنفسهم، فإلى العالم تعمل الآلة اليهودية العالمية الصهيونية على تثبيت عذر دائم لإسرائيل فيما ترتكبه في فلسطين، وتثبيت صورة الضحية على وجه المجرم مهما بلغت جريمته.

وإلى الغرب، تريد أن تثبت لديه أولًا عقدة الذنب التي تجعله يقدم كل دعم ممكن للدولة العبرية، بإحساس التعويض الملزم الذي لن يبلغ مهما بلغ حد التكفير، كما

تجعلـه يتقبل مـن دون حدود الهيمنـة اليهودية علـى قراره السياسـي والاقتصـادي، وها نحن نرى في بريطانيا أخوين يهوديين يتنافسـان على منصـب زعامة حزب العمل بعد أن رأينا في فرنسـا مرشـحين تنافسـا على الرئاسـة: أحدهما يهـودي والآخر نصـف يهـودي «دومينيك سـتروس كان عن الحزب الاشـتراكي ونيقولا سـاركوزي عن اليمـين»، دون أن يتجرأ فرنسي على الاعتراض على مقولة الأول: لقد اعتنقت السياسة؛ لأخدم إسرائيل.

أما الرسـالة الثالثة التي يهدف إليها هذا الترتيب فهي موجهـة إلى اليهـود أنفسـهم: إن لم تلتفّـوا بمـا يكفي حول الصـهيونية ودولتها فسـيكون مصـيركم المحتم هولوكوست جديد.

رسائل إذا ما وضعناها في سياق المرحلة الراهنة، فهمنا لمـاذا اختارت الشـجرة هـذا الموعد لتسـقط، ولمـاذا اختار سـدنتها برنامج اسـتزراعها في عواصـم العالم، خاصـة في أمريكا الشمالية.

من عملية الاسـتقطاب حول مطلـب يهودية الدولة، إلى عمليـة التغطيـة على تـأزم مسـالة الاسـتيطان، إلى عملية الضـغط المتزايـد في مسـألة المفاوضـات المباشـرة، وكل ما تتناوله من ثلاثية الحقوق الفلسـطينية التي يفترض أن تظلّ

ثوابت لا تنازل عنها، إلى تصليب الموقف الدولي من الموضوع النووي الإيراني الذي يصفه اليهود بهولوكوست جديد، وأخيرًا إلى استقطاب تأييد دولي «وخاصة أمريكيًّا» لأي مشروع حرب إسرائيلية قادمة في المنطقة.

ليس المهم أن نفهم اللعبة، فالمعرفة التي لا تنفع كالجهالة التي لا تضر.

ألم يحن الأوان لأن يفكر العرب، عقلاؤهم وأثرياؤهم، وخبراؤهم والإعلاميون الذين يجمعون المهنية العالية إلى جانب الوعي العالي الذي يتجاوز التكنوقراطية والتعلق بالراتب والمكاسب في إنشاء مرصد إعلامي يقرأ اللعبة، ويضع الخطط للتصدي لها، بل للهجوم المعاكس؟

كم من شجرة وغابة فلسطينية، وكم من آن فرانك اسمها مريم أو ليلى، ولكن كم من عمل منظم يعرف كيف يوظف؟





الصرصور

جلسَـتْ في غرفتها بعد صلاة العِشـاء، تمارس هوايتها المفضـلة، وتقضي أمتع سـاعاتها، تغيب عن الدنيا بما فيها، وهي تَسمَعه يترنّم بأعذب الألحان، إنه المغني المفضل لديها، تضـع السـماعات على أذنيها، وتنسـى نداءات أم احدودب ظهرها من ثقل السنين.

- بنيتي، اسـتعيذي باللّه من الشـيطان، واختمي يومك بركعتين للّه بدل هذا الغثاء.

- (بضجر أجابت): حسنًا.. حسنًا.

اتجهت الأم إلى مصـلاها، وبدأت مشـوارها اليومي في قيام الليل.. نظرَتْ إلى أمها بغير اكتراث.

انتهـت الأغنية، تململت في سـريرها بضـجر، جلسـت لتستعد للنوم، فآخر ما تحب أن تنام عليه صوته، حلّتْ رباط شعرها، وأبعدت السماعات عن أذنيها، والتفتت إلى النافذة، إنها مفتوحة، قبل أن تتحرك لإغلاقها رأت الصرصور يتجه نحوها: الصرصور المزعج، وبدقة عجيبة اتجه نحو الهدف، وأصـاب بدقة طبلة الأذن، صـرخت من هول الألم، وأخذت تدور كالمجنونة، والطنين في رأسها، والخشخشة في أذنها.



- جاءت الأم فزعة: ابنتي، ما بك؟!

وبسـرعة البرق إلى الإسـعاف، ففحص الطبيب الأذن، واستدعى الممرضات، وفي غمرة الألم الذي تشعر به استغرق الطبيب في الضحك، ثم الممرضات.

أخذت تلعن، وتسبّ، وتشتم، كيف تضحكون، وأنا أتألم، أخبرها الطبيب بأن صرصورًا طائرًا دخل في أذنها!

- لا تخـافي، سـيتمّ إخراجه بسـهولة، لكن لا أسـتطيع إخراجه، لا بد من مراجعة الطبيب المختص، عودي السـاعة السابعة صباحًا!

كيـف تعـود، والحشـرة تخشـخش في أذنهـا تحـاول الخروج؟! والألم يزداد لحظـة بعد أخرى.. أخبرها الطبيب بأنـه سيسـاعدها بشـيء واحد، وهـو تخدير الحشـرة إلى الصـباح؛ حتى لا تتحـرك.. حقن المادة المخـدرة في أذنها، وانتهى دوره هنا.

عادت إلى البيت كالمجنونة، رأسـها سـينفجر من شدة الألم، ومـرّ الليـل كأنه قـرن؛ لطولـه، وما أن انتهت صـلاة الفجر، حتى سارعت مع أمها إلى المستشفى.

فحصـها الطبيب، لكن خاب ظن الطبيب المناوب، فلن يكون إخراج الحشـرة سهلًا. وضـع منديلًا أبيض، وأحضر

الملقاط، وأدخله في الأذن، ثم أخرج ذيل الحشرة فقط! عاود الكَرّة، فأخرج البطن، ثم الصدر، ثم الرأس، هل انتهى؟!

مازالت تشعر بألم! أعاد الطبيب الفحص، لقد أنشبت الحشرة نابيها في طبلة الأذن! يستحيل إخراجهما، إنهما متشبثان بشدة، فوضع عنهما الطبيب قطنة مغموسة بمادة معقمة، وأدخلها في الأذن، وطلب الحضور بعد خمسة أيام؛ فلعل النابين يتحللان بعد انقطاع الحياة عنهما.

في تلك الأيام الخمسة بدأت تضعف حاسة السمع تدريجيًّا، حتى أصبحت ترى الشفاه تتحرك، ولا تدري ماذا يُقال، ولا ماذا يدور، كادت تصاب بالجنون، عادت في الموعد المحدد، فحاول الطبيب، ولكن يا للأسف لم يستطع فعل شيء، أعاد الكَرّة: قطنة بمادة معقمة.

- عودي بعد خمسة أيام.

بكت، وشعرت بالندم والقهر، وهي ترى الجميع يتحدث، ويضحك، وهي لا تستطيع، حتى أن تسمع ما حولها أو تبادلهم الحديث، عادت بعد خمسة أيام إلى الطبيب.

- أيضًا لا فائدة، سنجري لك عملية جراحية؛ لإخراج النابين.

كادت تموت رعبًا وهمًّا، طلبت من الطبيب فرصة خمسة أيــام أخرى، أعادوا الكَرّة، وبعد خمســة أيــام مَنَّ اللّه عليها بالفــرج، واســتطاع الطبيب أن يســحب النابــين دون تدخّل جراحي، وابتدأ السمع يعود إليها بالتدريج.

عندهــا فقــط، علمــت أن كل مــا أصــابها كان بمنزلــة الصــفعة التي أيقظتها من الغفلة، وكانــت من العائدين إلى اللّه.





دقيقة فقط

كنت أقف في دوري على شباك التذاكر؛ لأشتري بطاقة سفر في الحافلة إلى مدينة تبعد نحو ٣٣٠ كم، وكانت أمامي سيدة ستينية قد وصلت إلى شباك التذاكر، وطال حديثها مع الموظفة التي قالت لها في النهاية: الناس ينتظرون، أرجوكِ تنحّي جانبًا، فابتعدت المرأة خطوة واحدة لتفسح لي المجال، وقبل أن أشتري بطاقتي سألت الموظفة عن المشكلة؟ فقالت لي: إن هذه المرأة معها ثمن بطاقة السفر، وليس معها يورو قيمة بطاقة دخول المحطة، وتريد أن تنتظر الحافلة خارج المحطة، وهذا ممنوع، فقلتُ لها: هذا يورو، وأعطيها البطاقة. وتراجعتُ قليلًا، وأعطيتُ السيدة مجالًا لتعود إلى دورها بعد أن نادتها الموظفة مجددًا.

اشترت السيدة بطاقتها، ووقفت جانبًا، وكأنها تنتظرني، فتوقعت أنها تريد أن تشكرني، ولكنها لم تفعل، بل انتظرتْ لتطمئن إلى أنني اشتريت بطاقتي، وسأتوجه إلى ساحة الانطلاق، فقالت لي بصيغة الأمر: احمل هذه، وأشارت إلى حقيبتها.

كان الأمر غريبًا جدًّا بالنسبة إلى هؤلاء الناس الذين يتعاملون بلباقة ليس لها مثيل، دون تفكير حملت لها

حقيبتهـا، واتجهنا معًا إلى الحافلة، ومـن الطبيعي أن يكون مقعدي بجانبها؛ لأنها كانت قبلي تمامًا في الدور.

حاولت أن أجلس جهة النافذة؛ لأستمتع بمنظر تساقط الثلـج الذي بدأ منذ سـاعة، وأقسـم بأن يمحـو جميع ألوان الطبيعة معلنًا بصـمته الشـديدة: أنا الذي آتي لكم بالخير، وأنا من يحقّ له السـيادة الآن! لكن السيدة منعتني، وجلستْ جهـة النافذة دون أن تنطق بحرف، فرحتُ أنظر أمامي، ولا أعيرهـا اهتمامًا، إلى أن التفتتْ إلي تنظر في وجهي، وتحدق فيـه، وطالت التفاتتهـا دون أن تنطق ببنت شـفة، وأنا أنظر أمامي، حتى إنني بدأت أتضـايق من نظراتها التي لا أراها، لكنني أشعر بها، فالتفتّ إليها.

عندهـا تبسـمتْ، قائلـة: كنـت أختـبر مدى صـبرك وتحملك.

- صبري على ماذا؟

- على قلة ذوقي. أعرفُ تمامًا فيما كنتَ تفكر.

- لا أظنك تعرفين، وليس مهمًّا أن تعرفي.

- حسـنًا، سـأقول لك لاحقًـا، لكن بالي مشـغول كيف سأردّ لك الدين.

- الأمر لا يستحق، لا تشغلي بالك.

- عندي حاجة سأبيعها الآن، وسأردّ لك اليورو، فهل تشتريها أم أعرضها على غيرك؟

- هل تريدين أن أشتريها قبل أن أعرف ما هي؟

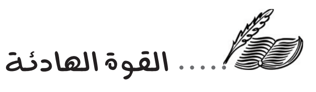
- إنها حكمة، أعطني يورو واحدًا؛ لأعطيك الحكمة.

- وهل ستعيدين لي اليورو إن لم تعجبني الحكمة؟

- لا، فالكلام بعد أن تسمعه لا أستطيع استرجاعه، ثم إن اليورو الواحد يلزمني؛ لأنني أريد أن أردّ به دَيني.

أخرجتُ اليورو من جيبي، ووضعته في يديها، وأنا أنظر إلى تضاريس وجهها. مازالت عيناها جميلتين تلمعان كبريق عيني شابة في مقتبل العمر، وأنفها الدقيق مع عينيها تخبر عن ذكاء ثعلبي. مظهرها يدلّ على أنها سيدة متعلمة، لكنني لن أسألها عن شيء، أنا على يقين أنها ستحدثني عن نفسها، فرحلتنا مازالت في بدايتها.

أغلقت أصابعها على هذه القطعة النقدية التي فرحت بها، كما يفرح الأطفال، عندما نعطيهم بعض النقود، وقالت: أنا الآن متقاعدة، كنت أعمل مدرّسة لمادة الفلسفة، جئت من مدينتي لأرافق إحدى صديقاتي إلى المطار. أنفقتُ كل



مـا كان معي، وتركـتُ ما يكفي لأعود إلى بيتي، ولكن سـائق التاكسـي أحرجني، وأخذ مني يورو زيادة، فقلت في نفسـي: سـأنتظر الحافلة خارج المحطة، ولم أكـن أدري أنه ممنوع. أحببـتُ أن أشـكرك بطريقة أخرى، بعدما رأيت شـهامتك، حيث دفعت عنـي دون أن أطلب منك، الموضـوع ليس ماديًّا. سـتقول لي: إن المبلغ بسيط، سـأقول لك: أنت سارعت بفعل الخير دونما تفكير.

قاطعتُ المرأة مبتسـمًا: أتوقع أنك سـتحكين لي قصـة حياتك، لكن أين البضاعة التي اشتريتُها منكِ؟ أين الحكمة؟

- «فقط دقيقة».

- سأنتظر دقيقة.

- لا، لا، لا تنتظر. «فقط دقيقة»... هذه هي الحكمة.

- ما فهمت شيئًا.

- لعلك تعتقد أنك تعرضتَ لعملية احتيال؟

- ربما.

- سأشرح لك: «فقط دقيقة»، لا تنسَ هذه الكلمة. في كل أمر تريد أن تتخذ فيه قرارًا، عندما تفكر فيه، وعندما تصل إلى لحظة اتخاذ القرار أعطِ نفسـك دقيقة إضـافية، ستين

ثانية. هل تعلم كم من المعلومات يستطيع دماغك أن يعالجها خلال ستين ثانية؟ في هذه الدقيقة التي ستمنحها لنفسك قبل إصدار قرارك قد تتغير أمور كثيرة، ولكن بشرط.

- وما الشرط؟

- أن تتجرد عن نفسك، وتُفرغ في دماغك، وفي قلبك جميع القيم الإنسانية والمثل الأخلاقية دفعة واحدة، وتعالجها معالجة موضوعية، ودون تحيز، فمثلًا: إن كنت قد قررت أنك صاحب حق، وأن الآخر قد ظلمك، فخلال هذه الدقيقة، وعندما تتجرد عن نفسك ربما تكتشف أن الطرف الآخر لديه حق أيضًا، أو جزء منه، وعندها قد تغير قرارك تجاهه. إن كنت نويت أن تعاقب شخصًا ما فإنك خلال هذه الدقيقة بإمكانك أن تجد له عذرًا، فتخفف عنه العقوبة، أو تمتنع عن معاقبته وتسامحه نهائيًّا. دقيقة واحدة بإمكانها أن تجعلك تعدل عن اتخاذ خطوة مصيرية في حياتك، لطالما اعتقدت أنها هي الخطوة السليمة، في حين أنها قد تكون كارثية. دقيقة واحدة ربما تجعلك أكثر تمسكًا بإنسانيتك وأكثر بعدًا عن هواك. دقيقة واحدة قد تغير مجرى حياتك وحياة غيرك، وإن كنت من المسؤولين فإنها قد تغيّر مجرى حياة قوم بأكملهم، هل تعلم أن كل ما شرحته لك عن الدقيقة الواحدة لم يستغرق أكثر من دقيقة واحدة؟

– صحيح، وأنا قبلتُ برحابة صدر هذه الصفقة وحلال عليكِ اليورو.

– تفضل، أنا الآن أردّ لك الدين، وأعيد لك ما دفعته عني عند شباك التذاكر. والآن أشكرك كل الشكر على ما فعلته لأجلي.

أعطتني اليورو، فتبسمتُ في وجهها، واستغرقت ابتسامتي أكثر من دقيقة، لأنتهبه إلى نفسي، وهي تأخذ رأسي بيدها، وتقبله قائلة: هل تعلّم أنه كان بالإمكان أن أنتظر ساعات دون حلّ لمشكلتي، فالآخرون لم يكونوا ليدروا ما مشكلتي، وأنا ما كنتُ لأستطيع أن أطلب يورو من أحد.

– حسنًا، وماذا ستبيعيني لو أعطيتك مئة يورو؟

– سأعتبره مهرًا، وسأقبلك زوجًا.

علتْ ضحكتُنا في الحافلة، وأنا أُمثلُ أنني أريد النهوض ومغادرة مقعدي، وهي تمسك بيدي قائلة: اجلس لا تخف، فأنا متزوجة، وأنا أقول لها: «فقط دقيقة»، «فقط دقيقة»....

لم أتوقع أن الزمن سيمضي بسرعة، كانت هذه الرحلة من أكثر رحلاتي سعادة، حتى إنني شعرت بنوع من الحزن، حين غادرتِ الحافلة، عندما وصلنا إلى مدينتها في منتصف الطريق تقريبًا.

قبل ربع ساعة من وصولها حاولتْ أن تتصل من جوالها بابنها؛ كي يأتي إلى المحطة ليأخذها، ثم التفتتْ إليّ قائلة: على ما يبدو أنه ليس عندي رصيد، فأعطيتها جوالي لتتصل. المفاجأة أنني بعد مغادرتها للحافلة بربع ساعة تقريبًا استلمتُ رسالتين على الجوال: الأولى تفيد أن هناك من دفع لي رصيدًا بمبلغ يزيد على ١٠ يوروهات، والثانية منها تقول فيها: كان عندي رصيد في هاتفي، لكنني احتلتُ عليك لأعرف رقم هاتفك، فأجزيكَ على حسن فعلتك. إن شئت احتفظ برقمي، وإن زرت مدينتي فاعلم أن لك فيها أمًّا ستستقبلك، فرددتُ عليها برسالة قلت فيها: عندما نظرتُ إلى عينيك خطر ببالي أنهما عينان ثعلبيتان، لكنني لم أتجرأ أن أقول ذلك لك، أتمنى أن تجمعنا الأيام ثانية، أشكركِ على الحكمة، واعلمي أنني سأبيعها بمبلغ أكبر بكثير.

تمهَّل: «فقط دقيقة»... حكمة أعرضها للبيع، فمن يشتريها مني في زمن نهدر فيه كثيرًا وكثيرًا من الساعات دون فائدة؟



بــذر التفاح

لبناني رأى حضــرميًّا يأكل بذر التفاح من كيس صــغير يمسكه بيده، فقال له: ماذا تأكل؟

قال له: بذر تفاح.

قال له لبنــاني: معقول، أتأكل بذر تفاح؟ هل هناك أحد يأكل بذر تفاح؟

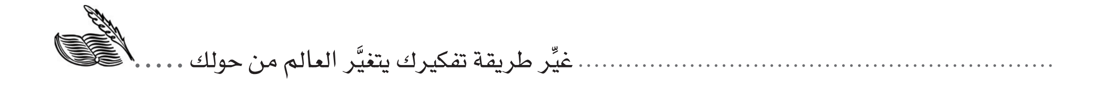
قــال له الحضــرمي: بــذر التفاح ملــيء بالفوائــد، وهو منشط ومقوٍّ للذاكرة، ويرفع مستوى الذكاء.

رد اللبناني: إذًا، ناولني بعض البذور؟

قال له الحضــرمي: لا، إن كنت تريد أبيع لك عشر بذور بـ٥٠ ريالًا.

ردّ اللبناني: يا لطيف، ما هذا الغلاء؟! ومع ذلك خذ ٥٠ ريالًا، وأعطني عشر بذور.

أكل اللبنــاني أول بذرة، فلم يســتلذ بهــا، وأكل الثانية، وســكت هنيهة، وبعد ذلك صــرخ في وجه الحضــرمي: كيف تفعل فيّ ذلك، عليك من الله ما تســتحق؟ كيف أشتري عشر بذرات بـ٥٠ ريالًا، فقد كان يمكنني أن أشــتري عشــرين كيلو تفاح بـ٥٠ ريالًا، وآخذ منها ألف بذرة.



قال له الحضرمي: ألا ترى، فإنك من البذرة الثانية أصبحت ذكيًّا، كيف يكون حالك إذًا بعد أن تنهي العشر بذرات؟!



المحاكمة

أعجب محاكمة سمعتها أذنا التاريخ:

نادى الغلام: يا قتيبة «هكذا بلا لقب».

فجاء قتيبة، وجلس هو وكبير الكهنة أمام القاضي.

ثم قال القاضي: ما دعواك يا سمرقندي؟

قال: اجتاحنا قتيبة بجيشه، ولم يدعُنا إلى الإسلام، ويمهلنا حتى ننظر في أمرنا.

التفت القاضي إلى قتيبة، وقال: وما تقول في هذا يا قتيبة؟

قال قتيبة: الحرب خدعة، وهذا بلد عظيم، وكل البلدان من حوله كانوا يقاومون، ولم يدخلوا الإسلام، ولم يقبلوا بالجزية.

قال القاضي: يا قتيبة، هل دعوتهم إلى الإسلام، أو الجزية، أو الحرب؟

قال قتيبة: لا، إنما باغتناهم؛ لما ذكرت لك.

قال القاضي: أراك قد أقررت، وإذا أقر المدعى عليه، انتهت المحاكمة. يا قتيبة، ما نصر الله هذه الأمة إلا بالدين واجتناب الغدر وإقامة العدل.

ثــم قــال: قضــينا بإخــراج جميع المســلمين مــن أرض ســمرقند من حــكام وجيوشــ ورجــال وأطفال ونســاء، وأن تترك الدكاكين والدور، وألا يبقى في ســمرقند أحد، على أنْ ينذرهم المسلمون بعد ذلك!

لم يصــدّق الكهنة ما شــاهدوه وســمعوه، فلا شهود، ولا أدلــة، ولم تدم المحاكمــة إلا دقائق معدودة، ولم يشــعروا إلا والقاضــي والغلام وقتيبة ينصــرفون أمامهم، وبعد ساعات قليلة ســمع أهل ســمرقند جلبة تعلو، وأصواتًا ترتفع، وغبارًا يعمّ الجنبات، ورايات تلوح خلال الغبار، فســألوا، فقيل لهم: إنّ الحكم قد نُفِّذَ، وإنّ الجيش قد انسحب، في مشهدٍ تقشعر منه جلود الذين شاهدوه، أو سمعوا به.

وما أن غرُبت شــمس ذلك اليــوم إلا والكلاب تتجول في طرق ســمرقند الخالية، وصوت بكاءٍ يُســمع في كل بيتٍ على خــروج تلك الأمــة العادلة الرحيمة من بلدهــم، ولم يتمالك الكهنة، وأهل ســمرقند أنفسهم ســاعات أكثر، حتى خرجوا أفواجًــا، وكبير الكهنة أمامهم في اتجاه معســكر المســلمين، وهم يرددون شهادة أن لا إله إلا اللّه، وأن محمدًا رسول اللّه.

فيا للّه ما أعظمها من قصــة! وما أنصــعها من صفحة من صفحات تاريخنا المشــرق! أرأيتم جيشًا يفتح مدينة، ثم يشــتكي أهل المدينة للدولة المنتصــرة، فيحكم قضاؤها على

الجيش الظافر بالخروج؟ والله لا نعلم شبهًا لهذا الموقف لأمة من الأمم.

بقي أن تعرف أن هذه الحادثة كانت في عهد الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز، حيث أرسل أهل سمرقند رسولهم إليه بعد دخول الجيش الإسلامي أراضيهم دون إنذار أو دعوة، فكتب مع رسولهم للقاضي أن احكم بينهم، فكانت هذه القصة التي تُعدّ من الأساطير.

الحكمة:

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم

بعد الممات جمال الكتب والسِّيَر



أوهام الرجال

الدراسـات الحديثة تشير إلى أن الرجال يعتنقون سبعة أوهام يظلمون بها النسـاء على الرغم من أن الطب النفسي يؤكد أن سلوك الإنسان يختلف من شخص إلى آخر.

بناءً على انطباعات خاطئة يتعامل الرجال مع النسـاء، فهم دائمًا ويدرسون الأم جيدًا، ثم يبدؤون في تطبيق الأحكام الخاطئة علي الابنة، على الرغم من أن الطب النفسـي يؤكد أن سـلوك الإنسـان يختلف من شـخص إلى آخـر، حتى إن كانت البيئة واحدة.

وقبل أن يدخل آدم إلى القفص الذهبي برغبته يسـتمع إلى تجارب المتزوجين السـيئة، ليبدأ حياته الجديدة بسلسلة مـن الاعتقادات الخاطئة عـن الجنس الآخر. هـذا ما جعل إحـدى الدراسـات الحديثة تشـير إلى أن الرجـال يعتنقون سبعة أوهام يظلمون بها النساء. الدكتور محمد فكري عيسى أسـتاذ الطب النفسـي بجامعة عين شـمس، يعلق على نتائج الدراسة من الناحية النفسية، ويوضح مدى خطأ الرجال في اعتناقهم أوهامًا يظلمون بها النساء.



الوهم الأول: النساء لا يشعرن بالرضا أبدًا.

يـرى الدكتور محمـد فكري أن الرضـا مرحلـة عميقة جدًّا من الإيمان لا يصـل إليها الإنسـان بسهولة، وإنها صفة إنسـانية تنطبق على الجنسين معًا، مؤكدًا أن هذا الوهم قد يكـون حقيقة إذا تزوج الرجل امرأة مفتقدة نعمة الرضـا لا تقنع بأي شـيء مهما بلغت عظمته، وهنا مهما حاول الرجل، وبـذل جهودًا عظيمة لا يسـتطيع أن يرضـي هـذا النوع من الزوجات.

الوهم الثاني: يحتجن إلى انتباه ورعاية دائمين.

ويؤكـد الدكتـور محمد فكـري أن هذه حقيقة، وليسـت وهمًا يظلم به الرجل المرأة، والخطأ لا يقع في الاعتقاد، وإنما في الطريقة التي يفهم بها الرجل هذا الاعتقاد.

فالمـرأة إن لم تشـعر باهتمـام زوجها بها، فإنها تشـعر بأنهـا لا تملأ عينيه، ولذلك هي في حاجـة إليه من حين إلى آخـر لتأكيد مكانتهـا لديه، بينمـا يرى الرجـل أن محاولته التأكيـد على أنهـا مازالت أميرة أحلامه عـبء ثقيل يحمله علـى كاهله، ويشـعر بالضـغط عندمـا يبـدي اهتمامه بها، ويبـدو متكلفًا في ذلك؛ لأنه متخيـل أنه يفعل واجبًا إن تهرّب منه فسيلقى عقابًا هو في غنى عنه.



الوهم الثالث: يردن السيطرة على الرجال.

لا جدال في أن ذلك وهم كبير لدى الرجال، هذا ما يؤكده الدكتور محمد فكري، لكنه يستطرد قائلًا: في بعض الأحيان يكون حقيقة، فعندما يتوهّم الرجل أن زوجته تريد السيطرة يكون غير قادر على منحها وقتًا ليتناقش معها، حتى يقنعها بوجهة نظره، ومن ثم يريح نفسه، ويلبي رغباتها، مع اعتقاده أنه مجبر، وهي مسيطرة، وقد يعتقد أيضًا أنه مُضَحٍّ بشخصيته وسعادته ليسير مركب الحياة، ولكنه في الحقيقة يريد أن تنتهي نقاشاته مع زوجته بأقل حديث واحتكاك ممكن.

الاعتقاد الرابع: غيورات ومتسلطات.

هذا الاعتقاد حقيقي، وهو ليس وهمًا، بل هو حقيقة بعيدة عن الظلم، يشير إليها الدكتور محمد فكري، مفسرًا ذلك بقوله: إنه لا توجد امرأة غير غيورة، والدراسات التي تؤكد أن الرجال أكثر غيرة من النساء لا يصلح تعميمها؛ لأنها مختصّة بعينة البحث فقط، وتلك العينة تختلف حسب البيئة والعمر والوقت أيضًا.

أما تسلط المرأة فيرجع، من وجهة نظر الدكتور محمد فكري، إلى اندفاعها الدائم في تصرفاتها، واعتمادها على الحكم بمشاعرها، والسبب أن النساء عاطفيات جدًّا، ولا يملكن قدرة الاستماع إلى لغة العقل، ومن ثم يحكمن بالمشاعر، ويتمسكن بها، ولا يستطعن تفهم وجهة نظر الزوج، وإن اقتنعن يعتقدن أن التراجع يعد نقطة ضعف، ومن ثم لا يتمسكن أكثر بموقفهن.

الوهم الخامس: عاطفيات في القرارات والمشاعر.

الدكتور محمد فكري يؤكد أن هذه حقيقة، فالنساء يتميزن بالرقة والعاطفية، بدليل أنهن ينعمن بعاطفة الأمومة وعطائها.

الوهم السادس: اللائي يبدون قويات ومؤهلات لسن في حاجة إلى رجل يعتني بهن.

ولسن في حاجة إلى الهدايا، والكلام اللطيف، وهذا منتهى الوهم الخاطئ؛ لأن المرأة التي تبدو قوية من بعيد يتضح عند التعامل معها عن قرب أنها مرّت بظروف عصيبة في حياتها، ونتيجة لذلك تحاول أن تكون قوية؛ كي لا تكون مطمعًا للآخرين، ولا جدال في أن أي أنثى في حاجة إلى الحب والاهتمام والهدايا أيضًا.



وينصح الدكتور محمد فكري الرجال عند التعامل مع هذا النمط من النساء باتباع أسلوب مختلف في المعاملة، يعتمدون فيه على إحاطة المرأة بالأمان؛ لتتخلى عن قناع القوة، وتعود إلى طبيعتها من جديد.

الوهم السابع: يسرقن حرية الرجال.

إنها كلمة حق يراد بها باطل، فالرجل قبل الزاوج لا يُسأَل عن حريته، ويتصرف كيفما يشاء، ولكن الحال تتغير بعد دخوله القفص الذهبي، إذ يندرج تحت نظام جديد، وهنا عليه ألا ينسى أن الزواج منظومة. وأن القادر على الزواج لا بد أن يكون قادرًا عليه نفسيًّا، وليس ماديًّا فقط، فليس كل مقتدر ماديًّا قادرًا على تحمل مسؤولية زوجة وأعباء أطفال والتزامات الزواج التي أهمها أن يخبر زوجته عن طريقه دون أن يتركها مشغولة البال؛ لأن هذا حقها عليه.

وفي النهاية ينصح الدكتور محمد فكري كل زوجين بضرورة أن يتفهّما أن الزواج مشاركة، وأن الاثنين في قارب واحد، وليس مهمًّا من الرئيس، ولكن مهم جدًّا أن يسير القارب بسلام، وأن يتناقشا في القرار قبل اتخاذه، وليس هناك داعٍ ليتمسك كل طرف بقراره من أجل إثبات الذات، فالمهم المصلحة العامة.

ونصيحته الثانية ألا يسلم الأزواج آذانهم للآخرين، خاصة الأهل والأصدقاء؛ لأن مقومات البيت السعيد تختلف من أسرة إلى أسرة، ومن مناخ إلى آخر.



النـار

اندلعت النار في بيت مواطن، فهرب بسرعة، وشاهد الناس قد تجمّعوا، ثم تذكر أن عائلته في الداخل، فدخل مغامرًا بنفسه، وخرج حاملًا ابنه، ثم دخل ثانية، وخرج حاملًا ابنته، ثم دخل ثالثة، وخرج حاملًا زوجته وسط تصفيق الواقفين، ثم دخل رابعة، وخرج وليس معه شيء.

وتنفس الصعداء، وعاد خامسة، وخرج من النار، وليس معه شيء، وهكذا دواليك.

فسأله الناس، وقد شكوا أنه أصيب بنوع من الجنون: ما حكايتك يا رجل، داخل طالع، وما معك شيء؟

فأجابهم، وهو يلهث: حماتي في الداخل، وأذهب لأقلّبها على النار!



تزحلقت

كان هناك قسيس يأتي إليه الناس ليعترفوا له بما وقعوا فيه من أخطاء؛ حتى يغفر لهم، وحين كانوا يذهبون إليه يقولون له: أنا زنيت، وأنا غلطت، فما أحب هذه الكلمة؛ لذلك قال لهم: قولوا: أنا تزحلقت بدلًا من زنيت منذ اليوم، ومرت الأيام، وصارت الرعية كلها تعرف هذا المصطلح، ومات القسيس، وتسلّم مكانه قسيس ثانٍ، ولكنه لا يعرف معنى كلمة «تزحلقت» وكان الناس يأتون إليه يعترفون، قائلين: أنا تزحلقت.

استغرب القسيس من هذه الكلمة، ومن كثرة سماعها، فاستغل عظة الأحد، وقال: لا بد أن نصلح الشوارع، ونردم كل هذه الحفر، إذ ليس معقولًا أن ثلاثة أرباع العالم إذا مشوا يتزحلقون.

ضحك كل الأهالي، وأكثر من ضحك رئيس البلدية، فغضب القسيس منه، وقال له: أنت الوحيد الذي لا يحق له أن يضحك؛ لأن زوجتك تزحلقت ٨ مرات خلال هذا الأسبوع!!



الابن الأعمى

إن رجلًا عجوزًا كان جالسًا مع ابن له يبلغ من العمر ٢٥ سنة في القطار، وبدا كثير من البهجة والفضول على وجه الشاب الذي كان يجلس بجانب النافذة.

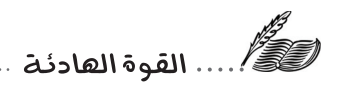
أخرج الشاب يديه من النافذة، وشعر بمرور الهواء، وصرخ: «أبي، انظر إن جميع الأشجار تسير وراءنا»، فتبسّم الرجل العجوز متماشيًا مع فرحة ابنه.

وكان يجلس بجانب الشاب وابنه زوجان يستمعان إلى ما يدور من حديث بين الأب وابنه، فشعرا بقليل من الإحراج، إذ كيف يتصرف شاب في عمر ٢٥ سنة كالطفل؟!

وفجأة صرخ الشاب مرة أخرى: «أبي، انظر إلى البركة، وما فيها من حيوانات، انظر، فإن الغيوم تسير مع القطار».

واستمر تعجب الزوجين من حديث الشاب مرة أخرى، ثم بدأ هطول الأمطار، وقطرات الماء تتساقط على يد الشاب الذي امتلأ وجهه بالسعادة، وصرخ مرة أخرى: «أبي، إنها تمطر، والماء لمس يدي، انظر يا أبي».

وفي هذه اللحظة لم يستطع الزوجان السكوت، وسألا الرجل العجوز:



«لماذا لا تذهب إلى الطبيب لعلاج ابنك؟».

هنا قال الشيخ: إننا قادمان من المستشفى، حيث إن ابني قد أصبح بصيرًا للمرة الأولى في حياته.





بألف رجل

يقـول أحد معلمي القـرآن في أحد المسـاجد: أتاني ولد صـغير يريد التسـجيل في الحلقة، فقلت له: هل تحفظ شيئًا من القرآن؟

فقـال: نعم، فقلت له: اقرأ من جزء «عم»، فقرأ، فقلت: هـل تحفظ سـورة تبارك؟ فقـال: نعم، فتعجبـت من حفظه على الرغم من صغر سنه، فسألته عن سورة النحل؟ فإذا به يحفظها، فزاد عجبي، فأردت أن أعطيه من السـور الطوال، فقلت: هل تحفظ البقرة؟

فأجابنـي بنعم، وإذا به يقرأ، ولا يخطئ، فقلت: يا بني، هـل تحفـظ القرآن؟ فقال: نعم، سـبحان الله، ما شـاء الله تبارك الله، طلبت منه أن يأتي غدًا، ويحضـر ولي أمره، وأنا في غاية التعجب، كيف يمكن أن يكون ذلك الأب؟!

فكانت المفاجأة الكبرى، حينما حضـر الأب، فقد رأيته، وليس في مظهره ما يدل على التزامه بالسنة، فبادرني قائلًا: أعلم أنك متعجب من أنني والده، ولكن سـأقطع حيرتك، إن وراء هذا الولد امرأة بألف رجل، وأبشّرك بأن لدي في البيت ثلاثة أبناء كلهم حفظة للقرآن، وإن ابنتي الصغيرة تبلغ من العمر أربع سنوات تحفظ جزء «عم».

فتعجبت، وقلت: كيف ذلك؟!

فقال لي: إن أمهم، عندما يبدأ الطفل في الكلام تبدأ معه بحفظ القرآن، وتشجعه على ذلك، وإن من يحفظ أولًا يختار وجبة العشاء في تلك الليلة، وإن من يراجع أولًا يختار أين نذهب في عطلة الأسبوع، وإن من يختم أولًا يختار أين نسافر في الإجازة، وعلى هذه الحالة توجد بينهم التنافس في الحفظ والمراجعة.

نعم، هذه هي المرأة الصالحة التي إذا صلحت صلح بيتها، وهي التي أوصى الرسول ﷺ باختيارها زوجة من دون النساء وترك ذات المال والجمال والحسب.

فصدق رسول الله ﷺ، إذ قال: «**تُنكح المرأة لأربع: لمالها، وحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[١]، وقال ﷺ: «**الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»[٢].

فهنيئًا لهذه المرأة، حيث أمّنت مستقبل أطفالها بأن يأتي القرآن شفيعًا لهم يوم القيامة، قال ﷺ: «**يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ، ورتّل، كما كنت ترتل في دار الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية كنت تقرؤها**»[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٩٠) ومسلم (رقم١٤٦٦).

(٢) أخرجه مسلم (رقم ١٤٦٧).

(٣) أخرجه ابن حبان (رقم٧٦٦) والترمذي (رقم٢٩١٤) وقال: حسن صحيح.

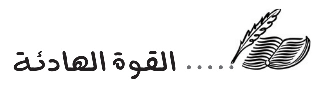
فتخيلـوا تلك المرأة، وهي واقفة يوم المحشـر، تنظر إلى أبنائهـا وهم يرتقون أمامهـا، وإذا بهم قد ارتفعوا إلى أعلى منزلة، ثم جيء بتاج الوقار، ووضع على رأسها، الياقوتة فيه خير من الدنيا وما فيها، فماذا سيفعل بأبنائنا إذا قيل لهم: اقرؤوا؟ إلى أين سيصـلون؟ وهل ستوضـع لنا التيجان؟ إذا نصـبت الموازين، كم في ميزان أبنائك مـن أغنية؟ وكم من صورة خليعة؟ وكم من بلوتوث فاضح؟ بل كم من عباءة فاتنة؟ كل هـذا سـيكون في ميزان آبائهم وأمهاتهم، قال الرسـولﷺ: «**كلكم راعٍ، فمسؤول عن رعيتـه، فالأمير الذي على الناس راعٍ، وهـو مسـؤول عنهم، والرجـل راعٍ على أهـل بيته، وهو مسـؤول عنهـم، والمرأة راعية علـى بيت بعلهـا وولده، وهي مسؤولـة عنهـم، والعبد راعٍ علـى مال سيده، وهـو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[1].

فـالله لم يعطِنـا الذرية، حتـى نكثر من يعصـيه، ولكن ليزداد الشاكرون الذاكرون، فهل أبناؤنا منهم؟!

دعوة: ابدئي أختي الفاضلة، أعزّك الله ببرنامج هادف مع أبنائك وأخواتك، ولتكن هذه الأحرف والآيات في ميزانك صـفقة لن تندمي معها أبدًا وشـهادة لك يوم الحساب، يوم يُؤتـى بقـارئ القرآن شـفيعًا لأهله يوم القيامـة، يوم ارتقاء

---

(١) أخرجه البخاري (رقم ٢٤٥٤) ومسلم (رقم ١٨٢٩).



حفظـة القرآن، والارتفاع بهم إلى أعلى منزلة، وهذا الكلام أيضًا للآباء.

وتخيّـل إذا جعلـت ابنك يحفظ القـرآن أنـه كلما يقرأ حرفًـا تكـن أنت من حفظتـه إياه، بعد فضـل الله، وأنك لك أجر كل حرف يقرؤه في حياته من القرآن.



العصفور

كان هناك عصفور جميل يقف فوق شجرة، ويغرد بصوت جميل، فمرّ على هذا العصفور أشخاص من جنسيات عدّة، فماذا فعل كل منهم؟

الفرنسي: يغني مع العصفور، ويقلّد صوته.

الإسباني: يرقص على أنغام صوت العصفور.

الإيطالي: يرسم هذا العصفور على لوحة كبيرة.

الهندي: يعبد هذا العصفور، ويقدسه.

الياباني: يصنع عصفورًا إلكترونيًّا يماثل هذا العصفور في الشكل والحجم، ويصنع جهازًا لترديد نغمة هذا العصفور.

السوداني: ينام على أنغام صوت العصفور.

الإنجليزي: يطلق النار على العصفور.

الصيني: يأكل هذا العصفور.

الأمريكي: يصنع فيلمًا عن حياة هذا العصفور، وعن جميع الأشخاص الذين مرّوا به.

المصري: يقلّد الفيلم الأمريكي، ويقوم الممثل المصري بتمثيل دور جميع الأشخاص الذين مرّوا على هذا العصفور.

السوري: ينتج مسلسلاً عن العصفور وقصة أجداده (العصفور القديم) حتى الآن، ويقوم بوضع إسقاطات تاريخية وسياسية على حياة هذا العصفور العربي وتاريخه ونضاله القومي.

اليهودي: يبدأ بالبكاء، ثم يقوم بالمطالبة بملكية هذا العصفور بوصفه من نسل هدهد سليمان عليه السلام، ويطالب جميع الأشخاص الذين مرّوا عليه بدفع ثمن مشاهدة هذا العصفور، ويطالب الصيني والإنجليزي بتعويضات عن قتل العصفور، ويطالب بنسبة من أرباح الفيلم الأمريكي والمصري، ويطالب بمحاسبة سوريا على تشويه تاريخ العصفور اليهودي، ويتهمها بالإرهاب ويستغل نوم السوداني؛ ليستوطن في دارفور!





الوعاء الذهبي

عاقب رجل ابنتــه ذات الثلاثة أعوام؛ لأنها أتلفت لفافة من ورق التغليف الذهبية، فقد كان المال شحيحًا، واستشاط غضــبًا، حين رأى الطفلة تحاول أن تزيــن إحدى العلب بهذه اللفافة؛ لتكون على شكل هدية.

على الرغم من ذلك، أحضــرت الطفلــةُ الهديةَ لأبيها، وهو جالس يشرب قهوة الصباح، وقالت له: هذه لك يا أبتِ.

أصــابه الخجل من ردّة فعله الســابقة، ولكنه استشــاط غضــبًا ثانية، عندما فتح العلبة، واكتشــف أن العلبة فارغة، ثم صــرخ في وجهها مرة أخرى قائــلًا: ألا تعلمين أنه، حينما تهدين شخصًا هدية، يفترض أن يكون بداخلها شيء ما؟

ثم ما كان منه إلا أن رمى العلبة في ســلة المهملات، ودفن وجهــه بيديه في حــزن، عندها نظــرت البنت الصــغيرة إليه، وعيناها تدمعان، وقالت: يا أبي، إنها ليست فارغة، لقد وضعت كثيرًا من القُبَل داخل العلبة، وكانت كل القبل لك يا أبي.

تحطّــم قلــب الأب عند ســماع ذلك، وراح يلــفّ ذراعيه حــول فتاته الصــغيرة، وتوســل إليها أن تســامحه، فضــمّته إليهــا، وغطّت وجهه بالقبــل، ثم أخذ العلبــة بلطف من بين النفايات، وراحا يصلحان ما تلف من ورق الغلاف المذهب.

وبدأ الأب يتظاهر بأخذ بعض القبلات من العلبة، وابنته تضحك، وتصفق، وهي في قمة الفرح، استمتع كلاهما بكثير من اللهو ذلك اليوم.

وأخذ الأب عهدًا على نفسه أن يبذل مزيدًا من الجهد للحفاظ على علاقة جيدة بابنته، وقد فعل.

ازداد الأب وابنته قربًا من بعضهما مع مرور الأعوام، ثم خطفت حادثة مأساوية حياة الطفلة بعد مرور عشر سنوات، وقد قيل: إن ذلك الأب حفظ تلك العلبة الذهبية كل تلك السنوات، وأخرج العلبة، ووضعها على طاولة قرب سريره، وكان كلما شعر بالإحباط أخذ من تلك العلبة قبلة خيالية، ويتذكر ذلك الحب غير المشروط من ابنته التي وضعت تلك القبل هناك.

خاطرة: كل واحد منا قد أُعطِي وعاءً ذهبيًّا مُلِئ بحب غير مشروط من أبنائنا وأصدقائنا وأهلنا، وما من شيء أثمن من ذلك يمكن أن يملكه أي إنسان.





الموظف

كان عميل الفندق ينتظر خارج الفندق؛ بحثًا عن سيارة أجرة توصله إلى المطار، وعندما وصلت سيارة الأجرة، قام حاجب الباب بتحميل حقائب العميل فيها، وحين كانت سيارة الأجرة تسير مبتعدة عن الفندق، لاحظ حاجب الباب أن العميل نسي حقيبة يده، فأدرك أن الحقيبة تحتوي على مستندات مهمة؛ لذلك لم ينتظر حتى يكتشف العميل فقدانها، وإنما أمسك بالحقيبة، واستقلّ سيارة أجرة أخرى، وأسرع إلى المطار؛ ليلحق بالعميل، ويا للأسف، عندما وصل الحاجب إلى المطار كان العميل قد استقلّ الطائرة بالفعل إلى نيويورك، تعرف الحاجب على عنوان العميل من لافتة الاسم الموجودة على الحقيبة، ولم يتردد فقد حجز على الرحلة المقبلة، وأسرع إلى نيويورك. وفي الطائرة أدرك العميل أخيرًا أنه نسي حقيبته في الفندق، وعندما وصل مكتبه طلب من السكرتير أن يتصل بالفندق، ويطلب منهم إعادة الحقيبة بأسرع ما يمكن، إذا كان بالفعل نسيها، ولم تسرق، وبينما كان السكرتير ينتظر أن يعاود الفندق الاتصال به، دخل حاجب باب الفندق إلى مكتب العميل في نيويورك، وهو يرتدي ملابس عمله كاملة، دُهِش السكرتير بشدة، وطلب من رئيسه أن يخرج إلى غرفة الاستقبال

لحظة، عندها قام حاجب الباب بتسليم الحقيبة للعميل، ثم بدأ رحلة العودة إلى الفندق، بعد أيام عدّة، تلقى المدير العام للفندق خطاب شكر من العميل المسرور، شرح في الخطاب كل ما حدث، وكيف أنه في غاية السعادة من سلسلة الفنادق هذه، وكيف أن هذا التصرف سيجعله عميلًا مخلصًا في المستقبل، امتدح المدير العام تصرف الحاجب وعوّضه بكرم عن المصاريف الشخصية التي تكبدها من جيبه الخاص، وأجزل له في المكافأة، وهو يعلم أن الحاجب قد أمّن للفندق مكاسب مستقبلية أضعاف ما أعطاه.

عبرة: حسن التصرف عادة ما يترتب عليه نتائج استثنائية.





الكيلو ٩٠٠ جرام

سافر الفلاح من قريته إلى المركز؛ ليبيع الزبد الذي تصنعه زوجته، وكانت كل قطعة على شكل كرة كبيرة تزن كيلوجرامًا. باع الفلاح الزبد إلى البقال، واشترى منه ما يحتاج إليه من سكر وزيت وشاي، ثم عاد إلى قريته، أما البقال فبدأ يرصّ الزبد في الثلاجة، فخطر بباله أن يزن قطعة، وإذا به يكتشف أنها تزن ٩٠٠ جرام فقط، ووزن الثانية، فوجدها مثلها، وكذلك كل الزبد الذي أحضره الفلاح. في الأسبوع المقبل، حضر الفلاح كالمعتاد؛ ليبيع الزبد، فاستقبله البقال بصوت عالٍ: «لن أتعامل معك مرة أخرى.. فأنت رجل غشاش.. فكل قطع الزبد التي بعتها لي تزن ٩٠٠ جرام فقط، وأنت حاسبتني على كيلوجرام كامل!». هزّ الفلاح رأسه بأسى، وقال: «لا تسئ الظن بي، فنحن أناس فقراء، ولا نمتلك وزن الكيلوجرام، فأنا عندما آخذ منك كيلو السكر أضعه على كفّة، وأزن الزبد في الكفّة الأخرى!».

• **تبصر:** لا تدينوا؛ كي لا تدانوا؛ لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم.



أتستهزئ بي؟

حدثنا أبوبكر بن أبي شيبة، حدثنا عفان بن مسلم، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت عن أنس عن ابن مسعود أن رسول اللّه ﷺ قال: «**آخر من يدخل الجنة رجل، فهو يمشي مرة، ويكبو مرة، وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئًا ما أعطاه أحدًا من الأولين والآخرين، فتُرفَع له شجرة، فيقول: أي ربِّ، أدنني من هذه الشجرة فلأستظلّ بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله ﷻ: يا بن آدم، لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول: لا، يا ربّ، ويعاهده ألا يسأله غيرها، وربّه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظلُّ بظّلها، ويشرب من مائها، ثم تُرفع له شجرة هي أحسن من الأولى، فيقول: أي ربّ، أدنني من هذه؛ لأشرب من مائها، وأستظلّ بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا بن آدم، ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ فيقول: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها؟ فيعاهده ألا يسأله غيرها، وربّه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظلّ بظلّها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول: أي ربّ، أدنني من هذه؛ لأستظلّ بظلّها، وأشرب من مائها،**

لا أسألك غيرها، فيقول: يا بن آدم، ألم تعاهدني ألا تسألني غيرها؟ قال: بلى، يا ربّ، هذه لا أسألك غيرها، وربّه يعذره؛ لأنه يرى ما لا صبر له عليها، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها، فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أي ربّ، أدخلنيها، فيقول: يا بن آدم، ما يَصْرِينِي منك؟ أيُرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا ربّ، أتستهزئ مني، وأنت رب العالمين؟ فضحك ابن مسعود، فقال: ألا تسألوني مِمّ أضحك؟ فقالوا: مِمَّ تضحك؟ قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مِمَّ تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك ربّ العالمين، حين قال: أتستهزئ مني، وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر»[1].

تأمل: التفاؤل سمة المؤمن الصادق، وبه يحصل على ما يريد، فلا شيء يحدّ قدرة الله ورحمته.



(١) أخرجه مسلم (رقم ١٨٧).

محمد وجورج

ضلّ نصرانيان في الصحراء الطريق: الأول هو جورج، والثاني اسمه ميشيل، فبلغ منهما الجوع والعطش والتعب مبلغًا عظيمًا، وفجأه وجدا مسجدًا، فقال ميشيل لجورج: سأقول: إن اسمي محمد؛ حتى يعطوني أكلًا وماءً، ويكرموني.

أما جورج فقال: لا، سأقول: إن اسمي جورج، مهما حدث.

قابلهما شيخ المسجد، وسألهما عن اسميهما، فقال ميشيل: أنا اسمي محمد، وجورج قال: اسمي جورج، فقال الشيخ: أحضروا الطعام لجورج، وأنت يا محمد، صائم فنحن في شهر رمضان!

تدبر: الصدق منجاة والكذب مهواة، وإنك لتحصل بالصدق أضعاف ما تجنيه من الكذب.





فيجي

كان فيجي شابًّا في مقتبل العمر، عندما قدم إلى الإمارات قبل أكثر من ٢٠ سنة كغيره من الهنود الذين فتحت لهم بلدان الخليج أبوابها على مصراعيها للقدوم إليها؛ طلبًا للرزق على أراضيها.

عمل فيجي في البداية حلاقًا في أحد دكاكين الحلاقة في تلك المدة براتب شهري زهيد جدًّا، أكثر من نصفه كان يقوم بإرساله إلى أسرته في الهند، ومع مرور الأيام أتقن الحرفة، واكتسب خبرة كبيرة في هذا المجال أهلته لكي يصبح حلاقًا ماهرًا يشار إليه بالبنان، ما شجَّعه على التفكير في الانفصال وتأسيس دكان خاص به يكون فيه هو الآمر الناهي، فلم يجد صعوبة في إقناع أحد زبائنه المواطنين بأن يكفله؛ لأن قوانين الدولة لا تسمح بأن يفتح المستثمر الأجنبي محلًّا دون أن يكون لديه كفيل مواطن، فافتتح صالونه الأول، واستقدم حلاقين هنودًا من بلدته الصغيرة بالهند.

كان الشعار الذي يرفعه فيجي هو «بتقديم خدمات راقية للزبائن تتفوق على تلك الخدمات التي تقدمها الصالونات الأخرى وبأسعار منافسة»، وبالفعل نجح في ذلك، بل نجح في تغيير مفهوم الحلاقة والتزيين الرجالي

المتعارف عليه في تلك المدة الذي كان يقتصر على مجرد دكان متواضع بداخله بعض كراسي الحلاقة المهترئة يقوم عليها مجموعة من الحلاقين البسطاء، فقسّم المحل إلى كبائن منفصلة، كل كابينة مجهزة بتلفزيون صغير مزود بجهاز استقبال فضائي، وبات لكل حلاق عدته الخاصة من أجهزة ومقصات وأمواس... إلخ، يتمّ تعقيمها بعد كل عملية حلاقة، وجهّز قاعة الانتظار التي عادة ما تكون مكتظة بالزبائن الذين ينتظرون دورهم بكراسي وثيرة وجهاز تلفاز عملاق مزوَّد بسماعات عالية الجودة، ونصب عليها موظفًا مهمته مقصورة على تقديم المشروبات الساخنة للزبائن والمحافظة على نظافة المكان.

وهكذا انطلق فيجي بسرعة الصاروخ، وازدهر عمله بشكل ملحوظ ما شجَّعه على افتتاح فرع آخر بعد شهور قليلة، تبعه الثالث ثم الرابع، أما الخامس فكان مركز تجميل رجاليًّا متكاملًا يقدم جميع خدمات التجميل الرجالية، بدءًا من الحمام المغربي وتقليم الأظافر وخدمات تنظيف وتقشير البشرة بمختلف أنواعها وألوانها، وانتهاءً بخدمة زرع الشعر لمن يعانون مشكلة الصلع!

وجد فيجي أن شريحة كبيرة من زبائنه يأتون من ضواحي المدينة، فقرر أن يقدم خدماته بنفسه إليهم، فافتتح

صالونًا في منطقة المرور، ثم المشرف، وفي المدن المتاخمة كالشهامة وبني ياس، وبعد مدة اكتشف أنه ينفق مبلغًا كبيرًا من المال؛ لتغطية احتياجات مملكة الصالونات المترامية الأطراف التي يمتلكها، ويشمل ذلك الأمواس ومكائن الحلاقة وعلب الكريم والشامبو والمحارم الورقية، وغيرها من السلع الاستهلاكية، فقرر أن يفتتح محلًّا متخصصًا في استيراد وبيع أدوات الزينة والحلاقة؛ ليسد بذلك النقص الذي كان يعانيه، ويتجنّب التعامل مع جشع الموردين، ولم يقف طموحه عند مجال الحلاقة والتزيين فقط، فقرر اقتحام مجالات أخرى جديدة مستغلًّا السمعة التي جناها الاسم الذي اختاره علامة تجارية لجميع الصالونات التي يمتلكها، فافتتح مكتب سفريات، ثم محل تصوير مستندات قبل أن يقوم بافتتاح مصبغة أوتوماتيكية؛ لكي تتولى عملية غسل المناشف والملاءات بعد استخدامها، ثم إستوديو تصوير فوتوغرافي، وأخيرًا محل هواتف نقالة وإكسسواراتها.

بقي فقط أن تعرفوا أن فيجي هذا هندوسي، ويعمل تحت إمرته ما لا يقل عن ٢٥٠ موظفًا تقريبًا، أغلبهم هندوس بطبيعة الحال، أما رأس ماله فصار بالملايين، ومع ذلك فهو مازال يسكن في شقة صغيرة في إحدى البنايات مع عائلته الصغيرة، وها هو يرشح نفسه لانتخابات مجلس

إدارة الغرفة التجارية والصناعية في أبي ظبي، ومن الممكن أن يرشح نفسه في المستقبل ليحل محل معالي أحد الوزراء، ومن ثم يرشح نفسه لرئاسة الدولة، كما ذكر ذلك سعادة الفريق ضاحي خلفان قائد عام شرطة دبي.

حكمة: أيها الشباب، ممن تقتصر آمالهم وأحلامهم على العمل في القطاع الحكومي أتعجزون أن تكونوا مثل فيجي؟



اللغة الإنجليزية

قصة حقيقية يرويها السفير الياباني لدى الولايات المتحدة الأمريكية، فقبل بضعة أيام أُعطي رئيس الوزراء موري بعض المبادئ في المحادثة باللغة الإنجليزية، قبل زيارته للولايات المتحدة؛ لمقابلة الرئيس الأمريكي باراك أوباما، وتمّ إخباره بأن عليه أن يقول، عندما يصافح باراك أوباما الآتي:

how are you? «كيف الحال؟».

I am fine، and you? ، ليرد عليه أوباما: «بخير، وأنت؟».

me too، فيردّ عليه رئيس الوزراء: وأنا أيضًا بخير، ثم بعدها يتولى المترجم بقية المحادثة.

تبدو مهمة سهلة، أليس كذلك؟ ولكن الحقيقة كانت كالآتي:

عندما قابل رئيس الوزراء موري باراك أوباما،

قال له بالخطأ: who are you? من أنت؟ «بدلًا من: how are you? كيف حالك؟

صُدم أوباما من السؤال، وحاول تلطيف الجو، فقال:

well، I am michelle›s husband، ha ha

أنا زوج ميشيل.

فـرد عليه مـوري: me too ha ha «وأنا كذلك»، عندها خيّم صمت طويل على غرفة الاجتماع.

تأمل: من تعلم لغة قوم أمن مكرهم.



حسن الظن

كان هناك سعودي وكويتي زميلان يدرسان في بريطانيا، وبعد انتهاء مدة الدراسه قـرّرا أن يرجعا إلى أهلهما، فقال الكويتي للسعودي:

قبـل أن تذهب إلى السـعودية تعـالَ معـي إلى الكويت، وبعدهـا عُدّ إلى السـعودية، فوافق السـعودي، وحين كانا في الطائـرة في طريقهمـا إلى الكويت اتصـل أخـو الكويتي من الكويـت بأخيه، قائلًا لـه: إن جدتك توفيت، فقـال الكويتي لأخيـه: أنا معي زميلي من السـعودية دعوته؛ ليقضـي أيامًا معنا، فلا تقل له شـيئًا؛ حتى لا يضـيق صـدره، ولا أحرجه، وسوف نصلي على الجنازة وكأنها لواحد من جماعتنا.

لما وصـلا صـلّيا على الجنازة، وبقي السـعودي مدة في الكويـت، فأعجب ببنت جـيران الكويتي، فقـال لزميله: إني أودّ أن أتـزوج جارتـك، ففرح الكويتي، وقال: أنا مسـتعد أن أخطبهـا لـك، وفعلًا خطبها لـه، وأخبر السـعودي أهله وتمّ الزواج، ورجع السـعودي إلى قريتـه، وبعد مدة كبرت تجارة السعودي، وأصبح تاجرًا كبيرًا.

أمـا الكويتي فخسـر كل أمواله وتجارتـه، فقال: لماذا لا أذهب إلى صـديقي السـعودي، فمن المؤكد أنه سيساعدني،



وفعلًا ذهب إلى السعودية، وقد انتظر أن يرى زميله بفارغ الصبر، فحين سأل عنه ووصل إلى بيته وجد أنه ساكن في قصر وتاجر كبير، وكان الوقت متأخرًا، فقال للبواب: قل لصاحب البيت: إن زميلك من الكويت فلان بن فلان عند الباب، ويريد أن يراك، وبعدما رجع البواب أعطى الكويتي شيئًا من عشاء السعودي، فضاق صدر الكويتي، وقال: أهذا جزاء الصداقة؟

وهو راجع يجرّ أذيال الخيبة، لقي رجلين من رجال الأعمال يتراهنان بأن يعطيا أول من يأتي إليهما مليون ريال، وكان من حظ الكويتي أنه هو من جاءهما أولًا، فأخذ المليون، وتاجر بها في السعودية، وقبل أن يرجع إلى الكويت لقي عجوزًا معها بنت، فقالت له:

أوّد أن أجعل هذه البنت عندك؛ لأني سأذهب إلى الحج، وإذا لم أرجع تزوجها، وأبقِها عندك، وحين طالت عودة العجوز عقب الحج تزوّجها، وأقام حفلة الزواج بالكويت، وفي أثناء الزواج كان بين المدعوين زميله السعودي، وعندما رآه الكويتي غضب، وقال للحضور: اطردوه؛ فهو خائن للعشرة والصداقة، فإنه لما جاء معي إلى الكويت، وكانت جدتي ميتة ما أعلمته؛ حتى لا يضيق صدره، وخطبت له بنت الجيران

التي كانت في الأساس خطيبتي، وفضّلته على نفسي، أما هو فقد جئته محتاجًا، فأعطاني فضلة عشائه!

أتدرون ماذا قال السعودي؟! قال: اسمعوا، واحكموا علي، فحين جاءني الكويتي محتاجًا ما أحببت أن أراه على حالته السيئة، بعدما رأيته تاجرًا كبيرًا، فكيف أراه صغيرًا محتاجًا، أتفضّل عليه بشيء من عندي؟ لذا أعطيته فضلة عشائي، وبالنسبة إلى التاجرين اللذين تراهنا على مليون، فهذان أخواي أرسلتهما إليه؛ ليفكَّا ضائقته، أما العجوز التي معها البنت فهي أمي والبنت أختي، فما رأيك هل أحضر زواج أختي؟!



فن الاتكال

يسـحب الزوج نفسًا عميقًا من ليّ المدخنة (أداة لشرب الدخان)، ثم يدخل يده في جيبه سـاحبًا الجوال؛ ليهاتف أم العيال: وصلتوا! أنا سـأتأخر قليلًا في استراحة الزملاء. ثم يأتـي منزله فجرًا، فالأولاد مـا أن يدخلوا المنزل حتى يرموا كل شـيء في أيديهم، حقائبهم المدرسية، وأحذيتهم، وبقايا فسـحتهم، ثم يصـيح الصبي ذو العاشـرة في وجه الخادمة الآسـيوية: هاتي لي ماءً، فتركض فزعة؛ لتحضـر كوب الماء لهذا الصبي المأفون، وهو لا يريد ماءً قدر ما كان يريد أن يلقي أوامر! أطفالنا ما أطول ألسنتهم أمام أمهاتهم والخادمات، ولكنهم أمام الكاميرا يصـبحون كالأرانب المذعورة، لا أدري كيف يحدث هذا؟!

أحسـن شـيء سـائق وشـغالة، من يتحمل مشـاوير أم العيـال، ومـن يتحمل قيادة السـيارات في شـوارعنا المكتظة بالمخالفات المرورية والطائشين والسائقين النزقين؟ فليتحمل المسـؤولية السائق الآسيوي، فكلها حفنة ريالات، ومن يتحمل غسـل الصحون والملابس وشـطف البلاط وتسقية الحديقة وكي الملابس؟

آه ما أثقل دم كي الملابس، ها هي حفنة ريالات أخرى لخادمة آسيوية تعمل كل هذه الأعمال الشاقة، ولتتفرغ أم العيال لتصليح الحلى، والبنات لمتابعة الفضائيات والتجول في الأسواق، والأولاد لمضايقة بنات الناس في الأسواق! وهو لا يدري أنها يمكن أن تكون أخته في يوم من الأيام، الكسل أحلى من العسل، ماذا جنى الأولاد والبنات من هذا الكسل؟ لا شيء سوى الطفش! دائمًا صغارنا وكبارنا طفشانون؛ لأنهم لا يعملون شيئًا، فمن لا يتعب لا يحس بطعم الراحة، ومن لا يجوع لا يحس بطعم الأكل، كل مشاوير بيتزاهت وماكدونالد لم تعد تسعد صغارنا، ولم تبقَ إلا متعة صغيرة في النوم في بيت الخالة التي لا يسمح بها دائمًا، ولذلك بقي لها شيء من المتعة.

هذا السيناريو السائد في معظم المنازل السعودية والخليجية، المصيبة لا تحدث الآن، ولكنها تحدث بعد عشرين سنة من التبطح تكون نتيجتها بنتًا غير صالحة للزواج، وولدًا غير صالح لتحمل أعباء الزواج؛ لأنه ببساطة غياب تحمل المسؤولية مدة عشرين عامًا لا يمكن أن يتغير من خلالها الابن بسبب قرار الزواج أو بسبب تغير سياسة المنزل؛ لأن هذه خصال وقدرات إذا لم تُبنَ مع الزمن فإنه من الصعوبة بمكان استعادتها. الانضباط ممارسة يومية لا يمكن أن تقرر أن تنضبط في سن متأخرة لكي يحدث الانضباط. وبلا انضباط لا يمكن أن تستقيم حياة.

بيل جيتس أغنى رجل في العالم يملك ٤٩ ألف مليون دولار، أي ما يعادل ١٨٠ ألف مليون ريال سعودي، يعمل في منزله شخصان فقط، تخيَّلوا لو كان بيل جيتس خليجيًّا كم عاملًا سيعمل في منزله؟

ثلاثون أو أربعون أو... ألف، أو أهل إندونيسيا كلهم!

أذكر أيام دراستي في أمريكا أنني سكنت مع عائلة أمريكية ثرية، ولم يكونوا يأكلون في ماكدونالد إلا مرة في الشهر، وتحت إلحاح شديد من أولادهم، ولم يكن أولادهم يحصلون على مصروف إلا عن طريق العمل في شركة والدهم عن أجر بالساعة، فلا أحد «يبعزق» الأموال على أولاده كأهل الخليج.

جيل الآباء الحاليين في الخليج عانى شظف العيش وقسوة التربية، فجاء الإغداق المالي والدلال على الجيل الحالي بلا حدود تعويضًا عن حرمان سابق، حتى أثرياء عرب الشام ومصر أكثر حذرًا في مسألة الصرف على أولادهم.

الآن أجيال كثيرة في الخليج قادمة للزواج لن تستطيع تحمل الأعباء المالية لخادمة، حتى إن كانت خادمة بيت الأهل تقوم بهذا الدور مؤقتًا، فإنها لن تستطيع على المدى الطويل، والابن الفاضل سيتأفف من أول مشوار لزوجته

الجديدة، ثم تبدأ الشجارات الصغيرة والكبيرة التي تتطور، وتصل إلى المحاكم، وتنتهي بالطلاق، وهذا ما يفسر ارتفاع معدلات الطلاق في المملكة والخليج في السنوات الأخيرة.

نحن في الخليج كمن يلعب مباراة كرة قدم ومهزوم فيها تسعة أهداف لصفر، وفي الدقيقة ٤٩ من الشوط الثاني للمباراة لا يريد أن يتعادل فقط، بل يريد أن يفوز! وهذا في حكم المستحيل، هذا ما يحدث بالضبط في الخليج على المستوى الأسري، وأحيانًا على المستوى الدولي.

الحياة كمباراة كرة القدم إذا أردت أن تكسبها، فلا بد أن تُعدّ نفسك لها إعدادًا جيدًا بالتدريب والممارسة الجيدة، والأهم من ذلك أن تلعب بجدّ من الدقيقة الأولى من المباراة، وليس في الدقيقة ٤٩!

في الخليج يعيشون الحياة على طريقة «تتدبر» يذهبون إلى السينما متأخرين، ثم يجدون التذاكر قد نفدت، ثم يجادلون بائع التذاكر «دبّر لنا ياخي» هذه التذاكر ينطبق عليها ما ينطبق على تربية الأولاد، وتحمل المسؤولية والمستقبل وتبعاته، في المجتمع المدني يجب أن تدبر أمورك مبكرًا، وفي أمور الحياة يجب أن تبذل عمرك كله، الطفل الذي يرمي حقيبته بجانب أقرب جدار في المنزل سيدفع

ثمن هذه اللامبالاة، حينما يكبر، ومن أصعب الأشياء تغيير الطبائع والسلوك.

«تتدبر» هذه تصلح قديمًا في زمن الغوص وزمن الصحراء والحياة في انتظار المطر، ولكنها لا تصلح للحياة المدنية التي تحتاج إلى انضباط ومنهج وتخطيط وتدبير منا نحن في كل شؤون حياتنا منذ الدقيقة الأولى من المباراة.

الآن: من نلوم على هذه اللامبالاة، هل نلوم النفط؟ أم الآباء أم الأمهات، أم الأولاد أم البنات؟ أم «تتدبر».

تدبر: السؤال المهم هنا: كم واحدًا منا بعد قراءته هذا المقال سيتغيّر؟





الخطأ القاتل

تقف أمام زجاجة، بسمك ٨ مل، وتلكمها بقوة مرة واثنتين وثلاث، وفي كل مرة، ترى خدشًا بسيطًا في جانبها، يزداد هذا الخدش مع كل لكمة.

تصبح عليها، وتمسي بلكمة، وأنتَ ترى تحمّلها لك وصبرها على لكماتك المتتابعة، وبعد أن أعياها الصبر تأتي هكذا، بطرف سبابتك، وتطرقها طرقة واحدة، فتفاجأ بها تتهاوى أمامك، وتتفتّت، لم تكن الزجاجة أبدًا رهن هذه الطرقة البسيطة بطرف السبابة، لكنها كانت نتيجة حتمية لسلسلة من الطرقات التي كانت تحاول جهدها الصبر والتحمل والثبات، حتى نفد منها كل شيء!

قد تختبر شخصًا يومًا أكثر من مرة، لكنه في كل مرة يتجاوز الاختبار، ويتحمل تبعات أخطائك أو يعتذر عن أخطائه، وقد تحاول أن تتعامل معه بكل أريحية، وتأخذ راحتك «على الآخر» لكنك لم تصل بعد إلى نقطة الانكسار، أو التفتت التي شرحناها للزجاجة أو ما تسمى بـ Break Down.

الصبر له حد وله نهاية، مثله مثل أي قيمة أو عادة أو سجية موجودة عند الإنسان، موسى عليه السلام خالف الخضر ثلاث مرات، فقال له الخضر: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي

وَبَيْنَكَ ﴾. وحينما عصى آدم عليه السلام ربه أنزله من الجنة إلى الأرض.

هناك أخطاء ربما تكون مميتة، أو قاتلة، أو مدمرة، أو حتى تعمل كعمل الكهرباء، فخطأ الكهرباء هو الخطأ الأول والأخير، هو الخطأ المميت المنهي للحياة.

حكمة: هناك نقاط عميقة سحيقة إلى حد الظلمة، تصل إلى منتهى لا يعلمه أحد، لكن ربما تصلها بكلمة منك، فتخرجها إلى النور، وتحييها في الإنسان، وربما تكون نهاية كل شيء، حين تصل هناك.





آخر لحظات

عــاد من العمل متأخرًا، فدخل بيته، واحتضــن أطفاله، وبعد أن أودعتهم أمهم في غرفتهم عادت لتســأله عن يومه؟ وفي منتصــف حديثهما أحسّ بغثيان وألم شــديد في رأســه، فذهب ليتناول حبة مســكن؛ لكــي تخفّف هذا الألم المفاجئ، وإذا بزوجته تســمع ضــجّة في الغرفة، هرعت إليه، فوجدته ملقى على الأرض مغشيًّا عليه.

بعد ســاعات في المستشفى جاءها الطبيب منكسًا رأسه، وقــال لهــا: «زوجك يعــاني ســرطانًا في المخ»، فســقطت هي الأخرى مغشيًّا عليها، وعندما استيقظت، وتذكرت ما مرّ بها خلال الســاعات الأخيرة ظنت أنها كانت تحلم، ولكن عندما رأت «بعضــ» أفراد أســرتها ملتفــين حول ســريرها يبكون، أيقنت أن الكابوس أصبح حقيقة.

لم تســتطع أن تستوعب الصــدمة التي نزلت عليها مثل الصــاعقة، فأمســ كان زوجهــا يداعــب أطفاله، ويضــحك معهم، وقبل أيام حجز لأسرته رحلة سياحية لقضاء الصيف، وقبل أســبوع اشــترى ســيارة جديدة كان يحلم بها منذ كان طفلًا، وقبل أسبوع أيضًا وعدها بأن يمارس الرياضة، وينتبه لنفسه.

فلقد أصابته حمى قبل مدة ورمته طريحًا في الفراش أكثر من أسبوع، وعلى الرغم من أن طبيبه لم يعرف سبب الحمى، لكن أكد له أنها ردّة فعل طبيعية من الجسم تجاه ضغوط العمل التي يتعرض لها.

وبعد أن رحلت الحمى غير بعيد وعد زوجته بأن يعمل خلال ساعات العمل فقط، وأن يأكل ثلاث وجبات في اليوم، وأن يحافظ على ممارسة الرياضة كل يوم، وعدها بأن يعود إنسانًا مثلما كان، فبعد أن سلبته الحياة إنسانيته، ومنحته مقابل ذلك مادياتها التي لا تنتهي، انتبه إلى أنه لا يعرف كم عمر أحد أبنائه، وعندما سُئل مرة عن اسم الفصل الذي تدرس فيه ابنته فوجئ بأنه لا يعرفه، بل فوجئ أكثر عندما حاول أن يتذكر اسم مدرسة ابنته، فلم يستطع.

استيقظ بعد أيام في المستشفى، ورأى زوجته تبكي، وعندما أخبروه بأن حالته المرضية متأخرة جدًّا بكى هو أيضًا، بكى حتى ابتلّ سريره، وابتلت معه ثياب زوجته التي لم تستطع أن تكفّ عن الموت معه في كل لحظة.

أرسل الأطباء تقاريره إلى أحد المستشفيات العالمية، فجاء الجواب: ليبقَ في بلده، فموته لن يتأخر، عندها صارحه الطبيب قائلًا: أستطيع أن أخدعك، وأقول لك: إن هناك أملًا، ولكن واجبي يحتم علي أن أخبرك بالحقيقة،

فستدخل في غيبوبة خلال الأسابيع المقبلة، ومن ثم ستموت؛ لأن المرض قد استفحل في جسدك، ولم تعد هناك فائدة من الأدوية، فسنكتفي بالمسكنات، حتى يحين الوقت، أنا آسف، وأشاح بوجهه، وعيناه تفيضان بالدموع. الطبيب لا يعرفه، ولكنها لحظة إنسانية تجردنا من جميع أقنعة الحياة، وتجبرنا على التعامل معها، وكأننا أطفال كبار.

في نيوزيلندا تقدّر إحصائيات دائرة العمّال إصابة الموظفين بأمراض مزمنة وخطيرة بنحو ٢٠٠٠٠ إصابة كل عام، منها ١٠٠٠ إصابة بأمراض السرطان، كسرطان الرئة والدم وغيرها، حيث يكون مصير ما نسبته ٤٠ ٪ من هذه الحالات الوفاة، والسبب الرئيس هو ضغط العمل.

وعلى الرغم من أن نيوزيلندا، وغيرها من الدول تحاول جاهدة أن تقلل من خطر ضغوط العمل على أبنائها، ولكن جميع تلك الجهود تُعدّ زوبعة في فنجان، فنمط الحياة الجديدة، السريعة المندفعة، ومتطلبات المنافسة العالمية المحتدمة ليس بين الدول والشركات فقط، بل بين الأفراد أيضًا، فرضت نفسها بوصفها لاعبًا رئيسًا في حياة الناس والشعوب.

إن حياتنا لم تعد ملكًا لنا، فلقد أصبحنا نعيش من أجل المستقبل، ذلك البعيد الذي قد لا نصل إليه، وإن وصلنا إليه

فقد لا نراه. كل يوم يستيقظ صديقنا من نومه، وهو يفكر في الموت، ويتذكر جميع تفاصيل حياته. تذكر أنه لم يتبضع من الجمعية التعاونية منذ سنوات، وحاول أن يتذكر اسم إمام المسجد الذي كان يصلي فيه، ولكنه لم يستطع.

تذكر أنه لم يعد يرى أمه وأباه كل يوم، كما جرت عليه العادة، بل إنه لم يَرَ أمه منذ ثلاثة أشهر؛ لانشغاله بالسفر وبأعباء الوظيفة، تمنى في تلك اللحظة لو أنه يراها، فيبكي عند قدميها؛ ليشفي غليله من الأيام التي أنسته، حتى رائحة عباءتها العبقة ببخور الماضي وبطمأنينة الحاضر.

كل يوم يمرّ عليه يعي قيمة الأشياء من حوله، ويعي تفاهة الأشياء أيضًا. كان يتمنى أن يقود سيارة ما، وها هو يحقق حلمه، ولكنه نسي أن يتمنى ألا يطغى حبّ الأشياء في قلبه على حب الأشخاص. كلما أراد أن يكتب وصيته يتذكر أنه مازال في مقتبل العمر، ويتذكر الحكمة التي تقول: إن موت الشباب كسفينة تتحطم، وموت الشيوخ كسفينة ترسو في الميناء، وها هو جالس في غرفة هادئة مظلمة، كسفينة تتحطم في الميناء، دون أن تثير موجًا أو حتى تحرك ساكنًا.

تذكر مرة قول المتنبي:

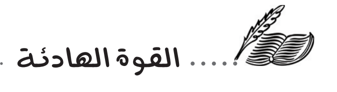
وإذا لم يكن من الموت بدٌّ　　　فمِنَ العجز أن تموتَ جبانا

ولكنــه لا يعــرف هل ســيذكره النـاســ من بعــده، أم أنه ســينتهي جبانًا، كما تنتهي الشــاة، وسيبقى مجرد اسم بارد باللون الأحمر في دفتر العائلة والسبب «الوفاة»؟!

تذكر أن ســقراط عندما عرض عليه حارس السجن أن يهرّبه رفض، وقال لأصــحابه: قولوا: إنكم توارون في التراب جســدي فقــط، فكيف يتخلّى عــن أفكاره، وهو الذي صــارع من أجلها طوال حياتــه؛ لتبقى بعد مماته، وتمنى لو أنه كان ذلك الحارس على الأقل، الذي بفضــل سقراط ذكر في كتب التاريخ.

تذكر جميــع مشــروعاته وإنجازاته وجميــع اجتماعاته وصــفقاته وجميــع كلماتــه وخطاباتــه، وأيقــن أنــه لا أحــد ســيتذكرها، وكل مــا قــد يقوله النـاســ رحمه الله: . . . حتى هذه قــد يحجم بعضــ الذين ظلمهــم في العمل عــن نطقها، وقد يستكثرها عليه من كان ينافسه على منصب أو صفقة.

صــحيح أن الموت يفتح باب الشهرة، ويغلق باب الحسد، كما تقول الحكمة، ولكنها حكمة للعظماء فقط، وهو بعيد كل البعد عن العظمة، وعن الحكمة أيضًا. عرف أنه في الساعات القليلة المتبقية من عمره لن يســتطيع أن يحقق شيئًا عظيمًا، ومــن ثم لن يســتطيع أن يقول كمــا قال «كونفوشــيوس» قبل أن يســلم وجهه: «لقد علّمت البشــر كيف يعيشون»، وعلم أن



نهايتــه لن تتوج أعماله، كما قال «شكســبير»، وما زاد طينته بلّة أنه تذكر أنه ســيرحل من هذه الدنيا، وهو مدين لشــركة السيارات.

في آخر لحظات حياته طلب من أمّه أن تكون إلى جانبه، مثلمــا كانت إلى جانبــه حينما ولد، وطلب مــن أبيه، عندما يسمع آخر تأوّه له أن يفرق صدقة على المرضات، مثلما فعل عندما سمع أول صرخة له، وطلب أيضًا من زوجته أن تخبره عن اسم الفصل الذي تدرس فيه ابنته.

تدبر: جيد أن تتقن وتخلص في عملك، ولكن الشــيء السيئ هو استغراقك في العمل بشكل ينسيك أولويات حياتك.



أحد المبتعثين

ذهـب أحد المبتعثين للدراسـة في ألمانيا، وبعد شـهر من الدراسـة كتب رسـالة لأبيه يخبره فيها بأن برلين بلد جميل جـدًّا، وأن النـاس كانـوا لطيفـين جـدًّا معـه، ولكنه يشـعر بالخجـل، عندمـا يذهب إلى الجامعة بسـيارته المرسـيدس الذهبية، في حين يذهب أساتذته بالقطار.

بعد مدة قصيرة تسلّم رسالة من أبيه مرفقًا معها شيك بعشـرة ملايـين دولار، مكتوبًا فيها: «اشـترِ لـك قطارًا، ولا تحرجنا مع الأجانب!».

تأمل: الناس أعداء ما جهلوا.



قهوة مالحة

كانت فتاة لافتة للانتباه، وكثير من الشبان يلاحقونها، وكان هو شابًّا عاديًّا، ولم يكن لافتًا للانتباه، في نهاية الحفلة تقدم إليها، ودعاها إلى فنجان قهوة، فوجئت بالطلب، لكنها قبلت الدعوة خجلًا في المطعم، كان مضطربًا جدًّا، ولم يستطع الحديث، هي بدورها شعرت بعدم الارتياح، وكانت على وشك الاستئذان، وفجأة أشار إلى النادل، قائلًا: رجاءً أريد بعض الملح لقهوتي، كل الحاضرين نظروا إليه باستغراب، فاحمر وجهه خجلًا، ومع هذا وضع الملح في قهوته، وشربها، فسألته بفضول: لماذا هذه العادة؟ «تقصد الملح على القهوة».

فردّ عليها قائلًا: عندما كنت صغيرًا، كنت أعيش بالقرب من البحر الذي أحبه وأشعر بملوحته، تمامًا مثل القهوة المالحة الآن، فكل مرة أشرب فيها القهوة المالحة أتذكر طفولتي، وبلدتي، وأشتاق إلى أبوي اللذين مازالا هناك حتى الآن.

حينما قال ذلك ملأت الدموع عينيه، وتأثر كثيرًا، فقد كان ذلك شعوره الحقيقي من صميم قلبه، فقالت في سرّها: الرجل الذي يستطيع البوح بشوقه إلى بلده وأهله لا بد أن



يكـون رجلًا محبًّا يشـعر بالمسـؤولية تجاه بلده وأسـرته، ثم بدأت تتحدث عن طفولتها وأهلها، وكان حديثًا ممتعًا.

اسـتمرا في التلاقي، واكتشـفت أنه الرجل الذي تنطبق عليه المواصـفات التـي تريدهـا، فهـو ذكي، وطيـب القلب، وحنون، كان رجلًا جيدًا، وكانت تشـتاق إلى رؤيته، والشـكر طبعًا لقهوته المالحة.

القصة كأي قصة حب أخرى، فإن الأمير تزوج الأميرة، وعاشـا حياة رائعة، وكانت كلما صنعت له قهوة وضعت فيها ملحًا؛ لأنه يحبها هكذا «مالحة».

وبعد أربعين عامًا توفاه الله، وترك لها رسالة: عزيزتي، أرجوك سامحيني، سامحيني على كذبة حياتي، كانت الكذبة الوحيـدة التي كذبتها عليـك «القهوة المالحـة» أتذكرين أول لقاء بيننا؟ كنت مضـطربًا وقتها، وأردت طلب سكر لقهوتي، ولكن نتيجة لاضطرابي طلبت ملحًا، وخجلت من العدول عن كلامي، فاسـتمررت أشـرب القهوة بالملح، فلم أتوقع أن هذا سـيكون بدايـة ارتباطنـا، وقـد أردت أن أخـبرك بالحقيقة بعد ذلـك، ولكني خفت أن أطلعك عليهـا، فقررت ألا أكذب عليك أبدًا، وهكذا عشـت معك حياتـي، الآن أنا أموت لذلك لسـت خائفًا من إطلاعك على الحقيقـة: أنا لا أحب القهوة المالحـة، ياله مـن طعم غريب! لكني شـربت القهوة المالحة

طوال حياتي معك، ولم أشعر بالأسف على شربي لها؛ لان وجودي معك يطغى على أي شيء، لو أن لي حياة أخرى أعيشها لعشتها معك، حتى لو اضطررت إلى شرب القهوة المالحة في هذه الحياة الثانية.

دموعها أغرقت الرسالة، وصارت تشرب القهوة مالحة، فسألها أحدهم: ما طعم القهوة المالحة؟

فأجابت: إنها حلوة.

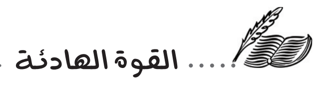




أمي أم ابني؟

ضع نفسك في الموقف نفسه، فأيهما كنت ستختار؟

عمارة كان أسفلها مستودعات، وفي أعلاها شقق سكنية، وفي إحدى الشقق ترقد في جوف الليل امرأة غاب عنها زوجها في تلك الليلة، وهي تحضن بين يديها طفلها الرضيع، وقد نام بجوارها طفلتاها الصغيرتان، وأمها الطاعنة في السن، وفي جوف الليل تستيقظ تلك المرأة على صياح وضوضاء، أبصرت، فإذا بحريق شبّ أسفل تلك العمارة، وإذا برجال الإطفاء يطلبون من الجميع إخلاء العمارة إلى السطح، فأيقظت تلك المرأة صغيرتيها، فصعدت الصغيرتان إلى أعلى العمارة، ثم بقيت تلك الأم في موقف لا تحسد عليه، لقد بقيت تنظر إلى صغيرها الرضيع الذي لا يستطيع حِراكًا، وإلى أمها الطاعنة في السن العاجزة عن الحركة، والنيران تضطرب في العمارة، وقفت حائرة، وبسرعة قررت أن تبدأ بأمها قبل كل شيء، وتترك صغيرها، حملت أمها، وصعدت بها إلى سطح العمارة، وما أن سارت في درج تلك العمارة، فإذا بالنيران تداهم شقتها، وتدخل على صغيرها، وتلتهم تلك الشقة وما فيها، فتفطر قلبها، وسالت دموعها، وصعدت إلى سطح العمارة؛ لتضع أمها، وتتجرع غصص ذلك الابن الذي داهمته النيران على صغره.



طلع الصباح، وأخمد الحريق، ففرح الجميع إلا تلك الأم المكلومة، لكن مع بزوغ الفجر، فإذا برجال الإنقاذ يعلنون عن طفل حي تحت الأنقاض بفضل الله.

إنه البر، وإنه عاقبة البارّين، فيا عباد الله، أين نحن من برّ الآباء والأمهات؟

تدبر: أين نحن من ذلك الباب من أبواب الجنة؟



الملك والخادم

في يوم من الأيام في مكان ما، كان يعيش ملك من الملوك في مملكتـه، وكان يجـب أن يكون هذا الملـك ممتنًّا؛ لما عنده في هـذه المملكة من خيرات كثـيرة، ولكنه كان غير راضٍ عن نفسـه وعما هو فيه، وفي يوم استيقظ هذا الملك صباحًا على صـوت جميل يغني بهدوء ونعومة وسعادة، فتطلع إلى مصدر الصـوت، ونظـر إلى صـاحبه، فوجده خادمًـا يعمل لديه في الحديقـة، وكان وجه هذا الخادم ينمّ عـن الطيبة والقناعة والسعادة، فاستدعاه الملك إليه، وسأله:

لِمَ هو سعيد هكذا مع أنه خادم، ودخله قليل، ولا يملك إلا القليل؟ فردّ عليه الخادم بأنه يعمل لدى الملك، ويحصل على مـا يكفيه، ويكفي عائلته، ولديه سـقف ينامون تحته وعائلته سـعيدة، وهو سعيد لسـعادة عائلته، فلا يهمّه أي شيء آخر، مادام هناك خبز يوضع للأكل على طاولته يوميًّا.

فتعجـب الملـك لأمـر هذا الخـادم الذي يصـل إلى حد الكفاف في حياته، ومع ذلك قانع، وأيضًا سعيد بما هو فيه!

فنـادى الملك على وزيـره، وأخبره بحكايـة هذا الرجل، فاستمع إليه وزيره بإنصات شديد، ثم أخبره بأن يقوم بعمل

ما، فسأله الملك عن ذلك، فقال له: «نـادِ ٩٩» فتعجب الملك من هذا، وسأل وزيره ماذا يعني بذلك؟

فقال له الوزير: عليك بوضع ٩٩ عملة ذهبية في كيس ووضعها أمام بيت هذا العامل الفقير، وفي الليل دون أن يراك أحد اختبئ، ولْنَرَ ماذا سيحدث؟

فقام الملك من توّه، وعمل بكلام وزيره، وانتظر حتى حان الليل، ثم فعل ذلك، واختبأ، وانتظر ما سوف يحدث.

بعدها، وجد الرجل الفقير الكيس، فطار من الفرح، ونادى أهل بيته، وأخبرهم بما في الكيس.

بعدها أقفل باب بيته، وبعد أن نام أهله جلس إلى طاولته يعدّ القطع الذهبية، فوجدها ٩٩ قطعة، فأخبر نفسه: ربما تكون القطعة المئة قد وقعت في مكان ما، فظلّ يبحث، ولكن دون جدوى، حتى أنهكه التعب.

فقال لنفسه: لا بأس، سوف أعمل، وأستطيع أن أشتري القطعة المئة الناقصة، فيصبح عندي ١٠٠ قطعة ذهبية.

وذهب لينام، ولكنه في اليوم اللاحق تأخر في الاستيقاظ، فأخذ يسبّ، ويلعن في أسرته التي كان يراعيها بمنتهى الحب والحنان، وصرخ في أبنائه، بعد أن كان يقبلهم كل صباح، ويلاعبهم قبل رحيله للعمل، ونهر زوجته، وبعدها ذهب إلى العمل وهو منهك تمامًا، فقد سهر معظم الليل؛ ليبحث عن

القطعة الناقصة، ولم ينم جيدًا، وغير ذلك، فما فعله مع أسرته جعله غير صافي البال، وعندما وصل إلى عمله، لم يعمل بالصورة التي تعوّد عليها، فلم يغنِّ كما كان يفعل بصوته الجميل الهادئ، بل كان يعمل بهستيريا شديدة، ويريد أكبر قدر من العمل؛ لأنه يريد شراء تلك القطعة الناقصة، فأخبر الملك وزيره عما رآه بعينيه، وكان في غاية التعجب!

فقد ظن الملك أن هذا الرجل سوف يسعد بتلك القطع، وسوف يقوم بشراء ما ينقصه هو وأسرته مما يريدون، ويشتهون، ولكن هذا لم يحدث أبدًا.

فاستمع الوزير للملك جيدًا، ثم أخبره بالآتي: إن العامل كان على هذه الحال، وشبّ على ذلك، وكان يقنع بقليله، وعائلته أيضًا، وكان سعيدًا لا شيء ينغص عليه حياته، فيأكل هو وعائلته ما تعوّدوه، وكان لهم بيت يأويهم، هذا فضلًا عن سعادته بأسرته وسعادة أسرته به، ولكن أصبح عنده فجأة ٩٩ قطعة ذهبية، وأراد المزيد. هل تعرف لماذا؟ لأن الإنسان إذا رزق نعمة فجأة، فهو لا يقنع بما لديه، حتى لو كان ما لديه يكفيه، فيقول: هل من مزيد؟!

فاقتنع الملك بما أخبره، وقرّر من يومه أن يقدر كل شيء لديه، حتى الأشياء الصغيرة جدًّا، ويحمد الله على ما هو فيه.



لا تُغضب غاليًا

أبوفهد زميل عمل يبلغ من العمر نحو ٥٠ عامًا، في ليلة بمناسبة سَكَنِه في منزل جديد أقام مأدبة عشاء للزملاء، فلبّيت الدعوة، وليتني لم أُلبِّها، يعلم الله أني ندمت على ذهابي.

تابعوني، وسأقول لكم لماذا ندمت، تجمع الزملاء، وذهبنا إليه في منزله، بيننا المسنّ والشاب، لفيف من الزملاء، فاكتظ بنا مجلسه، ثلاثة من أطفاله أخذوا مكانًا في طرف المجلس: محمد وأنس ومعاذ، كان أبوفهد يصبّ القهوة بشوشًا ضاحكًا فرحًا، فأتت اللحظة الحاسمة التي قلبت كيانه، وقلبت فرحه إلى حزن، فقد أبكيته دون أن أعلم ما يخفي هذا الخمسيني.

لم يرق لي صبّ أبي فهد للقهوة، كبير في السن، ويصبّ القهوة لنا! فذلك لم أتعود عليه في محيطي، فألححت عليه؛ كي أصب القهوة، لكنه حلف، وأجبرني على الجلوس، قلت له ممتعضًا: أين فهد؟ فلماذا لا يأتي ليقابل الضيوف، ويساعد أباه؟ لم أكن أعرف عن فهد إلا أنه ابنه البكر، ولهذا أُطلق عليه «أبوفهد».

كنت منتقلًا حديثًا إلى الإدارة، ولم أعرف أسرار الزملاء، ولا أي أمر خاص بهم، كانوا بالنسبة إلي صناديق مغلقة، لا أعرف عن حياتهم الخاصة أي شيء، عندما سألت عن فهد صمت المجلس عن بكرة أبيه، وتغيّرت ملامح أبي فهد، واختفت الابتسامة، وأُلجمت الألسنة، فعلمت أني أخطأت.

لاح الحزن في وجه أبي فهد، بعد أن وضع الدّلّة على الطاولة، وخرج من المجلس، وتبعه أطفاله الثلاثة.

التفت إلي زميلي الذي يجلس بجواري، فقلت: ماذا حدث؟

قال: فهد ميت، وأنت أخطأت. قلت: متى؟ قال: منذ عشر سنوات. يا إلهي، عشر سنوات، ومازال يذكره، يا لرقتك يا أبا فهد!

عاد أبوفهد، بعد أن أفرغ ما به، وآثار البكاء بادية على وجهه، فتعشينا، وأصررت أن أبقى، حتى رحيل آخر الضيوف، وأقدم له العذر، وبالفعل عندما رحل آخر الزملاء اقتربت منه، وقلت: أنا آسف، لم أعلم أن فهدًا ميت، فهذا قدره، وهو طريق سيمشيه الجميع، التفت إلي، وقال: حصل خير، لا تعتذر، فذكراه لا تغيب، قلت: ولكن يا أبا فهد، عشر سنوات، وأنت تبكيه، أين الإيمان بالقدر؟ قال: أنا مؤمن

بالقدر، حزني لم يكن للوفاة، فقد فقدت معه طفلة أخرى في حادث وقع لنا، ونحن عائدون من أبها في طريقنا إلى الرياض في إحدى الإجازات الصيفية، ولم أبكِها، كما بكيته، فقد مات وهو يبكي، مات بعد أن أغضبته، مات بعد أن ضربته، لم يسعفني القدر لضمّه، لم يسعفني القدر لتطييب خاطره، لم يسعفني القدر لمسح دموعه.

كان أبوفهد قادمًا من أبها بصحبة عائلته، وكان فهد الذي عمره عشر سنوات في المقعد الخلفي يلهو، ويسبب إزعاجًا لوالده، لم يحتمل أبوفهد الأمر، وأنزل العقال، وضربه ضربًا مبرحًا، فبكى فهد، وتألم والده، فقال في نفسه: سأرضيه في الرياض!

وقع الحادث، وفهد يجهش بالبكاء، مات فهد وطفلة رضيعة، وأصيبت بقية العائلة، ونقلوا إلى الرياض على طائرة إخلاء طبي.

يقول أبوفهد: ليته يعود لو ساعة، مات والحسرة في صدري، فقط أرغب في ضمّه ومسح دموعه، أنا مؤمن بالقضاء والقدر، ولكن مازالت الحسرة في قلبي، مات وهو غاضب، مات وهو باكٍ، مات دون أن أضمّه إلى صدري، وأطيب خاطره، ليت الليالي تعود، نقسو على من نحب، ونردّد: الأيام كفيلة بإرضائهم، ولا نعلم أن الموت ربما يكون

له رأي آخر، قريب لي ماتت والدته، وهي غاضبة عليه، ماتت وهو يُسوّف، ويقول: غدًا أطيب خاطرها، ماتت قبل غدٍ، وبقيت الحسرة في صدره منذ موتها، ولن تتركه الحسرة إلّا برحيله، وزوج خرج من بيته، وقد أغضبته زوجته، وكانت قبلة الصباح كفيلة بأن تذيب جليد هذا الغضب، كرامتها أبت عليها قبلة الصّباح، وقالت: أخبّئها له حين يعود، لكنه خرج ولم يعد! زوجة تركها زوجها بين جدران بيتها تموت كمدًا وظلمًا، خرج وعناده يؤزّه ألّا يطيّب خاطرها، وهو عند عتبة الباب عائدًا كان يخبّئ لها وردة مخمليّة، لكنه دخل، فوجدها مسجّاة على فراش الموت! وابن عاقّ يدفع باب البيت بقوة، ومن خلفه أم تبكي أو أب يندب حسرة، فيؤجّل أن ينطرح عند قدميهما يقبّلهما إرضاءً واعتذارًا، وقد أغلق الباب وهو يحدّث نفسه: حينما أعود أرضيهما، لم يعد إلّا على صوت هاتف يهاتفه: أعظم الله أجرك فيهما!

خاطرة: لي ولك ولكل إنسان يحمل بين جنبيه قلب إنسان: تذكر دائمًا، لا تُغضب غاليًا عليك، ثم تؤجّل إرضاءه إلى غد!



رسالة حب

يقول الدكتور خالد المنيف مستشار العلاقات الزوجية: في إحدى الدورات الرجالية تجرأت، وطلبت من الحضور أن يخرجوا جوالاتهم، ويكتبوا كلمة: «أحبك» ويرسلوها إلى زوجاتهم، فتفاعل بعض الرجال، وبعد أقل من دقيقة، فإذا بالقاعة تضجّ برنات الجوالات، حيث سيل من الردود من الزوجات.

ومن الردود قول إحداهن:

لأول مرة تقول لي هذه الكلمة؛ لذا سأحيا بكلمة أحبك ما تبقى من عمري، وأخرى ردّت: «صايرلك شي علمني؟». وأخرى: فيك شيء، أنت تعبان بالمستشفى؟

وانبهر بعضهم من الردود، وأطرف الرسائل كانت من إحداهن، وقد استرابها الأمر، فأرسلت مستنكرة قائلة: أبا محمد، هل سرق جوالك؟



أين الباقي؟

كتب شيخ الجواهرجية بمدينة جدة الأستاذ جميل فارسي مقالًا رائعًا معترضًا فيه على دراسة إمكانية فرض ضريبة مبيعات على السلع المبيعة في السعودية، فالرجل محاسب قانوني، ويعرف ماذا يقول، ولأن المقال جاءني بالبريد من بعض الإخوة، فأنا أنشره هنا بغرض المصلحة العامة التي ينشدها المصالحون.

أخي الدكتور حسن، وأنا، وصديقي الطبيب الماكر (صاحب اقتراح سداد الدين العام في خطة من أربع كلمات) سافرنا في أوائل السبعينيات الميلادية للدراسة في جامعة القاهرة، فكنا نذهب يوم الخميس للسينما، والسينما هناك أمرها غريب، حيث يمرّ بائع الكوكاكولا وسط ظلام السينما لخدمة الرواد.

كان سعر الزجاجة خمسة قروش، فكنا حين ندفع له الجنيه يستغل ظلام السينما؛ ليختفي وسط ذلك الظلام، فيصبح السؤال الملح طوال الفيلم: «أين الباقي؟» في الظلام دائمًا يوجد سؤال «أين الباقي؟». ومن يومها ارتبط لدي الظلام بسؤال: «أين الباقي؟».

تذكرت عبارة «أين الباقي؟» عندما قرأت ردّ سعادة وكيل وزارة المالية الأستاذ محمد البازعي على الأستاذ تركي الثنيان (الوطن عدد ٢٠٢٠) مبينًا: «إن الوزارة تبحث فرض ضريبة القيمة المضافة على السلع المبيعة تماشيًا مع دول الخليج، لتمويل الخزينة بقصد تعويض النقص في الإيرادات الجمركية نتيجة الانضمام إلى مناطق تجارة حرة».

بإمكاني أن أقدم له مقترحات عدة لتخفيض بعض مصروفات الخزينة التي تبلغ الواحدة منها أضعاف المحصل من الرسوم الجمركية، ولكن دعنا من بند مصروفات الخزينة، ولنركز على إيراداتها، حيث كنت أعتقد أن إيراد البترول وحده أكثر من كافٍ لتمويل الخزينة، سواء حُصلت أي رسوم جمركية أم لم تحصل. ولإثبات ذلك لنأخذ مسطرة وقلماً وآلة حاسبة وفرجارًا ومنقلة، ولنحسب: ٣٦٥ يوماً في السنة مضروبة في متوسط عدد البراميل المنتجة، مضروبة في متوسط سعر البرميل، ثم حاصل الضرب هذا لنطرح منه الرقم المذكور في الميزانية كإيرادات الخزينة..... والآن (أين الباقي؟).

لهذا تذكرت ظلام السينما المذكورة في أول المقال، فالظلام قد ارتبط لدي بالسؤال «أين الباقي؟». حسب إجابة الآلة الحاسبة، فإن الباقي يكفي للصرف على مشروعات

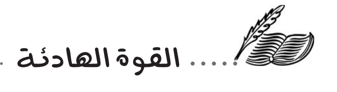
تمتص البطالة، ونفعِّل صندوق معالجة الفقر، ونخفض الدين العام. ولكن دعنا أولاً نجد الباقي نفسه قبل أن نبحث في أوجه صرفه.

العجيب في الأمر أن ولي الأمر حفظه الله شكل مجلسًا للشورى من خيرة رجال البلد وفي كل دورة يزيد لهم من الصلاحيات حتى أصبح بإمكان أي عشرة منهم مناقشة أي موضوع كان، ولم يقيد حريتهم بأي قيد إلا ضمائرهم وثوابت الشريعة، ومع ذلك لم يخطر في بال أي عشرة منهم مجرد سؤال... «أين الباقي؟».

ثم على افتراض أني ضعيف في جدول الضرب (علي الرغم من حصولي على ترخيص محاسب قانوني) أو أن إجابة سؤال «أين الباقي» مبهمة، فسيظهر سؤال آخر هو هل من العدالة أن نموّل الخزينة من تلك الضريبة؟

البنوك وحدها تربح عشرين ألف مليون ريال في السنة، لا نأخذ على هذه الأرباح الفاحشة أي ضريبة، ونأخذ ضريبة من الأب إذا اشترى لابنه شنطة المدرسة؟

لا نأخذ ضريبة دخل على الشركات، ونأخذ من الزوج إذا أحضر ربطة الخبز للغداء؟



لِمَ لا نشاهد من يخطط أرضًا لبيعها بمئات الملايين على الرغم من أنها لم تكلفه أصلاً أي ريال، ونترصد للموظف إذا اشترى لنفسه غترة؟

الذي يحالفه الحظ في سوق الأسهم ليربح ألف مليون ريال وسط آهات ودموع وحسرات مراقبي المؤشر الأحمر ننساه، ونتذكر فقط الأرملة إذا اشترت ماكينة خياطة لتعمل عليها، بدلاً من ذل السؤال، ونقول لها: أين ضريبة القيمة المضافة؟

أخيرًا أقول: إن من يدفع تلك الضريبة يحق له أن يسأل «يا رجل أين الباقي»؟





الخيال

ثبت علميًّا أن خيال الإنسـان يمكـن أن يقتله، فهو يؤدي دورًا مهمًّا جدًّا في حياته، بل يمكن أن يحدد مصير الإنسان، ولمعرفة ذلك قام الدكتور بورهيف بإجراء عدد من التجارب العلميـة على عـدد من المجرمـين؛ لإثبات بعض النظريات العمليـة والطبية، ومنها مدى قـدرة الخيال على التأثير على حياة الإنسان ومصيره.

مـن تلـك التجـارب، تجربة علميـة مثـيرة وغريبة من نوعهـا، اسـتخدم فيها محكوم عليـه بالإعدام، بعـد أن نال موافقـة المحكمـة العليا، وحصـل على مبلغ مـالي يُدفع إلى أهله، وأن يكتب اسـمه في تاريخ البحث العلمي، إضـافة إلى بعض المغريات التي لم يُفصح عنها.

التجربة حضـرها عـدد كبير من البـاحثـين، حيث اتفق الدكتور بورهيف مع المجرم على أن عملية إعدامه ستكون عن طريق تصـفيه دمه من أجل دراسـة التغيرات الفسيولوجية الداخلية للجسم التي ستحدث عند نقص الدم منه.

وقد استعان الباحث بعدد من المتخصصين في المؤثرات السمعية وأطباء الجراحة، حيث عصب عيني المجرم بإحكام، ثـم ركب أنبوبين رفيعين على جسـده يصـلان إلى قلبه، وتمّ

ضـخ ماء دافئ فيهما، بحيث تسقط قطرات من الماء الدافئ على يده وفي سطل موضوع على الأرض، بحيث يصدر صوتًا يحاكي صـوت سقوط الدم من الجسـم إلى السطل الموضوع علـى الأرض، وأُوهِم المجرم بأنه قد قُطِع أحد شـرايين يده، ومن ثم أُوهم بأن دمه صُفِّي ببطء.

وبعد دقائق عدة لاحظ فريق الباحثين المتابعين الوضـع الصـحي للمجـرم، بأنه أصـبح أصـفر وشـاحبًا، وانخفض ضـغط دمـه، وتوقف قلبـه عن الخفقـان، مع أنه لم يخسـر قطرة دم واحدة من جسمه.

النتيجة التي خلص إليها الباحثون، هي أن خيال المجرم قد اسـتجاب بشـكل كامل لما تمّ الإيحاء بـه إليه، وأن دماغه قد أرسـل إشارات خاصة لأعضاء الجسم الداخلية بالتوقف عن العمل.





ثلاثة شيوخ

خرجت امرأه من منزلها، فرأت ثلاثة شيوخ لهم لحى بيضاء طويلة، وكانوا جالسين في فناء منزلها، لم تعرفهم وقالت: لا أظنني أعرفكم، ولكن لا بد أنكم جائعون، أرجوكم تفضلوا بالدخول لتأكلوا، فسألوها: هل ربّ البيت موجود؟

فأجابت:لا، إنه بالخارج، فردوا: إذًا، لا يمكننا الدخول. وفي المساء، عندما عاد زوجها أخبرته بما حصل.

فقال لها: اذهبي إليهم، واطلبي منهم أن يدخلوا، فخرجت المرأة، وطلبت منهم أن يدخلوا. فردوا: نحن لا ندخل المنزل مجتمعين.

سألتهم: ولماذا؟

فأوضح لها أحدهم، قائلًا: هذا اسمه «الثروة» وهو يومئ نحو أحد أصدقائه، وهذا «النجاح» وهو يومئ نحو الآخر، وأنا «المحبة»، وأكمل قائلًا: والآن ادخلي، وتناقشي مع زوجك من منا تريدان أن يدخل منزلكما؟

دخلت المرأة، وأخبرت زوجها بما قيل، فغمرت السعادة زوجها، وقال: ياله من شيء حسن، وطالما كان الأمر على هذا النحو، فلندعوا «الثروة»! دعيه يدخل، ويملأ منزلنا بالثراء.

فخالفتـه زوجتـه، قائلة: عزيـزي، لِمَ لا نـدعُ «النجاح» يدخل؟

كل ذلك كان على مسمع من زوجة ابنهما، وهي في إحدى زوايا المنزل، فأسرعت باقتراحها قائلة: أليس من الأجدر أن ندعوا «المحبة»؟ فمنزلنا حينها سيمتلئ بالحب، فقال الزوج: دعونا نأخذ بنصـيحة زوجة ابننا! اخرجي، وادعي «المحبة» ليحل ضيفًا علينا!

خرجت المرأة، وسـألت الشـيوخ الثلاثة: أيكم «المحبة»؟ أرجو أن يتفضل بالدخول ليكون ضيفنا.

نهض «المحبة» وبدأ يمشـي نحو المنـزل، فنهض الاثنان الآخران، وتبعاه وهي مدهوشة، سألت المرأة كلًّا من «الثروة» و«النجاح» قائلة: لقد دعـوت «المحبة» فقط، فلماذا تدخلان معه؟

فـردّ الشـيخان: لو كنـت دعـوت «الـثروة» أو «النجاح» لظـلّ الاثنان الباقيـان خارجًا، ولكن كونك دعـوت «المحبة» فأينما يذهب نذهب معـه، فأينما توجد المحبة، يوجد الثراء والنجاح.





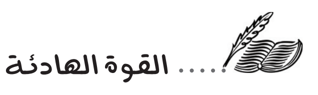
تطاول وعلاج

قبل أيام عدّة حدث شيء مفاجئ مسّ الديانة الإسلامية تسبب في حدوث فوضى عارمة في وزارة الإعلام الكورية التي لم تقف مكتوفة الأيدي حيال ذلك، بل قامت بوضع عقوبات صارمة لمن يسيء إلى أي ديانة، ومسّها بشكل مباشر أو غير مباشر.

هذا الموقف أثار كثيرًا من العلماء والباحثين في علوم سلوك الجماهير وأخلاقيات الشعوب، حيث كتب البريطاني من قناة البي بي سي الدكتور ريتشارد بيرنارد في مقاله المشهور: لماذا أعشق كوريا، في حين لا أحب إنجلترا التي تسري في دمي؟

فقد حدث في الثالث عشر من أغسطس عام ألفين وأحد عشر بث حلقة من البرنامج المشهور «ستار كينغ» الذي هو عبارة عن برنامج مواهب يستضاف فيه جميع الموهوبين من جميع أنحاء العالم، وبعد الاستضافة يوزعون على الوكالات والشركات؛ لتتبنى مواهبهم.

المشكلة ليست في البرنامج، المشكلة أنهم استضافوا ضيفًا من هونج كونج الصينية، وقد اتضح أنه موهوب في الغناء والتمثيل، وبعد أن غنّى أغنية خلع ملابسه، مفاجئًا



الجمهور بارتدائه الثوب والشماغ، ويمسك بندقية بلاستيكية، وجّهها مباشرةً إلى مذيع البرنامج مهاجمًا وممثلًا بذلك رجلًا مسلمًا يحاول القتل، مستخفًّا دمه الصيني الثقيل، متطاولًا على المسلمين والعرب.

- هل بقي البرنامج يبثّ حتى انتهائه، وهو لا يزال في بدايته؟

- هل ضحك الجميع، وصفّق لمهارات الرجل؟

بالتأكيد هذه الأشياء ستحدث في بلادي (كاتب المقال بريطاني) وبعض البلدان المجاورة، ولا أخفي عليكم أنني رأيتها في بلاد المسلمين، ولكن ما حدث بعد ظهور الرجل في البرنامج هو قطع بثّ القناة بأكملها من الأقمار الصناعية!

وبعد سبع دقائق ظهر رجل أنيق جالس على كرسي من الجلد الفاخر وطاولة عليها مفرش أبيض منمق، يعتذر بلهجة رسمية صارمة عما حدث، وأنهم مخطئون، وسوف يصلحون هذا الخطأ، فاتضح فيما بعد أنه وزير الإعلام الكوري يعتذر للمسلمين كافة عن هذا الخطأ، وألقى باللوم على ثقافة الضيف القليلة عن الديانة الإسلامية، أما اعتذاره الثاني فقد وجهه إلى المملكة العربية السعودية؛ لاستخدام زيهم بشكل غير لائق.

وفي سبع دقائق استطاع الوزير أن يعقد اجتماعًا طارئًا، ويسنّ القوانين، ويضع العقوبات اللازمة لحل هذه المشكلة الكبيرة في رأيه، فقد وجّه الاتهامات الآتية:

١- إنه تصرف بشع.

٢- اتهام لشرف المسلمين.

٣- إن الجهال سيصدقون ذلك.

٤- استخدام الزي السعودي في موقف سيئ.

٥- مظهر من مظاهر العنف، حيث إن البرنامج عائلي، ويشاهده الأطفال من سنّ السابعة، وما فوق.

أما عن العقوبات الموجهة، فقد اتخذت بحذر شديد، وهي:

١- إيقاف البرنامج من البث مدة شهرين متواصلين.

٢- إيقاف القناة مدة ثلاثة أيام متواصلة.

٣- تسفير الضيف بعد حبس ٤٨ ساعة.

والقناة بثّت رسالة اعتذار طوال الثلاثة أيام (مدة إيقافها) ووضعت نسخة على موقعها الإلكتروني ونسخة في موقع البرنامج.

الغريب هنا ليس تصرف القناة الكورية، بل كاتب المقال، فهو بريطاني الجنسية غير مسلم، فهو يتعجب أنهم

فعلوا كل هذه الأشياء لمجرد لقطة عفوية من الضيف، وليست مقصـودة من البرنامج، في حين هناك كثير من المسلسلات العربية والإسـلامية تسخر من المسلمين أنفسهم، والمسلمون يضحكون على أنفسهم، ويسخرون من أنفسهم، وإن انتقدوا ذلك فلن يفعلوا شيئًا.

تأمل: شكرًا، وزير الإعلام الكوري؛ لاحترامك لنا.



الملعقة الطويلة

سئل أحد الحكماء يومًا: ما الفرق بين من يتلفّظ بالحب، ومن يعيشه؟ قال الحكيم: سوف ترون الآن، ودعاهم إلى وليمة، وجلس إلى المائدة، وأجلسهم بعده، وبدأ بالذين لم تتجاوز كلمة المحبة شفاههم، ولم ينزلوها بعد إلى قلوبهم، ثم أحضر الحساء، وسكبه لهم، وأحضر لكل واحد منهم ملعقة بطول متر، واشترط عليهم أن يحتسوه بهذه الملعقة العجيبة، حاولوا جاهدين، لكنهم لم يفلحوا، فكل واحد منهم لم يقدر أن يوصل الحساء إلى فمه دون أن يسكبه على الأرض، وقاموا من المائدة جائعين، قال الحكيم: والآن انظروا، ودعا الذين يحملون الحب داخل قلوبهم إلى المائدة نفسها، وقدم إليهم الملاعق الطويلة نفسها، فأخذ كلّ واحد منهم ملعقته، وملأها بالحساء، ثم مدّها إلى جاره الذي بجانبه، وبذلك شبعوا جميعهم، ثم حمدوا الله. وقف الحكيم، وقال للذين سألوه حكمته التي عايشوها عن قرب: من يفكر على مائدة الحياة في أن يُشبِع نفسه فقط، فسيبقى جائعًا، ومن يفكر في أن يُشبع أخاه فسيشبع الاثنان معًا، فمن يعطي هو الرابح دومًا، لا من يأخذ.

خاطرة: املأ قلبك بالحب؛ لتسعد نفسك، وتسعد من حولك.



ثمن المعجزة

توجّهت الطفلة ذات السادسة من عمرها إلى غرفة نومها، وتناولت حصالة نقودها من مخبئها السري في خزانتها، ثم أفرغت ما فيها على الأرض، وأخذت تعدّ بعناية ما جمعته من نقود خلال الأسابيع الفائتة، ثم أعادت عدّها ثانية، فثالثة، ثم همست في سرها: «إنها بالتأكيد كافية، ولا مجال لأي خطأ»، وبكل عناية أرجعت النقود إلى الحصالة، ثم لبست رداءها، وتسللت من الباب الخلفي، متجهة إلى الصيدلية التي لا تبعد كثيرًا عن دارها. كان الصيدلي مشغولًا للغاية، فانتظرته صابرة، ولكنه استمر منشغلًا عنها، فحاولت لفت نظره، ولكن دون جدوى، فما كان منها بعد أن يئست إلا أن أخرجت قطعة نقود معدنية بقيمة ربع دولار من الحصالة، فألقتها فوق زجاج الطاولة التي يقف وراءها الصيدلي؛ عندئذ فقط انتبه إليها.

فسألها بصوت عبر فيه عن استيائه: ماذا تريدين أيتها الطفلة؟ إنني أتكلم مع شقيقي القادم من شيكاغو، الذي لم أره منذ زمن طويل، فأجابته بحدة، مظهرة بدورها انزعاجها من سلوكه: شقيقي الصغير مريض جدًّا، وفي حاجة إلى دواء اسمه (معجزة)، وأريد أن أشتري له هذا الدواء. أجابها الصيدلي بشيء من الدهشة: عفواً، ماذا

قلتِ؟ فاستأنفت كلامها، قائلة بكل جدية: شقيقي الصغير أندرو، يشكو مشكلة في غاية السوء، يقول والدي: إن هناك ورمًا في رأسه، لا ينقذه منه سوى معجزة، هل فهمتني؟ فكم ثمن (معجزة)؟ أرجوك أفدني حالًا! أجابها الصيدلي مغيرًا لهجته إلى أسلوب أكثر نعومة: أنا آسف، فأنا لا أبيع (معجزة) في صيدليتي! أجابته الطفلة ملحّة: اسمعني جيداً، فأنا معي ما يكفي من النقود لشراء الدواء، فقط قل لي كم هو الثمن!

كان شقيق الصيدلي يصغي للحديث، فتقدم من الطفلة سائلًا: ما هو نوع (معجزة) التي يحتاج إليها شقيقك أندرو؟ أجابته الفتاة بعينين مغرورقتين: لا أدري، ولكن كل ما أعرفه أن شقيقي حقيقة مريض جدًّا، قالت أمي: إنه في حاجة إلى عملية جراحية، ولكن أبي أجابها، إنه لا يملك نقودًا تغطي هذه العملية؛ لذا قررت أن أستخدم نقودي!.سألها شقيق الصيدلي مبدياً اهتمامه: كم لديك من النقود يا صغيرة؟ فأجابته مزهوة: دولار واحد وأحد عشر سنتًا، ويمكنني أن أجمع المزيد إذا احتجت إلى ذلك! أجابها مبتسمًا: يا لها من مصادفة، دولار وأحد عشر سنتًا، هي بالضبط المبلغ المطلوب ثمنًا لـ (معجزة) من أجل شقيقك الصغير، ثم تناول منها المبلغ بيد وباليد الأخرى أمسك بيدها الصغيرة،

طالبًا منها أن تقوده إلى دارها؛ ليقابل والديها، وقال لها: أريد رؤية شقيقك أيضًا.

لقد كان ذلك الرجل هو الدكتور كارلتن أرمسترنغ، جراح الأعصاب المعروف. وقد أجرى الدكتور كارلتن العملية للطفل أندرو مجاناً، وكانت عملية ناجحة، تعافى بعدها أندرو تمامًا بعد بضعة أيام، جلس الوالدان يتحدثان عن تسلسل الأحداث منذ التعرف على الدكتور كارلتون، وحتى نجاح العملية وعودة أندرو إلى حالته الطبيعية، كانا يتحدثان، وقد غمرتهما السعادة، وقالت الوالدة في سياق الحديث: حقًّا، إنها معجزة! ثم تساءلت: ترى كم كلفت هذه العملية؟ رسمت الطفلة على شفتيها ابتسامة عريضة، فهي تعلم وحدها أن (معجزة) كلفت بالضبط دولارًا واحدًا وأحد عشر سنتًا.

عندما يكون حب الآخرين صادقاً ونابعاً من القلب، عندها ستكون المعجزة، ولن تكلف الكثير.





المنصور والواعظ

يُحكى أنه، بينما كان المنصور في الطواف بالبيت ليلاً، إذ سمع قائلاً يقول:

اللهم، إني أشكو إليك ظهور البغي والفساد في الأرض، وما يحول بين الحق وأهله من الطمع، فجزع المنصور، فجلس بناحية من المسجد، وأرسل إلى الرجل، فصلى ركعتين، واستلم الركن، وأقبل مع الرسول، فسلم عليه بالخلافة، فقال المنصور: ما الذي سمعتك تذكر من ظهور الفساد والبغي في الأرض؟ وما الذي يحول بين الحق وأهله من الطمع؟ فو الله لقد ملأت مسامعي بما أمرضني.

فقال: إن أمّنتني يا أمير المؤمنين، أعلمتك بالأمور من أصولها، وإلا احتجزت –أي حبست ما عندي عنك – منك، واقتصرت على نفسي، فلي فيها شاغل.

قال: فأنت آمن على نفسك، فقل.

فقال: يا أمير المؤمنين، إن الذي دخله الطمع، وحال بينه وبين ما ظهر في الأرض من الفساد والبغي لأنت.

فقال: فكيف ذلك؟ ويحك، يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء في قبضتي، والحلو، والحامض عندي؟

قال: وهل دخل أحداً من الطمع ما دخلك! إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم، فأغفلت أمورهم، واهتممت بجمع أموالهم، وجعلت بينك وبينهم حجاباً من الجص والآجر وأبواباً من الحديد، وحراساً معهم السلاح، ثم سجنت نفسك عنهم فيها، وبعثت عمالك في جبايات الأموال وجمعها، وأمرت ألا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلانًا وفلانًا، نفراً سميتهم، ولا تأمر بإيصال المظلوم، ولا الملهوف ولا الجائع العاري إليك، ولا أحد إلا وله في هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك، وآثرتهم على رعيتك، وأمرت ألا يحجبوا دونك تجبي الأموال، وتجمعها، قالوا هذا قد خان الله، فما لنا لا نخونه، فأتمروا ألا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا، ولا يخرج لك عامل إلا خونوه عندك، ونفوه حتى تسقط منزلته عندك، فلما انتشر ذلك عنك وعنهم،أعظمهم الناس، وهابوهم وصانعوهم، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال؛ ليقووا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذو المقدرة والثروة من رعيتك؛ لينالوا ظلم من دونهم، فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلماً وبغياً وفساداً، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك وأنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينك وبينه، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك، وأوقفت للناس رجلاً ينظر في مظالمهم، فإن جاء ذلك المتظلم، فبلغ

بطانَتك خبُره، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك، فـلا يزال المظلوم يختلف إليه، ويلوذ به، ويشـكو، ويسـتغيث وهو يدفعه، فإذا أجهد وأحرج، ثم ظهرت صـرخ بين يديك، فيضرب ضربًا مبرحًا يكون نكالًا (عبرة لغيره)، وأنت تنظر فما تنكر، فما بقاء الإسلام؟

وقد كنت يا أمير المؤمنين، أسـافر إلى الصين، فقدمتها مـرة، وقد أصـيب ملكهم بسـمعه، فبكى يوماً بكاء شـديداً، فحثه جلسـاؤه على الصـبر، فقال: أما إني لست أبكي للبلية النازلة، ولكني أبكي لمظلوم يصرخ بالباب، فلا أسمع صوته، ثم قال: أما إن كان قد ذهب سـمعي فإن بصـري لم يذهب. نـادوا في الناس ألا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم، ثم كان يركب الفيـل طرفي النهـار، وينظر هل يرى مظلومـاً، فهذا يا أمير المؤمنين، مشـرك بـالله بلغت رأفته بالمشـركين هـذا المبلغ، وأنت مؤمن بالله من أهل بيته لا تغلبك رأفتك بالمسلمين على شح نفسـك، فإن كنت إنما تجمع المال لولدك فقد أراك الله عبراً في الطفل يسـقط من بطن أمه ما له على الأرض مال، وما من مال إلا ودونه يد شحيحة تحويه، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة النـاس له، ولست الذي تعطي، بل الله تعالى يعطي من يشـاء ما يشاء، فإن قلت: إنما أجمع المال لشـدّ يد السـلطان، فقد أراك الله في بني أمية ما أغنى

عنهم جمعهم من الذهب، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكُراع – اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير – حين أراد الله بهم ما أراد.

وإن قلت: إنما أجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنا فيها، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلة ما تدرك إلا بخلاف ما أنت عليه.

يا أمير المؤمنين، هل يعاقب من عصاك بأشد من القتل؟

فقال المنصور: لا.

فقال: فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل، ولكن بالخلود في العذاب الأليم، قد رأى ما عقد قلبك، وعملته جوارحك، ونظر إليه بصرك، واجترحته يداك، ومشت إليه رجلاك، هل يغني عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا إذا انتزعه من يدك، ودعاك إلى الحساب؟

فبكى المنصور، ثم قال: ليتني لم أخلق، ويحك، كيف أحتال لنفسي؟

فقال: يا أمير المؤمنين، إن للناس أعلامًا يفزعون إليهم في دينهم، ويرضون بهم في دنياهم، فاجعلهم بطانتك يرشدوك، وشاورهم في أمرك يسددوك.

قال المنصور: قد بعثت إليهم، فهربوا مني.

قال: خافوك أن تحملهم على طريقتك، ولكن افتح بابك، وسهل حجابك، وانصر المظلوم، واقمع الظالم، وخذ الفيء والصدقات على حلها، واقسمها بالحق والعدل على أهلها، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة.

وجاء المؤذنون فآذنوه بالصلاة، فصلى المنصور وعاد إلى مجلسه، وطلب الرجل؛ ليكمل، فلم يجدوه.



صاحبة الحسن والجمال[1]

في مطلع القرن العشرين وصلت إلى (جزائر البحرين) الدافئة والجميلة، أسرة يهودية مهاجرة من بغداد إلى (مملكة البحرين)، هذه البلدة التي كان يطلق عليها بلد المليون نخلة، وفيها عشرات العيون المائية العذبة في طول البلاد وعرضها، بل حتى في وسط البحر المالح المحيط بالبحرين، حيث جمع الله النقيضين: الماء المالح والماء العذب في مكان واحد، دون أن يختلطا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (الفرقان: ٥٣).

كانت هذه الفتاة في غاية الحسن والجمال، وعلى مستوى عال من الثقافة والعلم، فقد كانت تتحدث بأكثر من لغة، كما كانت مطلعة على الثقافة العربية والإسلامية وعلى ثقافة الغرب، ولها اهتمامات واطلاعات بالسياسة العالمية، وخاصة بالمسألة اليهودية الصهيونية.

سكنت هذه الأسرة (اليهودية البغدادية) في عاصمة البحرين (المنامة)، وفي منطقة (الحورة) على وجه التحديد.

---

(١) د. فاروق المناصير.

عمل (الأب) في التجارة، وفي تجارة الذهب على وجه الخصوص، كعادة اليهود في كل زمان ومكان. أما (الأم والبنت) فقد عملتا في بيع الأقمشة المستوردة من شبه القارة الهندية ومن إنجلترا وإيران.

ولكن حدث ما لم يتوقعه (الأب والأم)، فبعد سنوات قليلة من الهجرة إلى البحرين أسلمت هذه الفتاة، واسمها (مسعودة شاؤول)، وتركت دين آبائها وأجدادها، فقد أسرها سحر (القرآن الكريم) وآياته البينات، وروحه الإنسانية وعظمة تشريعاته، وسمو أخلاقه وصفاء عقيدته. وقد شغفت حبًّا بسيرة الرسول الكريم ﷺ وسيرة أصحابه الكرام، كما كانت تقول دائماً عندما يسألها أحد عن سبب إسلامها.

لقد شكل إسلام (مسعودة) صدمة عنيفة على الأب والأم، فلم يكونا يتوقعان أن ابنتهما سوف تترك دين آبائها وأجدادها اليهود، وهي التي تشربت (اليهودية) منذ نعومة أظفارها.

يومها كان عمر (مسعودة شاؤول) سبعة عشر عاماً، حين أشهرت إسلامها.

وقد حاول والدها ثنيها عن دينها الجديد، وإرجاعها إلى (اليهودية)، ولكنها رفضت، وأصرت على (الإسلام)،

ولم ينفع معها الحوار والنقاش والمجادلة، فاستخدم أساليب الترهيب والتعذيب، من ضرب بالعصي والكي بالنيران والحرمان من الطعام والشراب، وحُبِست في البيت أسابيع طويلة، وهي صامدة وصابرة.

ثم جاءت مرحلة أخرى من الضغوط عليها، حيث تم الاستعانة بالحاكم العسكري البريطاني في (البحرين) (تشالز بلجريف) لإقناعها بالارتداد عن الإسلام.

وحدثها (بلجريف) كثيراً عن ضرورة رجوعها إلى اليهودية، وكان مما قال لها: كيف تتركين دينك ودين آبائك، وتدخلين دين هؤلاء البدو المتخلفين الهمج؟ هل مَسّكِ الجنون يا مسعودة؟ أم أنها حالة مؤقتة، وسوف ترجعين إلى صوابك؟

أجابته: لقد آمنت بالإسلام، واقتنعت بالقرآن، وشهدت أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، ولن أرجع عن ديني الجديد، ولو تم تقطيعي إلى أشلاء وأجزاء.

حينها قال المستشار (وهذه هي التسمية الرسمية له): لا فائدة منها، فقد سحرها المسلمون في البحرين.

والغريب أن مسعودة لم يَدْعُها أحد إلى الإسلام، ولكنها قرأت القرآن وحدها، وتأثرت به غاية التأثر، فكان أن أعلنت إسلامها. كان ذلك أعجوبة من أعاجيب هذا الكتاب العزيز.

انتشـر خـبر إسـلام (مسـعودة شـاؤول) في البحـرين كلهـا، وحـاول بعض النـاس زيارتها في بيتهـا، ولكن والدها منع زوارها من الرجال والنسـاء. ووصـل الخـبر إلى حاكم البحرين آنذاك (الشـيخ حمد بن عيسـى آل خليفة)، الذي اسـتدعى والدها؛ لمقابلته في قصر الحكم، وهناك طلب منه الحاكم أن يتنازل عن ابنته (مسـعودة)، ليضـمها إلى بناته وحريمـه معـززة مكرمة، وقد وافـق والد مسـعودة في نهاية المطاف.

وهكـذا انتقلت (مسـعودة) من بيت والدها (شـاؤول) إلى قصـر حاكم البحرين من أسرة آل خليفة، الذي عاشت فيه سـنوات عدة، قبل أن يتقدم لها رجل من (عرب الهولة) فتزوجها، ونقلها من جديد إلى منطقة الحورة، التي خرجت منها بعد إسلامها.

ولقـد رأيـت الحاجـة (مسـعودة) وأنا طفل صـغير في النصـف الأول مـن سـبعينيات القـرن الماضـي، وكنـت أنا وأصـحابي مـن الأطفـال نذهـب إلى بيتها؛ للحصـول على الحلـوى والشـيكولاتة وبعض النقـود التـي تعطينـا إياها، وكانت حريصـة، وهي تعطينـا هذه الحلوى على أن تسـألنا عن الصـلاة في المسـجد وعن حفظنا القـرآن الكريم، فإذا رأت منا تقصـيراً في أمر الصـلاة امتنعت عن إعطائنا هذه

الحلوى وتلك النقود، بحيث نضطر في بعض الحيان إلى الكذب عليها، فتقول: سوف أجعل زوجي (محمدًا) يراقب حضوركم إلى المسجد للصلاة.

لقد كانت دائماً تحثنا على تأدية الصلاة جماعة مع المسلمين في المسجد، وما هي إلا سنوات حتى توفي زوجها الصالح (محمد علي أمين)، وترك لها ثروة كبيرة، خصصت جزءاً منها لتحفيظ القرآن الكريم، والجزء الآخر للأيتام.

ذكرت لي جدتي خبراً عجيباً عن (مسعودة) يوم إعلان قيام إسرائيل في ١٥ مايو ١٩٤٨، حيث زارتها (مسعودة) وهي تبكي، وتولول، فقالت جدتي: لماذا تبكين يا (مسعودة)؟ كان يُفترض فيك أن تفرحي لقيام كيان لليهود في أرض فلسطين!

فقالت (مسعودة): يا أختي، أنت لا تعلمين ماذا سيفعله اليهود بكم وبأهل فلسطين؟

قالت جدتي: وماذا سيفعلون؟

قالت مسعودة: إنها مذبحة.

قالت جدتي: عن أي مذبحة تتحدثين؟

قالت (مسعودة): هؤلاء اليهود أنا أعرفهم جيداً، إنهم ينوون أن يذبحوكم في فلسطين وسوف ترين يا أختي، صدق حديثي لك. وصدقت مسعودة، فبعد أسابيع قليلة قام اليهود بمذبحة دير ياسين الرهيبة، واستمرت المذابح إلى يومنا هذا.

ولكن مسعودة أردفت، قائلة: بعدها بسنين سوف تكون المذبحة الكبرى لليهود على أيدي المسلمين، ترى هل سأعيش حتى أرى هذه المذبحة الكبرى لليهود على أرض فلسطين، أرجو ذلك؟!

وامتد العمر بمسعودة إلى أواسط التسعينيات من القرن الماضي، وكانت تكثر من الصلاة والصيام والصدقة وقراءة القرآن الكريم، وكأنها كانت تشعر بقرب انقضاء أجلها، وأنا أشهد للحاجة (مسعودة): أنها كانت ملتزمة بحجابها الشرعي من أول يوم أسلمت فيه، وإلى آخر يوم من حياتها، فقد كان لباسها الشرعي عبادة، ولم يكن عادة، ولم أرَها قط منذ طفولتي دون لباسها الشرعي، الذي يسبغ كل بدنها من مفرق رأسها وإلى أخمص قدميها.

قضت الحاجة (مسعودة) أيامها الأخيرة في دار المسنين والعجزة، ووافاها الأجل في تلك الدار، وقبل وفاتها أوصت بثلاث وصايا:



الأولى، أذكركم بالمحافظة على تطبيق هذا القرآن؛ فهو شرفٌ لكم ولأبنائكم

الثانية، اللّه، اللّه في أبنائكم ربّوهم على الدين.

الثالثة: أنا مسلمة، ولست يهودية، فأرجو أن تدفنوني في مقبرة المسلمين.

شهدت الشهادتين، وفارقت الحياة، عليها رحمة اللّه.





بيننا وبينهم الثلث الأخير من الليل[1]

أكثر ما يسعدني في هذه الدنيا: أننا نحكم الإسلام في كل أمورنا، ونتمسك بأهداب الشريعة، لكن التمسك بأهداب الشريعه يستلزم الرجوع لها في كل، أمر لها حكم فيه، وأيضا أن يكون ذلك في كل أمر في كل وقت، فلا تستطيع أن تتمسك بها نهارًا، وتتجنبها ليلاً، ولا تتمسك بها إن أردت، وتميل عنها إن رغبت، فالشريعة كل في كل وكل لكل كل.

يدعوني لقولي هذا صدمتي فيما أعلن أخيراً عن صرف النظر عن أخذ رسوم على الأراضي الشاسعة التي ليست مخصصة للسكن، بحجة أن الشريعة لا تجيز ذلك، لأن الأصل حرمة أموال المسلم، فأقول: إنما الحرمة لأموال المسلم، وكذلك لأموال كل المسلمين بوصفهم جماعة، فتحرم أموال المسلم الفرد، وتحرم بدرجة أشد الأموال العامة للمسلمين، فالغلول أشد عقوبة من أكل مال مسلم بالباطل.

ثم استشهدوا في تعليلهم لعدم جواز أخذ الرسوم بحديث: «**لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب نفس منه**»[2]

---

(١) جميل محمد فارسي.

(٢) أخرجه البيهقي في سننه الكبرى (رقم ١١٣٢٥) والدارقطني في سننه (رقم ٩١) وأبو يعلى في مسنده (رقم ١٥٧٠) وصححه الألباني في إرواء الغليل (٦ / ١٨٠).



وأقــول: نعــم، إنه حكم صــحيح، لكن لولي الأمــر أن يفرض علينا ما يشــاء لرعاية المصــالح الكلية للأمة، وعلينا وجوباً السمع والطاعة، بل الدعاء له.

كنــت أتمنــى أن تكون حجتنا في أي شــيء هي مقاصــد الإسلام. ليتها كانت حجة اقتصادية أو اجتماعية أو تجارية أو ماليــة أو أي حجة أخرى، ولا ننســبها إلى الشــريعة. فهل أخذ رســوم علــى الإقطاعات الشاســعة محــرم، ولكن أخذ الإقطاعات الشاسعة نفسه أمر حلال زلال؟

الآن، وفي هذه فقط ظهرت علينا ملامح التقوى، وشعشع نور الإيمان؟ ألا تعلم أنك حين تشــتري سيارتك تكون دفعت فيها ٥٪ من قيمتها بوصفها رسومًا جمركية؟ هل هذه الرسوم تبرعات تمت بطيب نفس المســتورد، أم هي رســوم مفروضة فرضًا لمصــلحة الأمة؟ إن اشترى أحدكم (شنطة) المدرسة لابنه، فإن نصــف العشــر من ثمنها رســوم جمركية، أما إن شــرب (براد شــاي) فقد شــاركته وزارة المالية في تحصيل نصــف العشــر من قيمة (الشــاي)، أما إن حلاه بالســكر فـ ٢٠٪ من قيمة السكر يكون قد دفعها رسومًا جمركية. فلِمَ لَمْ تشعشــع علينا طراوة الإيمان هنا؟ إن ذهبت تستقدم خادمة تســاعد أم العيال على همك (وغلاستك)، فلن يلتفت إليك أحــد إلاّ بعــد أن تدفع جعــلاً قدره ألفا ريــال، فهل دفعها هو

من قمة طيب نفسـك؛ لأن منتهى سعادتك هي بعثرة الآلاف داخل ماكينة الصـراف؟ وإن تأخـرت يومًا واحدًا في تجديد إقامتها فيدك (تهرشها) بألف مما تعدون، أكلُّ هذه حلال، ورسـوم الأراضـي يجب ألا تؤخـذ إلاّ بطيب أنفسـهم؟ ماذا لو لم تطب أنفسـهم إلاّ عن احتكارها، ثم توريثها إن حضـر الأجل، ولف الكفن؟

أأخذ رسـوم الأراضي حرام، وأخذ وادٍ بما فيه، أو سهل بما يحتويه، أو جبل بالذي فيه هو أمر مسـتحب ومن السـنن المنسية؟ فإن كان مسنونًا، فلماذا هو سنة لي ومحرم عليك؟ جبال مكة لم تتغير منذ خلق الله السـماوات والأرض، فكيف لم تتملك إلا في العقدين الأخيرين؟ من قال: إن أخذ الرسوم حـرام؟ ألم يفكـر لم أخـذ هذه الجبـال فلان، وحـرم منها علان؟ أكانت حلالاً لفلان وحراماً على علان؟

ألم يسـأل أصـلًا عن هذه الإقطاعات الشاسـعة، كيف حصـل علـى معظمهـا معظمهـم؟ إن أحياها، وأنشـأ عليها مدرسـة أو مستوصـفا أو سـكناً له ولأولاده أو حتى مصنعًا، فنعم العمل عمله، وهذا ما قاله رسول اللّه ﷺ: «**من أحيا أرضًا فهي له**»[1].

---

(١) أخرجه البخاري بلفظه موقوفًا على عمر ، ، أما المرفوع فهو بلفظ: «من أعمر أرضًا ليست لأحد، فهو أحق» (رقم ٢٣٣٥).

أما أن سوّرها فلأنها (احلوّت) في نظره أو (حوطها) لأن إبل جده رعت يومًا في نجيلها، وأحاطها لأنه حلم ليلًا أنها تجري (مزفوفة) إليه، أو مدد أسواره لأن ابنه تدلل عليه بأنه يريدها لإصلاح أوضاعه بأن يبيعها لإخوانه المواطنين من باب التلاحم، فأين كل ذلك من الشريعة؟ لماذا لم ننفعل في كل هذه الأمثله لنتمسك بأهداب الشريعة؟ أَ أهداب طويلة لها، وأهداب أخرى للغلابة؟ حرام أن تؤخذ الرسوم عليها، وحلال أن تؤخذ هي بما عليها؟

تعرف، والله أحسن أنهم ألغوا أخذ الرسوم على الأراضي الشاسعة غير المعدة للسكن، وليست محياة إحياءً شرعيًّا.

فوالله ليس من العدل أخذ الرسوم على هذه الأراضي، بل العدل أن تنزع هذه الأراضي نفسها عنهم انتزاعًا، فالقاعدة العامة أن ما بني على باطل فهو باطل.

إن كانت الحجة أن أخذ الرسوم يتعارض مع مقتضيات الشريعة، فدعني أسالك، وكن صادقًا مع نفسك، إن علمت أن ٦٥٪ من شعبنا دون العشرين، فبالله عليك هل لأي منهم أي أمل أن يدخر من مرتبه أو من إعانة حافز ليشتري أرضًا يسكن فيها إن تزوج؟ أم عليه أن يزاحم غرفة أبيه في بيته الشعبي في العشوائيات؟ فإن فعل، فكيف يأتي للدنيا أخوه؟

ثم هــو بعد ذلك يجد أن أحداً ملك مليــون متر هنا، ومليونًا هناك، ومليونا بين ذلك وذاك.

أكل هذا يتماشى مع مقاصد الشريعة، بينما أخذ رسوم الأراضي يعارضها؟ أَفقدان أمل جيل المستقبل في أي حلم في أي أرض في بلاده إلا مترين مربعين لمقبرته، وضـياع أملهم هو ما يقيم عماد الشريعة؟

عمومًا، أقول صــادقًا: حيث إني لا أعرف من الشـريعة إلاّ ما حفظته (صـمًّا) في مقرر الفقه في المدرسة، ومن ثم لا أعلم هل فرض الرسـوم على الأراضـي الشاسعة غير المعدة للاســتخدام هــو أمر جائـز أم لا؛ لذا أعتذر، وأســتغفر عن كل مــا قلته في أول المقال، وســأقترح اقتراحًــا لإحقاق الحق لا يختلـف عليه اثنان، ولن يغضـب أحداً، وهو لن يضـر من كان على الحق، وســينفع مــن لم يكن على الحق، وهو اللجوء للدعاء؛ ليكون الحكم بيننا، فسيد المرسلين قال: «**الدعاء هو العبادة**»[1].

فأطلب من كل من ملك مليون متر، أو أكثر أن يرفع يديه في الثلث الأول من هذه الليلة، ويدعو صــادقاً، ويقول: اللهم، إن كنــت تعلم أن الأراضــي التي أملكها قـد أخذتها بحقها، وأخذي لها يتناســب مع أهداب الشـريعة، فاللهم، بارك لي

(١) أخرجه الترمذي (رقم ٢٩٦٩) وقال: حسن صحيح.

فيهـا، ومددها، واحمها، واحفظها، وارفع سـعرها، وأعطني ضـعفها في الجنة، وأهلـك كاتب هذا المقـال، وإن كنت تعلم أن الأمر غير ذلك فاهدني لإرجاعها؛ حتى لا أطوق من سـبع أرضين يوم القيامة بكل شبر فيها، كما قال رسول الله ﷺ[1]، ثم ثبت قلبي على فراقها، وعوضني عنها بمناقصة تفرح القلب، وكذلك أهلك كاتب هذا المقال!

ليسـ هـذا فقط بل أدعو كل شـاب متيقـن يقينًا أنه لن يملـك أي أمـل في الحصـول على قطعـة أرض مهمـا عمل، واجتهـد أن يدعـو في الثلث الأخـير من هذه الليلـة، ويقول: اللهـم، إنك تعلـم أن لا أمـل لي في أرض؛ لأن الأراضـي قد اختفـت، فاللهم، إن كنت تعلم أن مـن كان يدعوك في الثلث الأول، وقد أخذ الإقطاعات الشاسعة إن كان أخذها متمسكًا بأهـداب الشـريعة، ولا يجوز أخذ الرسـوم عليهـا، فاللهم، بارك له فيها، وأعطِه أضـعافها في الجنة، وأهلك كاتب هذا المقـال، وإن كنت تعلم أنه أخذها بغير حقهـا، وأن أخذه لها مخالـف لشـريعتك، وأن أخـذه لهـا حرمني مـن أي أمل في الحصـول علـى أي أرض، فيـا رب، اغفر لـه وواره من أرض الجنة ما حرمني من أرض الدنيا.

---

(١) فعن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أخذ من الأرض شيئًا بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين**».
- أخرجه البخاري (رقم ٢٤٥٤) وعند مسلم بلفظ: «**من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا، فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين**» (رقم ١٦١٠).

أعتقد أن هذا الأمر ليس فيه أي شيء يغضب أي أحد، ففيه مضاعفة في الجنة لمن ملك أرضًا بحقها، وفيه هداية وعودة للحق لمن كان غير ذلك، وأيضًا له دعاء بالجنة، وهو حل عادل؛ لأنه دعاء بدعاء، وكل طرف له وعليه، احتمال باحتمال، وفوق كل ذلك فيه احتمال بهلاك كاتب هذا المقال. وليس لهلاكه احتمال واحد، بل احتمال فوقه احتمال فوقه احتمال.

(أنا شخصيًّا لست خائفًا من هذا الدعاء، أما أنتم، فلماذا تخافون؟).



السلبية

يحكى أن أحد الحكام فى الصين وضع صخرة كبيرة على طريق رئيس، فأغلقه تماماً، ووضع حارساً ليراقبها من خلف شجرة، ويخبره بردة فعل الناس!

مر أول رجل، وكان تاجرًا كبيرًا في البلدة، فنظر إلى الصخرة باشمئزاز منتقداً من وضعها دون أن يعرف أنه الحاكم، فدار هذا التاجر من حول الصخرة رافعاً صوته، قائلاً: «سوف أذهب لأشكو هذا الأمر، سوف نعاقب من وضعها».

ثم مر شخص آخر، كان يعمل في البناء، فقام بما فعله التاجر، لكن صوته كان أقل علواً، لأنه أقل شأناً في البلاد.

ثم مر ثلاثة أصدقاء معاً، من الشباب الذين ما زالوا يبحثون عن هويتهم في الحياة، وقفوا إلى جانب الصخرة، وسخروا من وضع بلادهم، ووصفوا من وضعها بالجاهل والأحمق والفوضوي، ثم انصرفوا إلى بيوتهم.

مر يومان، حتى جاء فلاح عادي من الطبقة الفقيرة، ورآها، فلم يتكلم، وبادر إليها مشمراً عن ساعديه، محاولاً دفعها طالباً المساعدة ممن يمر، فتشجع آخرون وساعدوه، فدفعوا الصخرة، حتى أبعدوها عن الطريق.

وبعد أن أزاح الصخرة وجد صندوقاً حفر له مساحة تحت الأرض، في هذا الصندوق كانت هناك ورقة فيها قطع من ذهب ورسالة مكتوب فيها: «من الحاكم إلى من يزيل هذه الصخرة، هذه مكافأة للإنسان الإيجابي المبادر لحل المشكلة، بدلاً من الشكوى منها».

انظروا حولكم، وشاهدوا كم مشكلة نعانيها، ونستطيع حلها بكل سهولة، لو توقفنا عن الشكوى وبدأنا بالحل.

نصيحة: لا تبحث عن الأخطاء، بل ابحث عن العلاج.



المنطق والحظ

كان هناك شخص اسمه (المنطق) وآخر اسمه (الحظ)

كانا راكبين سيارة، وفي منتصف الطريق نفد بنزين سيارتهما، فحاولا أن يكملا طريقهما مشيًا على الأقدام قبل أن يحل الليل، ولعلهما يجدان مأوى، ولكن دون جدوى.

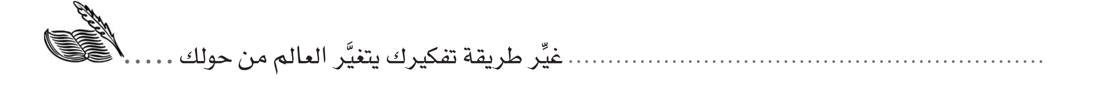
فقال المنطق لـ الحظ: سوف أنام، حتى يطلع الصبح، وبعدها نكمل الطريق.

فقرر المنطق أن ينام بجانب شجرة.

أما الحظ فقرر أن ينام في منتصف الشارع.

قال له المنطق: مجنون! سوف تعرض نفسك للموت، من الممكن أن تأتي سيارة، وتدهسك، فقال له الحظ: لن أنام إلا في منتصف الشارع، فمن الممكن أن تأتي سيارة، فتراني، وتنقذنا!

وفعلاً نام المنطق تحت الشجرة، والحظ في منتصف الشارع، بعد ساعة جاءت سيارة كبيرة مسرعة، ولما رأت شخصًا في منتصف الشارع حاولت التوقف، ولكن لم تستطع، فانحرفت في اتجاه الشجرة، ودهست المنطق، وعاش الحظ،



وهذا هو الواقع، فالحظ يلعب دوره مع الناس أحيانًا، على الرغم من أنه مخالف للمنطق؛ لأنه قدرهم.

عبرة: فعسى تأخيرك عن سفر يكون خيرًا، وعسى حرمانك من زواج كان بركة، وعسى ردك عن وظيفة يكون مصلحة، وعسى حرمانك من طفل خير.



من الأفضل؟

حدث خلاف بين أصابع اليد الخمسة، كل واحد يريد أن يكون الأعظم، فوقف الإبهام ليعلن:

إن الأمر لا يحتاج إلى بحث، فإني أكاد أكون منفصلاً عنكم، وكأنكم جميعاً تمثلون كفة، وأنا بمفردي أمثل كفة أخرى، إنكم عبيد لا تقدرون أن تقتربوا إليَّ، أنا سيدكم، لأني أضخم الأصابع وأعظمها.

انبرى السبابة يقول: لو أن الرئاسة بالحجم لتسلط الفيل على بني آدم، وحُسب أعظم منهم، إني أنا السبابة، الأصبع الذي ينهى ويأمر، عندما يشير الرئيس إلى شيء، أو يعلن أمرًا يستخدمني، فأنا أولى بالرئاسة.

ضحك الأصبع الوسطى، وهو يقول: كيف تتشاحنان على الرئاسة في حضرتي، وأنا أطولكم، تقفون بجواري كالأقزام، فإنه لا حاجة أن أطلب منكم الخضوع لزعامتي، فإن هذا لا يحتاج إلى جدال.

تحمس البنصر قائلاً: أين مكاني يا إخوة؟ انظروا، فإن بريق الخاتم يلمع فيّ، إني ملك الأصابع وسيدهم بلا منازع.

أخيراً بدأ الخنصر يتكلم، صمت الكل مدهوشين، ماذا يقول هذا الأصبع الصغير، الخنصر؟

لقد قال: اسمعوني يا إخوتي، إني لست ضخماً مثل الإبهام، بل أرفعكم، ولست أعطي أمراً أو نهياً مثل السبابة، ولست طويلاً مثل الأصبع الوسطى، بل أقصركم، ولم أنل شرف خاتم الزواج مثل البنصر، أنا أصغركم جميعاً، متى اجتمعتم في خدمة نافعة تستندون عليَّ، فأحملكم جميعاً.

وعند ذلك أدرك الجميع أن من يساعد الآخرين، ويقف معهم هو أكثر من يكسب الريادة، ويستحق الاحترام.



الثقة بين الزوجين

مثال على ذلك وصلت الزوجة بيتها في ساعة متأخرة من الليل، وبهدوء وحذر شديدين فتحت باب غرفة نومها، ففوجئت من المنظر، حيث رأت أربع أقدام تظهر من تحت لحاف السرير، وبسرعة ودون أدني تفكير أحضرت مضراب البيسبول الخاص بزوجها، وضربت تلك الأقدام دون وعي، وبكل ما تملك من قوة، حتى أخذت كفايتها، بعد ذلك ذهبت إلى المطبخ لتشرب ماء بعد هذا الجهد العظيم، ولما دخلت المطبخ رأت زوجها يجلس على الطاولة يقرأ مجلة!

قال لها: أهلاً يا حبيبتي، والداك فاجؤونا بزيارتهما اليوم، وتركتهما ينامان في غرفتنا كما تعرفين، حيث لا يوجد مكان آخر لنومهما. هل سلمتِ عليهما أم تركتهما غارقين في النوم؟



هيلين كيلر

الأُعجُوبة (هيلين كيلر) سَـتُعلِّمنا كيفيَّة سـير الضَّـرير فوق أرضٍ وعرة دون السُّـقوط، وَالنَّبش في باطن الأحلام لِتبقى واقعاً زُمرديًّا.

قبـل أن تبلغ الثانية من عُمرها أُصـيبت بِمرضٍ أفقدها السِّمع والبصر؛ ومن ثم عجزت عن الكلام؛ لانعدام السَّمع، فَوضـعها والدها في معهد للعميان، وطلب من رئيس القسـم أن يرشدها إلى مُعلِّمة لها، فَأرشدها إلى «آن سوليفان»، التي فقدت بصرها في أوَّل عمرها، وعاد إليها جُزئيّاً فيما بعد!

عندما بلغت هيلين السَّادسـة من عمرها بدأت سوليفان تُعلِّمهـا الحـروف الأبجديَّة بكتابتهـا على كفِّها بِأصـابعها، واسـتعملت كذلـك قطعـاً من الكرتـون عليها أحـرف نافرة كانت تلمسها بِيديها، وتدريجيًّا بدأت تُؤلِّف الكلمات والجُمل بِنفسـها، وعلَّمتهـا الكلام بِوضـع يديها على فمهـا في أثناء حديثها، لِتحسّ بِطريقة تأليف الكلمات بِاللِّسـان والشَّفتين، وانقضـت مدة طويلـة قبل أن يُصـبح بِاسـتطاعة أحد فهم الأصوات التي تُصدرها هيلين!

وَلقد أتقنت الكتابة، فَكان خطّها جميلاً مُرتَّباً، وَالتحقت بِمعهد (كامبردج) للفتيـات؛ وكانت مُعلِّمتها تُرافقها؛ لِتنقل

لها المُحاضرات، وَتخرَّجت حاصلة على بكالوريوس علوم!

ذاعت شُهرتها فَانهالت عليها الطَّلبات لإلقاء مُحاضرات وكتابة المقالات في الصُّحف وَالمجلاَّت، وشاركت في التَّعليم وكتابة الكُتب ومُحاولة مُساعدة المكفوفين قدر الإمكان.

كانت في أوقات فراغها تخيط، وتُطرّز، وتقرأ كثيراً، وتعلَّمت السِّباحة والغوص وقيادة المركبة ذات الحصانين، ثم قفزت قفزة هائلة بِحُصولها على شهادة الدُّكتوراه في العلوم والدُّكتوراه في الفلسفة، وقد قامت بِجولات مُتكرّرة في مُختلف أرجاء العالم في رحلة دعائية لمصلحة المعوقين؛ للحديث عنهم وجمع الأموال اللازمة لِمُساعدتهم.

ألَّفت هيلين كتابين، وراحت الدَّرجات الفخريَّة والأوسمة تتدفَّق عليها، وَانتُخِبت من أهم عشر سيِّدات في العالم.

نصيحة: (لا تحني رأسك لِمشكلاتك، ولكن أبقِها عالية، وحينها سترى العالم مُستقيماً أمامك).



نفسية الأبناء[1]

كثيرًا ما يتلفظ الآباء والأمهات بكلمات لا يحسبون لها حسابًا، ولكنها تدمر الأهداف التربوية التي ينشدونها، فالكلمة هي أساس التربية، ونحن نوجّه أبناءنا بالكلام، ونحاسبهم بالكلام، ونشجعهم بالكلام، ونمدحهم بالكلام، ونغضب عليهم بالكلام، فتربية الأبناء إما بالكلام أو بالأفعال، وفي الحالتين هي كلام، فالكلام حوار لفظي، والأفعال حوار غير لفظي، فالموضوع إذن كله كلام في كلام، وهذه هي التربية.

ومن خلال تجاربي في حل المشكلات التربوية، اكتشفت أن أكثر ما يسهم في انحراف الأبناء، هو سوء استخدام الألفاظ والكلام، ومنذ يومين جلست مع شاب هارب من بيته، فاستمعت إلى مشكلته التربوية مع والديه، وكان ملخصها في الكلام السيئ الذي يسمعه منهما، وفتاة اشتكت لي الحال من انحرافها، وهي غير راضية عن نفسها، ولكنها أرادت أن تنتقم من سوء كلام والديها لها، وقد جمعت في هذا المقال الأمراض التربوية في اللسان في عشر كلمات تدمر نفسية الأبناء، وتشجعهم على الانحراف، وهي كالآتي:

---

(١) الدكتور جاسم المطوع.

أولاً: الشتم بوصف الطفل بأوصاف الحيوانات، مثل (حمار، كلب، ثور، تيس، يا حيوان،...)، أو تشتم اليوم الذي ولد فيه.

ثانيًا: الإهانة من خلال الانتقاص منه بأوصاف سلبية، مثل أنت (شقي، كذاب، قبيح، سمين، أعرج، حرامي...) والإهانة، مثل الجمرة تحرق القلب.

ثالثًا: المقارنة، وهذه تدمر شخصية الطفل؛ لأن كل طفل لديه قدرات ومواهب مختلفة عن الآخر، والمقارنة تشعره بالنقص، وتقتل عنده الثقة بالنفس، وتجعله يكره من يقارن به.

رابعًا: الحب المشروط، كأن تشترط حبك له بفعل معين، مثل (أنا ما أحبك لأنك فعلت كذا، أحبك لو أكلت كذا، أو لو نجحت، وذاكرت) فالحب المشروط يشعر الطفل بأنه غير محبوب ومرغوب فيه، وإذا كبر يشعر بعدم الانتماء للأسرة؛ لأنه كان مكروهًا فيها عندما كان صغيرًا، ولهذا الأطفال يحبون الجد والجدة كثيرًا؛ لأن حبهما غير مشروط.

خامسًا: معلومة خاطئة، مثل (الرجل لا يبكي، اسكت، فما زلت صغيرًا، هذا الولد جنني، أنا ما أقدر عليه، الله يعاقبك ويحرقك بالنار).

سادسًا: الإحباط مثل (أنت لا تفهم، اسكت يا شيطان، لا فائدة فيك).

سابعًا: التهديد الخاطئ (أكسر رأسك، أشرب دمك، أذبحك).

ثامنًا: المنع غير المقنع، مثل نكرر من قول لا، ودائمًا نرفض طلباته من غير بيان للسبب.

تاسعًا: الدعاء عليه، مثل (الله يأخذك، ليتك تموت، ملعون).

عاشرًا: الفضيحة، وذلك بكشف أسراره وخصوصياته.

فهذه عشرة كاملة، وقد اطلعت على دراسة تفيد أن الطفل إلى سن المراهقة يكون قد استمع من والديه ستة عشر ألف كلمة سيئة من الشتائم إلا أن الدراسة لم ترصد لنا إلا نوعًا واحدًا من الأمراض اللسانية التي ذكرناها، فتخيلوا معي طفلًا لم يبلغ من العمر ثماني سنوات، وفي قاموسه أكثر من خمسة آلاف كلمة مدمرة، فإن أثرها عليه سيكون أكبر من أسلحة الدمار الشامل، فتدمر حياته ونفسيته.

وقد لخص لنا رسولنا الكريم هذا المقال كله في أربع كلمات، وهي في قوله ﷺ: «**ليس المؤمن بالطعان، ولا اللعان، ولا**

الفاحش، ولا البذيء»[1] فالأصل أن نتجنب هذه الرباعية السلبية، وأن نستبدل بها رباعية إيجابية أخرى مع أبنائنا، فنركز على الحب والتشجيع والمدح والاحترام.

خاطرة: الكلمة الطيبة أهم من العطية، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى﴾ ونحن نعطي أولادنا كل شيء، طعام وألعاب وترفيه وتعليم، ولكننا نحرقهم، وندمرهم بالكلام، وهذا خلاف المنهج القرآني، وقد اكتشف العلماء المعاصرون أن (الكلمة الطيبة والصدقة) لهما الأثر نفسه على الدماغ. فلنحرص على انتقاء الكلام في بيوتنا، فللكلمة أثر عظيم، فالقرآن الكريم أصله كلمة، والإنسان يدخل الإسلام، ويخرج منه بكلمة، والأعزب ينتقل للحياة الزوجية، ويخرج منها بكلمة، فلا نستهن بالكلمة، ولنحرص على الكلمة المؤثرة التي تسهم في بناء أطفالنا وتنميتهم، فبالكلام نصنع السلام والوئام، ويكون أبناؤنا تمام التمام.



(١) أخرجه الترمذي (رقم١٩٧٧) وقال: حسن غريب.



الزاوية الإيجابية

كان ذلك الرجل يركض هنا وهناك، يجمع العلب الفارغة التي كانت تتخلص منها الطائرات المقاتلة التي تقصف قريته.

الكل كان مذعوراً إلا هو، فقد كان يسعى وراء هدف لا بد أن يحققه، حتى في أيام الحرب، كان ينظر إلى الأحداث من زاوية إيجابية، كان يسمي تلك العلب التي تسقط من السماء «هدايا الرئيس الأمريكي».

إنه يعيش في بلد يسمون الفشل (محاولة) متى يبدأ الفشل؟ يبدأ الفشل عندما تستمع للمثبطين، ويبدأ الفشل عندما تعتقد أن الآخرين هم فقط يستطيعون، ويبدأ الفشل عندما تقرر أنت وحدك التوقف عن المحاولة. لنضع كل محاولة فاشلة تحت أقدامنا، فهي ترفعنا إلى أعلى!.

ولد ذلك الرجل قبل الحرب العالمية الثانية بأربعين سنة من عائلة فقيرة، مات خمسة من عائلته بسبب سوء التغذية، وقد فشل في الدراسة، فتركها، وهو في الصف الثامن، ثم عمل بعد ذلك في ورشة صغيرة، وأقبل على ميكانيكا السيارات، وأحبها، فاقترض مبلغًا من المال؛ ليعمل حلقات



صمام لشركة سيارات كبرى، ولكنها مع الأسف لم توافق مقاييس الشركة.

فهل توقف عن المحاولة؟ كلا، فقد دخل المدرسة ليطور تصميم الصمام، وبعد سنتين من الجهد والعمل وقع مع الشركة العقد الذي كان يحلم به، ولكنه يحتاج إلى بناء مصنع؛ لتزويد الشركة بالكمية المطلوبة، ولقد كانت البلد في حالة حرب، فرفضت الحكومة طلبه بتزويده بالأسمنت. فهل توقف عن المحاولة؟ كلا!

قام هو وفريقه باختراع عملية لإنتاج الأسمنت للمصنع. وما أن بدأ التصنيع، حتى قصف المصنع في أثناء الحرب، فهل تتوقعون أنه توقف عن المحاولة؟ كلا، أعاد بناء الأجزاء المتضررة من المصنع، ثم بعد أيام قصف المصنع مرة أخرى.

فهل ندب حظه مثل ما نفعل أحياناً؟ كلا، ثم كلا، فقد أعاد بناء المصنع مرة ثانية. وهكذا بدأ يصنّع الكميات المطلوبة لتلك الشركة، لكن عندما كان يعيش نشوة النجاح، حدث زلزال كبير، فأصبح المصنع أثراً بعد عين، فباع فكرة الصمام لشركة.

فهل تظنون أن رجلًا بهذا الطموح والعزم يتوقف؟

إنه رجل يعشق القمم، وفي هذه الأثناء حدث في بلدته أزمة أخرى، فقد عانت اليابان انقطاعًا في إمدادات البنزين،

وكما هو المعتاد سيقول أكثر الناس: إنها أزمة، ولكن صاحبنا بعزيمته قال: إنها فرصة، وقام بتصنيع دراجات هوائية بمحرك يعمل على الكورسين المتوافر، ونجحت الفكرة، وحققت نجاحاً ساحقاً. وبعد كل هذه المحاولات جاءت الإنجازات، فعام ١٩٦٨ باعت شركة هوندا مليون دراجة نارية للولايات المتحدة.

وكانت تلك هي البداية للانطلاق للعالمية، حيث يعمل اليوم في شركة هوندا ما يقارب من مئة ألف عامل؛ لأن رجلًا واحدًا فقط عزم على ألا يتوقف عن المحاولة.

لقد استطاع (سيكيرو هوندا) أن يقف صلب العود أمام الفقر، والفشل الدراسي، وموت خمسة من عائلته بسوء تغذية، والحرب، وتحطم مصنعه مرتين، والزلزال المدمر، والركود الاقتصادي، إضافة إلى ذلك المنافسة الشرسة والعنيفة والمستمرة من الشركات الكبرى، فأيهما أسوأ حظًّا نحن أم هوندا؟!

درس: إن هوندا يعلمنا أن ننهض بعد السقوط؛ لنكون أشد وأقوى من قبل، وقد قال عندما استلم الدكتوراه الفخرية: «أؤكد لكم أن النجاح يمثل واحدًا في المئة من عملنا، الذي ينتج عن تسعة وتسعين في المئة من الفشل».



من أجل الإسلام

من أغرب ما ستقرأ، ها هو ذا أكبر مبشر للنصرانية يترك أربعة ملايين جنيه من أجل الإسلام!

نعم، فهذا هو أشهر قساوسة مصر، إسحاق هلال مسيحة.. يحكى حكاية عجيبة غريبة، فيقول:

كانت أسئلتي عن الإسلام تثير كثيرًا من المشكلات، ما جعل البابا (شنودة) يقوم بتعيينى قسيسًا قبل الميعاد المحدد لى بعامين؛ وذلك لإغرائى وإسكاتى، ولكنى لم أتوقف عن البحث، فزاد فى ترقيتى، وقام بتعيينى رئيسًا فخريًّا لجمعيّات خلاص النفوس المصريّة، وهي أقوى جمعية تنصيرية في الشرق الأوسط.

طلبوا مني رسالة ماجستير في مقارنة الأديان، فحضرت رسالة عن (خاتم النبوة) الذي رآه الجميع في ظهر النبي محمد ﷺ، فقرر البابا سحبها مني، وفرض حراسة مشددة على مكتبي.

نجحت أخيرًا فى الحصول على كتيب به جزء «عم»، وقرأته، حتى أتيت على قوله تعالى: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ فشعرت براحة نفسية هزت كيانى، ذهبت إلى الكنيسة، وسألت أحد القساوسة: (من يغفر للبابا ذنوبه؟) فصرخ

فِيَّ: (البابا ليس له ذنوب، وأنت مجنون، وكان يجب ألا تُعيَّن قسيسًا؛ حتى لا تفسد الناس بإسلامياتك). بعدها صدر قرار بحبسي في دير بوادي النطرون، أذاقوني فيه من العذاب ألوانًا، كان الرجال يجتمعون حولي، ومع كل منهم عصا يضربني بها، وهو يقول: «هذا ما يصنع ببائع دينه وكنيسته»، وأمروني بأن أرعى الخنازير.

في النهاية أخذوني إلى كبير الرهبان لتأديبي، قال لي: يا بني، اصبر واحتسب، إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا..

تعجبت، فهذا الكلام ليس من الكتاب المقدس.ذهبت إليه ثانية، وكان في حجرته، طرقت الباب، فلم يفتح، دفعت الباب، ودخلت، فإذا بمفاجأة كبرى، لقد كان كبير الرهبان يؤدي صلاة المسلمين.

أخذ يتوسل إليَّ: «يا بنيّ، استر عليّ ربّنا يستر عليك». فأغلقت الباب، وخرجت، وأنا لا أصدق، بعدها أشهرت إسلامي فذُهل الجميع، أخبروني: لو أسلمت سنأخذ منك كل ثروتك (أربعة ملايين جنيه، وثلاثة محالّ ذهب، وورشة لتصنيع الذهب بحارة اليهود، وعمارة مكوّنة من أحد عشر طابقًا). قلت لهم: خذوها، فإنها لا تساوي ساعة ندم بين يدي ربي.

وأهـدرت الكنيسـة دمـي، فتعرضـت لثـلاث محاولات اغتيـال من أخـي وأولاد عمّي، فقامـوا بإطلاق النّـار عليّ، وأصـابوني في كليتي اليسـرى الّتي تم استئصـالها، ولما علم أبواي بإسلامي أقدما على الانتحار، فأحرقا نفسيهما.

المصدر/ من كتاب عادوا إلى الفطرة..باختصار

في محاولـة رجل يابـاني تجديد بيته نزع جـدران بيته، ومن المعروف أن البيت الياباني التقليدي مبني من الخشب، حيث يكون بين جدران البيت فراغ، فعندما نزع أحد الجدران وجد سـحلية عالقة بالخشـب من إحـدى أرجلهـا، فانتابته رعشـة الشـفقة عليها، عندما رأى مسمارًا مغروزًا في رجلها يعود إلى عشر سنوات خلت، عندما أنشأ بيته لأول مرة. فدار في عقله سؤال ما الذي حدث؟ كيف تعيش السحلية مدة عشر سـنوات في فجـوة ما بين الجـدران يلفها الظـلام والرطوبة ودون حراك؟

توقـف عن العمل، وأخـذ يراقب السـحلية. كيف تأكل؟ وفجأة ظهرت سـحلية أخرى حاملـة الطعام في فمها، دهش الرجل، واعتملت في نفسـه مشـاعر رقة الحـب الذي أثارها هذا المشهد، سحلية رجلها مسمرة بالجدار، وأخرى تطعمها صابرة مدة عشر سنوات، سبحان الله الخالق!

دعوة: ابتسم، فرزقك مقسوم، وقدرك محسوم، وأحوال الدنيا لا تستحق الهموم؛ لأنها بين يدي الحي القيوم، ابتسم: عندمـا تجلس مع عائلتك، فهناك من يتمنى عائلة، ابتسـم: عندما تذهـب إلى عملك، فالكثير ما زال يبحث عن وظيفة، ابتسم: لأنك بصـحة وعافية، فهناك من المرضى من يتمنى أن يشتريها بأغلى الأثمان، ابتسم: لأنك حي ترزق، فالأموات يتمنون الحياة.



حارس جوانتانامو..!!

كان هولدبروكس أحد حراس سجن جوانتانامو المرعب، الذى يذوق فيه المعتقلون أشد أنواع التعذيب، بأمر من قيادات أمريكا بلد الحرية.

تلقى هولدبروكس أوامر من قادته أن يذيق السجناء أشد أنواع العذاب، وظلوا يرددون على أسماع الحراس أن معتقلي جوانتانامو هم أسوأ من على وجه الأرض، فهم يعملون تحت إمرة أسامة بن لادن، وسوف يقتلونك في أول فرصة يلتقونك فيها».

على الرغم من ذلك كان هولدبروكس يحسن معاملتهم، ويخفف عنهم ما يلاقونه من التعذيب، حتى لقبه المعتقلون بـ «الحارس اللطيف»، بل اتهمه بعض زملائه بالخيانة، وكان من أكثر ما يجذبه فى هؤلاء المساجين هو الابتسامة، التى ارتسمت على وجوههم، وهم يرددون دومًا: (الحمد لله).

وفي إحدى الليالى ذهب يواسي أحد المعتقلين، وكان المعتقل رقم٥٩٠، وهو مغربي مسلم، واسمه أحمد الراشدي، بعد أن تحدث معه أصيب هولدبروكس بصدمة ثقافية، لقد كانت أول مرة يعرف فيها الإسلام الحقيقي، ليس الإسلام الذي شوهت أمريكا صورته، فتعود كل ليلة، بدلًا من أن

يقضي الليل مع أصدقائه في اللهو كان يذهب إلى الراشدي، ويتعلم منه..

اشترى كتبًا عن الإسلام، وبدأ يقرأ ويقرأ، حتى أتى في أحد الأيام، وأحضر قلمًا وورقة صغيرة، ودفع بهما من خلال طاقة حديدية إلى داخل زنزانة الراشدي، وطلب منه أن يكتب له الشهادتين، كما تنطقان بالعربية، ولكن بالحروف الإنجليزية، وهناك في جوانتانامو نطق الشهادتين بأعلى صوته، وسمى نفسه (مصطفى عبدالله) وتحولت حياته من رقص وموسيقا ووشم وعلاقات محرمة إلى الصلاة وذكر الله وحفظ القرآن.

ترك هولدبروكس الخدمة في الجيش الأمريكي عام ٢٠٠٥، ويعمل مستشار عضوية لمركز تمب الإسلامي. لكن حتى بعد تركه لجوانتانامو لم يستطع ذهنه أن يطرد صور التعذيب التي تعرض لها المعتقلون، فصارت كابوسًا يطارده حتى الآن.

آية: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾.



سياسة حاكم

يُحكى أن أحد ملوك القرون الوسطى كان يحكم شعبًا حرًّا كريمًا، وكان هذا الشعب على الرغم من طيبته وبساطته وعلاقاته الطيبة لا يسكت على باطل أبدًا، ولا يدع الملك أو أي وزير من وزرائه يظلمون أحدًا منهم، فإذا ظُلم أحدهم وقفوا وقفة رجل واحد، حتى يُرد الظلم عن أخيهم.

أخذ الملك في حيرته يسأل وزراءه عن الحل، وكيف له أن يحكم هذا البلد كما يريد، فخرج من وزرائه رجل داهية، فأشار عليه باتباع سياسة يسميها سياسة البيض المسروق، فما تلك السياسة؟

نادى في الناس بأن الملك يريد من كل رب أسرة خمس بيضات من أي نوع، فقام الناس بجمع البيض والذهاب به إلى قصر الحاكم، وبعد يومين نادى المنادي أن يذهب كل رجل لأخذ البيض الذي أعطاه، فاستجاب الناس، وذهب كل منهم لأخذ ما أعطاه[١]، وهنا وقف الوزير والملك وحاشيتهم، وهم يتابعون الناس في أثناء أخذ البيض، ترى ما الذي وجدوه؟

---

(١) أخرجه مسلم (رقم ١٠١٥).



وجدوا كل واحد تمتد يده ليأخذ البيضة الكبيرة التي ربما لم يأتِ بها، هنا وقف الوزير ليعلن للملك أنه الآن فقط يستطيع أن يفعل بهم ما أراد، فقد أخذ كثير منهم حاجة أخيه وأكل حرامًا، ونظر كل منهم لما في يد الآخر، فلن يتجمعوا بعدها أبدًا.

لا عجب في ذلك، فقد أشار الرسول الكريم ﷺ لِمن كان مأكله حرام وملبسه حرام ومشربه حرام، ويدعو الله فأنّى يستجاب له.

من هنا لجأت بعض الحكومات إلى انتهاج السياسة نفسها، تجويع الناس ليقوموا باللجوء إلى المال الحرام، ولو في أبسط صوره، وجعلها طبقات، فينشأ الحقد والحسد بين الناس، وهو ما يجعلهم يستطيعون حكم شعوبهم، وعندما مر الزمن، وقامت فئة واعية، تبصر ما فعله الملك بشعبه، أخذوا يثورون، ويطالبون بحق الشعب في الحياة الطيبة، فلجأ الملك للوزير الذي أشار عليه بسياسة جدول الضرب، فما هذه السياسة؟

أن يستخدم الملك العمليات الحسابية: الجمع، والطرح، والضرب، والقسمة، في تعامله مع هذه الفئة التي تطالب بحقوقها وحقوق الوطن كيف؟ أولًا يبدأ بعملية الجمع، فيجمع ما استطاع منهم حوله بأن يتقلدوا المناصب،

ويأخذوا الأموال والأوسمة، فينسوا القضية بعد أن يكسر الملك عيونهم بفضله عليهم.

أما الفئة التي تظل على موقفها، وبالضرورة هم قلة، فيلجأ الملك للطرح، فيطرحهم أرضًا بتلفيق القضايا واستخدام نقطة الضعف في كل واحد منهم، وبذلك يتوارون عن الأنظار، إما خجلًا أو خلف غياهب السجون، شرط أن تكون كل القضايا بعيدة عن خلافهم مع الملك، أي يكون التدبير محكمًا ونظيفًا.

أما من تبقى وهم قلة القلة، فإذا خرجوا يهتفون، ويندون، فالرأي أن يلجأ للعلامة الثالثة من العلامات الحسابية، وهي الضرب، فضربُهم وسحلُهم والتنكيلُ بهم في الطرقات، سوف يخيف الباقين من تكرارها.

هنا تساءل الملك: ترى ما الذي سيكون عليه حال الشعب؟ فضحك الوزير، قائلًا: يا سيدي، لم يتبقَّ للشعب في معادلتنا سوى علامة واحدة هي القسمة، قال الملك: وماذا تعني؟

فأجاب الوزير: أعنى أنه لن يكون أمامهم سوى أن يخضعوا، ويفلسفوا عجزهم بقولهم: قسمتنا هكذا! ربنا على الظالم! يعني على جلالتك! وهذا أمر مؤجل ليوم القيامة.





الهند وعبد الكلام

عام ٢٠٠٧ أطلقت الهند - الدولة النووية التي لا يعرف عنها البعض إلا أنها مصدر للأرز البسمتي والحلاقين - أولى مركباتها نحو الفضاء، واللافت أن المركبة الفضائية والصاروخ؛ بل حتى العلماء والباحثين وعمال الشاي والقهوة في قاعدة (إندرا براديش) كلهم هنود ١٠٠٪ أي إنها عملية (هنودة) على وزن (سعودة) مكتملة الجوانب، وليس كما نفعل نحن العرب عندما نذهب (بفلوسنا) إلى قاعدة (بايكونور) في كازاخستان، أو إلى قاعدة (غويانا الفرنسية)، لتناول المرطبات والاستمتاع بالفرجة على إطلاق قمرنا الصناعي الذي ليس له من العروبة إلا اسمه، والأدهى أنه لا يضيف للعالم إلا المزيد من (الكليبات) التافهة وقنوات الشات والدردشة الرخيصة.

الهند التي يتلذذ بعضنا بالتقليل من شأنها، حين يضرب بها المثل في (القرقرة) وكثرة الكلام، والتي بدأت برنامجها الفضائي عام ١٩٦٣ حين أسست لجنة الهند للأبحاث الفضائية (INSCOSPAR). ستبقي مركباتها في الفضاء عامين، تجري خلالهما تجارب وأبحاثًا غير مسبوقة، تدرس فيها طبقات الجو، وسيبحث علماؤها عن مصادر طاقة فضائية بديلة للبترول العربي، إضافة إلى آلاف الأبحاث التي ستفيد كل البشرية دون استثناء.



وفي حين سنكون نحن السعوديين منشغلين خلال العشر سنوات القادمة باجترار قضايانا المزمنة (قيادة المرأة للسيارة.. الصراع الفكري السعودي المعروف.. تصريف مياه السيول.. عدم تأهل المنتخب لكأس العالم ٢٠٢٠) فإن الهنود – الذين يصورهم البعض بأنهم شعب محدود الفهم – سينشغلون في السنوات العشر نفسها بإطلاق ١٢ رحلة فضائية كل عام، أي ما مجموعه ١٢٠رحلة، وستكون بلادهم من أكثر الدول تقديماً لخدمة «إطلاق الأقمار الصناعية»، بعد أن نجحت عام ٢٠٠٨ في إطلاق «١٠» أقمار صناعية بصاروخ واحد. كما سيتمكنون –كما هو معلن– من إطلاق أول رحلة مأهولة إلى الفضاء بحلول ٢٠١٦.

من يعرف اهتمام الهند بالعلم والعلماء لا يستغرب تحقيقها كل هذا التقدم المذهل، فالدكتور أبوبكر عبدالكلام أحد أبرز علماء الهند أصبح الرئيس الحادي عشر للدولة منذ عام ٢٠٠٢ حتى ٢٠٠٧ تقديرًا لدوره العلمي في البرنامج النووي والصاروخي الهندي، وذلك ما دفع عالماً عربيًّا كبيراً هو فاروق الباز إلى أن يقول: «حين كبرت، وعرفت حقيقة الهند تمنيت أن أكون هنديًّا». وقد جمع (عبدالكلام) كثيرًا من تصوراته في كتابه «الهند ٢٠٢٠» الذي وضع فيه مخططًا

لتطوير الهند، وتحويلها إلى قوة عظمى تقوم على المعرفة بحلول عام ٢٠٢٠.

إذا كان (عبدالكلام) والساسة الهنود قد نجحوا في تحويل بلادهم من واحدة من أكثر بقاع الأرض فقراً وازدحاماً وجهلاً وخرافة إلى دولة حديثة تنافس على الصدارة في علوم الفضاء وتقنية الأقمار الصناعية على الرغم من شح الموارد، فإن المفهوم العربي لعلوم الفضاء والأقمار الصناعية لا يزال يراوح بين إنشاء قنوات الردح والشتائم التي تفرق أكثر مما تجمع. وقنوات (الشخلعة) التي لا تقدم إلا التافه والهابط من البرامج والأغاني والمسلسلات الرخيصة. وكلها لم تزد العرب إلا غرقًا في بحور الجهل والغفلة والإخفاق والعنصرية البغيضة.



محمد العوضي

في اليوم الرابع من عيد الفطر الماضي كنت في مجمع الحمرة مول بالفروانية، فأدركتني صلاة المغرب، فذهبت للصلاة في الدور الثالث في الزاوية الصغيرة التي تقع بين عيادة الميدان للأسنان وسفريات الفروانية.

كنت في الصف الثالث، كانت قراءة القرآن تتلى بصوت جميل وبأداء سليم، على الرغم من أن الذي يصلي بنا ليس عربيًّا، والعجمة ظاهرة على لسانه، انتهت الصلاة، وإذا بالإمام شاب حنطاوي البشرة نحيل الجسد، متوسط القامة، غطت خده لحية خفيفة، جلس بعد الصلاة بهدوء يسترخي من عناء الدنيا بالتسبيح، كان يصلي بجواري طبيب الأسنان الاستشاري الدكتور عبدالله المصري وجمع من الأطباء، ومدير لسفريات الفروانية وبعض رجال التجارة، فاقتربت من الذي صلى بنا وسلمت عليه، وسألته: ما وظيفتك؟ فقال: زبال، وقد بدا ذلك ظاهراً من البلسوت البيجي الذي يرتديه هو وأصحابه، قلت له: أين تعلمت تلاوة القرآن؟ فقال: تعلمته، وحفظته في مدينة كيرلا بالهند، واسترسلت معه في الحديث عن معاشهم وسكنهم، وشركتهم، وأوضاعهم، كان الدكتور عبدالله المصري ينتظرني، فقلت له: لا تعجب يا دكتور، إنسان فقير وغريب هاجر آلاف الأميال من أجل

دنانير معدودة، من أجل تأمين الرزق له ولمن يعول، والتبسط مع هؤلاء ومواساتهم عبادة لا تقل عن الصلاة، ولقد أسرني منظر الصلاة ومعانيها الاجتماعية، زبال فقير أعجمي يؤم ويقود مواطنين ودكاترة وأطباء ومسؤولين، ليتنا نفهم الصلاة، وندرك ثمرتها الاجتماعية والأخلاقية.

وقفة: أسرد هذا المشهد؛ لأعزز قيمة التواضع والمبدأ القرآني: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ﴾ في ظل ازدياد معدلات التعصب، وانهيار الولاء للحق والمبادئ واستبدال ذلك بالالتفاف الأعمى حول الانتماءات، لمجرد أنها انتماءات، لقد رأيت في هذا الزبال الهندي من الصدق والإخلاص ما يفوق آلاف المواطنين من طول البلاد وعرضها، لا فرق بين أبناء بطنها أو أولاد أصابعها أو منتجات «وسطها»، فالقيم لا علاقة لها بالأسماء، وإنما بما تربى عليه الإنسان، وما استقر عليه خلقه وضميره. فالعبرة بالسلوك، وليس بالدجل بالشعارات.



نيل الحرية

حكم أحد الملوك على شخصين بالإعدام؛ لجناية ارتكباها، وحدد موعد تنفيذ الحكم بعد شهر من تاريخ إصداره، وقد كان أحدهما مستسلمًا خانعًا يائسًا، قد التصق بإحدى زوايا السجن باكيًا منتظرًا يوم الإعدام.

أما الآخر فكان ذكيًّا لماحًا، طفق يفكر في طريقة ما لعلها تنجيه، أو على الأقل تبقيه حيًّا مدة أطول، جلس في إحدى الليالي متأملًا في السلطان، وفي مزاجه، وماذا يحب، وماذا يكره، فتذكر مدى عشقه لحصان عنده، حيث كان يمضي جل أوقاته مصاحبًا لهذا الحصان، وخطرت له فكرة خطيرة، فصرخ مناديًا السجان طالبًا مقابلة الملك لأمر خطير، وافق الملك على مقابلته، وسأله عن هذا الأمر الخطير؟ قال له السجين: إنه باستطاعته أن يعلم حصانه الطيران خلال سنة بشرط تأجيل إعدامه سنة، فوافق الملك، حيث تخيل نفسه راكبًا على الحصان الطائر الوحيد في العالم، سمع السجين الآخر بالخبر، وهو في قمة الدهشة، قائلًا له: أنت تعلم أن الخيل لا يطير، فكيف تتجرأ على طرح مثل تلك الفكرة المجنونة؟!

قال له السجين الذكي: أعلم ذلك، ولكنني منحت نفسي أربع فرص محتملة لنيل الحرية:

أولها، أن يموت الملك خلال هذه السنة.

وثانيها، لربما أنا أموت، وتبقى ميتة الفراش أعز من الإعدام.

والثالثة، أن الحصان قد يموت.

والرابعة، قد أستطيع أن أعلم الحصان الطيران!

في كل مشكلة تواجهك لا تيأس، ولا تقنط، وترضخ لحل وحيد، أعمل عقلك واشحذ ذهنك، وأوجد عشرات الحلول، فلعل في أحدها يكون النجاح والتفوق، جرب فلن تخسر شيئًا.



أخرج الدجاجة

يروي أحد معلمي اللغة العربية، قائلاً: في إحدى السنوات كنت ألقي الدرس على الطلاب أمام اثنين من رجال التوجيه لدى الوزارة.. اللذين حضرا لتقييمي، وكان هذا الدرس قبيل الاختبارات النهائية بأسابيع قليلة!

وفي أثناء إلقاء الدرس قاطعه أحد الطلاب، قائلاً: يا أستاذ، (اللغة العربية) صعبة جدًّا!

وما كاد هذا الطالب أن يتمّ حديثه، حتى تكلم كل الطلاب بالكلام نفسه، وأصبحوا كأنهم حزب معارضة!

فهذا يتكلم هناك، وهذا يصرخ، وهذا يحاول إضاعة الوقت، وهكذا.

سكت المعلم قليلاً، ثم قال: حسناً لا درس اليوم، وسأستبدل بالدرس لعبة!

فرح الطلبة، وتجهم الموجهان، فرسم هذا المعلم على السبورة زجاجة ذات عنق ضيق، ورسم بداخلها دجاجة، ثم قال: من يستطيع أن يخرج هذه الدجاجة من الزجاجة، بشرط ألا يكسر الزجاجة، ولايقتل الدجاجة؟! فبدأت محاولات الطلبة التي باءت بالفشل جميعها، وكذلك

الموجهان، فقد انسجما مع اللغز، وحاولا حله، ولكن باءت كل المحاولات بالفشل.

فصرخ أحد الطلبة من آخر الفصل يائساً: يا أستاذ، لا تخرج هذه الدجاجة إلا بكسر الزجاجة أو قتل الدجاجة، فقال المعلم: لا تستطيع خرق الشروط، فقال الطالب متهكماً:

إذاً يا أستاذ، قل لمن وضعها بداخل تلك الزجاجة أن يخرجها كما أدخلها، ضحك الطلبة، ولكن لم تدم ضحكتهم طويلاً، فقد قطعها صوت المعلم، وهو يقول: صحيح، صحيح، هذه هي الإجابة!

من وضع الدجاجة في الزجاجة هو وحده من يستطيع إخراجها، كذلك أنتم، وضعتم مفهوماً في عقولكم، أن (اللغة العربية) صعبة، فمهما شرحت لكم وحاولت تبسيطها فلن أفلح إلا إذا أخرجتم هذا المفهوم بأنفسكم دون مساعدة، كما وضعتموه بأنفسكم دون مساعدة!

يقول المعلم: انتهت الحصة، وقد أعجب بي الموجهان كثيراً.

وتفاجأت بتقدم ملحوظ للطلبة في الحصص التي بعدها.. بل وتقبلوها قبولاً سهلاً يسيراً!!

عبرة: لا شيء في هذه الدنيا صعب، إذا توكلت على الله أولاً، وبنيت مفهوماً في عقلك أنه لا صعب إلا ما جعلته صعباً بإرادتك، وبإرادتك أيضاً أن تجعله سهلاً، فتنجزه دونما أي عوائق أو مشكلات، لذلك:

كلنا نستطيع أن نخرج الدجاجة من الزجاجة، بعد التوكل على الله أولاً: ثم بكسر القناعات السلبية.





طبيبة في عيادتها

عجوز في الستينيات بصحبة ابنها الثلاثيني، لاحظتُ حرصه الزائد عليها، حتى فهو يمسك يدها، ويصلح لها عباءتها، ويمد لها الأكل والماء، بعد سؤالي عن المشكلة الصحية وطلب الفحوصات، سألته عن حالتها العقلية؛ لأن تصرفاتها لم تكن موزونة، ولا ردودها على أسئلتي، فقال: إنها متخلفة عقليًّا منذ الولادة. تملكني الفضول، فسألته، فمن يرعاها؟ قال: أنا، قلت: نعم الابن، ولكن من يهتم بنظافة ملابسها وبدنها؟ قال: أنا أدخلها الحمام، وأحضر ملابسها، وأنتظرها إلى أن تنتهي، أصفّ ملابسها في الدولاب، وأضع المتسخ في الغسيل، وأشتري لها الناقص من الملابس: قلت: ولم لا تحضر لها خادمة؟ قال: لأن أمي مسكينة، مثل الطفل لا تشتكي، وأخاف أن تؤذيها الشغالة، دهشت من كلامه ومقدار بره، وقلت: وهل أنت متزوج؟ قال: نعم، الحمد لله، ولدي أطفال.قلت: إذن زوجتك ترعى أمك؟ قال: هي لا تقصر، وتطهو الطعام، وتقدمه إليها، وقد أحضرت لزوجتي خادمة؛ حتى تعينها. ولكن أنا أحرص أن آكل معها؛ حتى أطمئن عليها من أجل السكر!

زاد إعجابي وأمسكت دمعتي، واختلست نظرة إلى أظفارها، فرأيتها قصيرة ونظيفة. قلت: أظفارها؟ قال:

قلت لك يا دكتورة: هي مسكينة، طبعًا أنا، نظرت الأم إليه، وقالت: متى تشتري لي بطاطس؟ قال: أبشري الآن أذهب بك إلى البقالة، طارت الأم من الفرح، وأخذت تردد: الآن، الآن. التفت الابن، وقال: والله إني أفرح لفرحتها أكثر من فرحة عيالي الصغار، تظاهرت بأني أكتب في الملف؛ حتى لا يظهر أني متأثرة، وسألت: ما عندها غيرك؟ قال: أنا وحيدها؛ لأن الوالد طلقها بعد شهر. قلت: أجل، رباك أبوك، قال: لا، جدتي كانت ترعاني، وترعاها، وتوفيت، الله يرحمها، وعمري عشر سنوات. قلت: هل رعتك أمك في مرضك أو تذكر أنها اهتمت فيك؟ أو فرحت لفرحك أو حزنت لحزنك؟ قال: يا دكتورة، أمي مسكينة طوال عمري، منذ أن كان عمري عشر سنين، وأنا أتولى أمرها، وأخاف عليها، وأرعاها.

أمسك يد أمه، وقال: هيا، فلنذهب إلى البقالة. قالت: ألا نذهب إلى مكة؟ استغربت، قلت لها: لماذا تريدين الذهاب إلى مكة؟ قالت: أريد أن أركب الطائرة، قلت له: لا حرج عليها، لو لم تعتمر، فلماذا تذهب بها، وتضيق على نفسك؟ قال رب العالمين فيما إذا ذهبت من دونها.

خرجا من العيادة، وأقفلت بابها، وقلت للممرضة: أحتاج إلى الراحة، بكيت من كل قلبي، وقلت في نفسي: هذا،

وهي لم تكن له أمًّا..فقط حملت، وولدت، لم تربي، لم تسهر الليالي، لم تمرض، لم تدرس، لم تتألم لألمه، لم تبكِ لبكائه، لم يجافها النوم خوفًا عليه...لم... ولم... ولم.... ومع كل ذلك كل هذا البر!

تذكرت أمي، وقارنت حالي بحاله، فكرت في أبنائي، هل سأجد ربع هذا البر؟ مسحت دموعي، وأكملت عيادتي، وفي القلب غصة.

آية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾.



زوجة الحجاج

تزوج الحجاج امرأة اسمها هند على الرغم منها ومن أبيها، وذات مرة، وبعد مرور سنة جلست هند أمام المرآة تندب حظها، وهي تقول:

وما هند إلا مهرة عربية

سليلة أفراس تحللها بغل

فإن أتاها مهر فلله درها

وإن أتاها بغل فمن ذلك البغل

وقيل: إنها قالت:

لله دري مهرةٌ عربيةٌ

عُمِيت بليل إذ تَفخذها بغلُ

فإن ولدت مهراً فلله درها

وإن ولدت بغلاً فقد جاد به البغل

فسمعها الحجاج، فغضب، فذهب إلى خادمه، وقال له: اذهب إليها، وبلغها أني طلقتها في كلمتين فقط، لو زدت ثالثة قطعت لسانك، وأعطِها هذه العشرين ألف دينار، فذهب إليها الخادم، فقال: كنتِ، فبنتِ.

كنـتِ، يعني كنت زوجـة، فبنتِ، يعني أصـبحتِ طليقة، ولكنها كانت أفصـح من الخـادم، فقالت: كنـا فما فرحنا، فبنا فما حزنا.

وقالت: خذ هذه العشـرين ألف دينار لك بالبشـرى التي جئـت بهـا، وقيـل: إنها بعـد طلاقها مـن الحجـاج لم يجرؤ أحـد علـى خطبتها، وهـي لم تقبل بمن هو أقـل من الحجاج، فأغرت بعض الشـعراء بالمال، فامتدحوها، وامتدحوا جمالها عنـد عبدالملك بن مـروان، فأعجب بها، وطلـب الزواج منها، وأرسـل إلى عامله على الحجاز؛ ليخَبرها له، أي يوصـفها له، فأرسـل له يقول: إنها لا عيب فيها غـير أنها عظيمة الثديين، فقـال عبدالملك: وما عيب عظيمة الثديين؟! تدفئ الضـجيع، وتشبع الرضيع، فلما خطبها وافقت، وبعثت إليه برسالة تقول: أوافق، بشـرط أن يسـوق البغل أو الجمل من مكاني هذا إليك في بغداد الحجاج نفسه، فوافق الخليفة، فأمر الحجاج بذلك، فبينمـا الحجاج يسـوق الراحلة إذا بها توقـع من يدها ديناراً متعمـدة ذلك، فقالـت للحجاج: يا غلام لقـد وقع مني درهم فأعطنيه، فأخذه الحجاج، فقال لها: إنه دينار، وليس درهماً.

فنظرت إليه وقالت: الحمد لله الذي أبدلني بدل الدرهم دينارًا، ففهمها الحجاج، وأسرها في نفسه، أي إنها تزوجت خيرًا منه.

وعند وصولهما تأخر الحجاج في الإسطبل، والناس يتجهزون للوليمة، فأرسل إليه الخليفة يطلب حضوره، فردّ عليه: نحن قوم لا نأكل فضلات بعضنا أو أنه قال: ربتني أمي على ألا آكل فضلات الرجال.

ففهم الخليفة، وأمر أن تدخل زوجته بأحد القصور، ولم يقربها إلا أنه كان يزورها كل يوم بعد صلاة العصر، فعلمت بسبب عدم دخوله عليها، فاحتالت لذلك، وأمرت الجواري أن يخبروها بقدومه؛ لأنها أرسلت إليه أنها في حاجة إليه في أمر ما، فتعمدت قطع عقد اللؤلؤ عند دخوله، ورفعت ثوبها لتجمع فيه اللآلئ، فلما رآها عبدالملك أثارته روعتها وحسن جمالها، وتندم لعدم دخوله بها لكلمة قالها الحجاج، فقالت، وهي تنظم حبات اللؤلؤ: سبحان الله.

فقال عبدالملك، مستفهمًا: لم تسبحين الله؟

فقالت: إن هذا اللؤلؤ خلقه الله لزينة الملوك.

قال: نعم.

قالت: ولكن شاءت حكمته ألا يستطيع ثقبه إلا الغجر.

فقال متهللًا: نعم، والله صدقتِ، قبح الله من لامني فيك، ودخل بها من يومه هذا، فغلب كيدها كيد الحجاج.





الفرار من الفتنة

تروي لنا كتب السـير أن محمد بن أبي بكرٍ، حينما قفز علـى بيـت عثمان بن عفـان , أثناء حصـاره آخـذاً بلحيته، فقـال لـه عثمان: «لـو رأى أبـوك هذا ما سـره، وأمـام وقع هـذه الكلمة تـراءت لمحمد صـورة أبيه، ومودتـه لعثمان بن عفـان , ، فتذكر عظم ما أقدم عليه مـن جرم، فما كان منه إلا التوبـة السـريعة، والفـرار من بيت عثمـان، والتخلي عن الفتنة وأهلها. هذا الموقف نذكره اليوم، ونحن نرى كثيرًا من النـاسـ يتمادى في غيه وظلمه، دون رادع مـن دين، أو تأنيب من ضمير.

تأمَّـل: نأمل منك أن تتخذ الموقف نفسـه الذي اتخذه محمد ابـن أبي بكـر، وتتمثل مواقـف أولئك الأبطـال النوادر في شموخهم وإبائهم.



فن التغافل

دخل رجل على الأمير المجاهد قتيبة بن مسلم الباهلي، فكلمه في حاجة له، ووضع نصل سيفه على الأرض، فجاء على إصبع رجلِ الأمير، وجعل يكلمه في حاجته، وقد أدمى النصلُ إصبعه، والرجل لا يشعر، والأمير لا يظهر ما أصابه، وجلساء الأمير لا يتكلمون هيبة له، فلما فرغ الرجل من حاجته، وانصرف دعا قتيبة بن مسلم بمنديل، فمسح الدم من إصبعه وغسله، فقيل له: ألا نحَّيت رجلك أصلحك اللّه، أو أمرت الرجل برفع سيفه عنها؟ فقال: خشيت أن أقطع عنه حاجته.

تعليق: فلقد كان في قدرة الأمير أن يأمره بإبعاد نصل سيفه عن قدمه، وليس هناك من ملامة عليه، أو على الأقل أن يبعد الأمير قدمه عن نصل سيفه، ولكنه أدب التغافل؛ حتى لا يقطع على الرجل حديثه، فبمثل هذه الأخلاق ساد أولئك الرجال.

من كان يرجو أن يسود عشيرة
فعليه بالتقوى ولين الجانب

ويغض طرفا عن إساءة من أساء
ويحلم عند جهل الصاحب



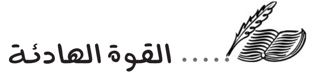
أدب التغافل

من المواقف الجلية في أدب التغافل، ما ذكره ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح، قال: إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له، كأن لم أسمعه قط، وقد سمعته قبل أن يولد.

وقال ابن الأثير، متحدثًا عن صلاح الدين الأيوبي: وكان صبورًا على ما يكره، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه، يسمع من أحدهم ما يكره، ولا يعلمه بذلك، ولا يتغير عليه. وبلغني أنه كان جالسًا، وعنده جماعة، فرمى بعض المماليك بعضًا بسرموز- يعني: بنعل- فأخطأته، ووصلت إلى صلاح الدين، فأخطأته، ووقعت بالقرب منه، فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه؛ ليتغافل عنها.

وقد قال عيسى ، للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا، وقد كشفت الريح ثوبه عنه؟ قالوا: نستره، ونغطيه، قال: بل تكشفون عورته، قالوا: سبحان الله من يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع بالكلمة في أخيه، فيزيد عليها، ويشيعها بأعظم منها.

وقال عمرو بن عثمان المكي: المروءة التغافل عن زلل الإخوان. وعن أبي بكر بن عياش قال: قال كسرى لوزيره: ما الكرم؟ قال: التغافل عن الزلل.



أقـوال: قــالﷺ: «**إن الله يحـب الرفـق في الأمـر كلـه**»[1] ففي ذلك استحباب تغافل أهل الفضل عن سفه المبطلين إذا لم يترتب عليه مفسدة.

وقال الشافعي: الكيس العاقل هو الفطن المتغافل.

وقال جعفر بن محمد الصادق: عظموا أقداركم بالتغافل.

وقال المهاجري: قال أعرابي لرجل: قد استدللت على عيوبك بكثرة ذكرك لعيوب الناس؛ لأن طالبها متهم بقدر ما فيه منها.

وقال الإمام أحمد بن حنبل: تسعة أعشار حسن الخلق في التغافل.

والحسن البصري يقول: ما زال التغافل من فعل الكرام.

وقال سفيان: ما زال التغافل من شيم الكرام.

أحـب مـن الأخـوان كـل مـواتـي

وكـل غضيض الطرف عـن هـفـوات



(١) أخرجه البخاري (رقم ٦٩٢٧) ومسلم (رقم ٢١٦٥).

التعامل مع الآخرين

وقف «جان» في المحطة مزهوًّا ببذلته العسكرية الأنيقة، وراح يراقب وجوه الناس، وهم ينحدرون من القطار واحدًا بعد الآخر.

كان في الحقيقة يبحث عن وجه المرأة التي يعرفها قلبه، لكنه لم يَرَ وجهها قط.

قالت له: إنها ستعلق على صدرها وردة حمراء؛ ليتمكن من أن يميزها من بين مئات المسافرين.

لقد بدأت معرفته بها منذ ثلاثة عشر شهرًا، كان ذلك في المكتبة العامة في فلوريدا، عندما اختار كتابًا، وراح يقلب صفحاته.

لم يشده ما جاء في الكتاب بقدر ما شدته الملاحظات التي كتبت بقلم الرصاص على هامش كل صفحة.

أدرك من خلال قراءتها أن كاتبها إنسان مرهف الحس دمث الأخلاق، وشعر بالغبطة، عندما قرأ اسمها مكتوبًا على الغلاف بوصفها السيدة التي تبرعت للمكتبة بالكتاب.

ذهب إلى البيت، وراح يبحث عن اسمها، حتى عثر عليه في كتاب الهواتف، فكتب لها، ومنذ ذلك الحين بدأت بينهما علاقة دافئة، وتوطدت عبر الرسائل الكثيرة التي تبادلاها.



خلال تلك المدة، اُستدعي للخدمة، وغادر أمريكا متوجهًا إلى إحدى القواعد العسكرية التي كانت تشارك في الحرب العالمية الثانية.

بعد غياب دام عامًا، عاد إلى فلوريدا، واستأنف علاقته بتلك السيدة التي اكتشف فيما بعد أنها في مقتبل العمر، وتوقع أن تكون في غاية الجمال.

اتفقا على موعد لتزوره، وبناء على ذلك الموعد راح في الوقت المحدد إلى محطة القطار المجاورة لمكان إقامته.

شعر بأن الثواني التي مرت كانت أيامًا، وراح يمعن في كل وجه على حدة.

لمحها قادمة باتجاهه بقامتها النحيلة، وشعرها الأشقر الجميل، وقال في نفسه: هي كما كنت أتخيلها، يا إلهي، ما أجملها!

شعر بقشعريرة باردة تسللت عبر مفاصله، لكنه استجمع قواه، واقترب بضع خطوات في اتجاهها مبتسمًا وملوحًا بيده.

كاد يُغمى عليه، عندما مرّت من جانبه، وتجاوزته، ولاحظ خلفها سيدة في الأربعين من عمرها، امتد الشيب ليغطي معظم رأسها، وقد وضعت وردة حمراء على صدرها، تمامًا كما وعدته حبيبته أن تفعل.

شعر بخيبة أمل كبيرة: «يا إلهي، لقد أخطأت الظن! توقعت أن تكون الفتاة الشابة الجميلة التي تجاوزتني هي الحبيبة التي انتظرتها أكثر من عام، لأفاجأ بامرأة في عمر أمي، لقد كذبت عليّ».

أخفى مشاعره، وقرر في ثوانٍ أن يكون لطيفًا؛ لأنها طوال أكثر من عام، وبينما كانت رحى الحرب دائرة بعثت الأمل في قلبه على أن يبقى حيًّا.

استجمع قواه، وحياها بأدب، ومدّ يده مصافحًا: أهلًا، أنا الضابط «جان» وأتوقع أنك السيدة مينال!

قال يحدث نفسه: إن لم يكن من أجل الحب، لتكن صداقة!، ثم أشار إلى المطعم الذي يقع على إحدى زوايا المحطة: تفضلي؛ لكي نتناول طعام الغداء معًا.

فردت: يابني، أنا لست السيدة مينال، ولا أعرف شيئًا عما بينكما. ثم تابعت تقول: قبيل أن يصل القطار إلى المحطة اقتربت مني تلك الشابة الجميلة التي كانت ترتدي معطفًا أخضر، ومرت بقربك منذ لحظات، وأعطتني وردة حمراء وقالت: سيقابلك شخص في المحطة، وسيظن أنك أنا. إن كان لطيفًا معك، ودعاك إلى الغداء قولي له: إنني أنتظره في ذلك المطعم، وإن لم يَدّعُكِ اتركيه وشأنه، لقد قالت لي: إنها تحاول أن تختبر إنسانيتك ومدى لطفك.

عانقها شاكراً، وركض في اتجاه المطعم!

ظن ذلك الشاب في أعماقه أن تلك المرأة التي تبدو في عمر والدته قد غشته، ولم تكن الفتاة التي بنى أحلامه على لقائها، ومع ذلك لم يخرج عن أدبه، بل ظل محتفظًا برباطة جأشه. تذكر كلماتها التي شجعته على أن يبقى حيًّا ومتفائلًا خلال الحرب، وحاول في لحظة أن يتناسى غشها، فكان لطيفًا ودعاها إلى تناول الغداء.

تأمل: حقًّا، إن اللحظات الحرجة في حياتنا هي التي تكشف معدننا وطيبة أخلاقنا. الطريقة التي نتعامل بها مع الحدث، وليس الحدث في حدّ ذاته، هي التي تحدد هويتنا الإنسانية ومدى التزامنا بالعرف الأخلاقي.





الكلب والذئب

الكلب مستأنس، وقدم خدمات كثيرة للبشر على مر العصور، يحرس صاحبه وعائلته، ويحرس ممتلكاته، يقود الماشية، ويحرسها، ولا يعتدي عليها، حتى لو مات جوعاً، مخلص ومتفانٍ ومُطيع إلى أبعد الحدود، شجاع، ومستعد للموت دفاعاً عن صاحبه، يسلي الأطفال وصاحبه، يقوم بالعروض الفنية (السيرك) والعروض الترفيهية الاستعراضية، يدخل المسابقات التنافسية والجمالية، يساعد الأعمى على معرفة الطريق، ويساعده في المسير.

وقد استخدم الكلب للقنص، سواء للتسلية أو لسد الحاجة، استخدمته الجيوش في القتال، واستخدمه البعض للتنقل، وتستخدمه الأجهزة الأمنية للكشف عن المخدرات والمتفجرات، دُرّب للمساعدة على ضبط النظام ومحاربة الجريمة.

أما الذئب، فلم يستأنس أبداً، وإن حصل، وَرُبِّيَ «نادراً» فلا يؤمن غدره، مهما طال الزمن، أناني، انعزالي، انتهازي جبان، لا يدخل في مواجهة إلا إذا ضمن الفوز فيها، يقتل الإنسان، خصوصاً إذا كان أعزل أو ضعيفًا أو منعزلًا وحده، يقتل قطيع الماشية بالكامل ليأكل واحدة، بعد كل هذا، من تتوقع حظي بالمديح والتبجيل في ثقافتنا؟

إنه الذئب! نعم، الذئب، فسمّينا أولادنا وعوائلنا باسمه، ووصفنا لإنسان بالذئب يُعدّ قمة المديح، في حين بينما وصفه بالكلب يُعدّ قمة الإهانة، ولا يغسلها إلا الدم.

وقد تغنّى بالذئب المطربون، وسطر له الأدباء الروايات، وتغزل به الشعراء، فنسجوا له أروع القصائد في وصف بطولاته وعزته وشهامته.





الكلب والجزار

يحكى أن جزارًا كان ينظر نحو نافذة محله، فإذا بكلب صغير يدخله، فسارع إلى طرده. وبعد مدة عاد الكلب مرة أخرى، فنهره الجزار بشدة، ولكنه فوجئ حينما رأى ورقة صغيرة في فم الكلب كتب عليها: لو تكرمت أريد فخذًا من اللحم و١٢ قطعة من النقانق! وكان الكلب يحمل في فمه أيضًا المبلغ المطلوب! دهش الجزار لما يراه، لكنه استجاب لما طلب منه، وعلى وجهه علامات الذهول، ووضع الطلب في كيس علق طرفه في فم الكلب.

ولأن وقت إغلاق المحل قد أزِف، فقد قرر الجزار أن يغلق محله، ويتبع هذا الكلب العجيب. وواصل الكلب مسيره في الطرقات يتبعه الجزار خفية، وكلما وصل الكلب إلى نقطة عبور مشاة وضع الكيس أرضًا، وقفز ليضغط بفمه على زر إشارة العبور، وينتظر بكل هدوء، ثم يعبر بعد إضاءة الإشارة باللون الأخضر. وعندما وصل الكلب إلى محطة للحافلات بدأ ينظر نحو لوحة مواعيد وصول الحافلات، بينما الجزار يراقبه باستغراب، بل ازداد ذهوله عندما قفز الكلب إلى الحافلة فور وقوفها. لحقه الجزار – من دون تردد – وجلس على مقربة منه، ولما اقترب الموظف المسؤول عن جمع التذاكر

من الكلب أشار الأخير إلى تذكرة بلاستيكية علقت في رقبته، واكتفى الموظف بإلقاء نظرة سريعة عليها ليواصل سيره.

لم يصدق الجزار وباقي الركاب ما يرون. وعند اقتراب الحافلة من المحطة القريبة للوجهة التي كان يقصدها الكلب، توجه إلى المقعد المجاور لسائق الحافلة، وأشار إليه بذيله أن يتوقف. نزل الكلب بثقة، كما ينزل ركاب الحافلات، فانطلق نحو منزل قريب، حاول فتح الباب، لكنه وجده مقفلًا ، فاتجه نحو النافذة، وجعل يطرقها مرات عدة برأسه.

وفي أثناء ذلك، رأى الجزار رجلًا ضخمًا يفتح باب المنزل، صارخًا وشاتمًا في وجه الكلب المسكين، ولم يكتفِ بهذا، بل ركله بشدة، كأنما أراد تأديبه. لم يتمالك الجزار نفسه من شدة قسوة المشهد، فهرع إلى الرجل؛ ليمنعه، وقال: اتقِ الله يا رجل، في هذا المسكين، فهو كلب ذكي جدًّا، ولو أن وسائل الإعلام علمت به لتصدر جميع نشراتها الإخبارية. فأجاب الرجل بامتعاض شديد: هذا الكلب ليس ذكيًّا، بل هو عين الغباء، فهذه هي المرة الثانية في هذا الأسبوع التي ينسى فيها مفاتيح المنزل!!

المغزى: هناك من يعمل بجد واجتهاد وبأمانة، وهمه إسعاد غيره، لكنه مع الأسف لا يجد التقدير أبدًا، أو على الأقل كلمة شكر.

حلم تحقق

إبَّان الدولة الأموية في الأندلس كان هناك ثلاثة من الشباب يعملون حمّارين، إذ يحملون البضائع للناس من الأسواق إلى البيوت على الحمير، وفي ليلة من الليالي، وبعد يوم من العمل الشاق، تناولوا طعام العشاء، وجلس الثلاثة يتسامرون، فقال أحدهم واسمه «محمد: افترضا أني خليفة، فماذا تتمنيان؟

فقالا: يا محمد، إن هذا غير ممكن.

فقال: افترضا جدلاً أني خليفة.

فقال أحدهم: هذا محال، وقال الآخر: يا محمد، أنت تصلح حمّارًا، أما الخليفة فيختلف عنك كثيراً.

قال محمد: قلت لكما: افترضا جدلاً أني خليفة.

وهام محمد في أحلام اليقظة، وتخيل نفسه على عرش الخلافة، وقال لأحدهما: ماذا تتمنى أيها الرجل؟

فقال: أريد حدائق غنّاء.

وماذا بعد؟

قال الرجل: إسطبلاً من الخيل.

وماذا بعد؟

قال الرجل: أريد مئة جارية.

وماذا بعد أيها الرجل؟

قال: مئة ألف دينار ذهب.

ثم ماذا بعد؟

يكفي ذلك يا أمير المؤمنين.

كل ذلك، ومحمد بن أبي عامر يسبح في خياله الطموح، ويرى نفسه على عرش الخلافة، ويسمع نفسه، وهو يعطي العطاءات الكبيرة، ويشعر بمشاعر السعادة، وهو يعطي بعد أن كان يأخذ، وهو ينفق بعد أن كان يطلب، وهو يأمر بعد أن كان ينفذ، وبينما هو كذلك التفت إلى صاحبه الآخر، وقال: ماذا تريد أيها الرجل؟

فقال: يا محمد، إنما أنت حمّار، والحمار لا يصلح أن يكون خليفة!

فقال محمد: يا أخي: افترض جدلاً أنني الخليفة، ماذا تتمنى؟

فقال الرجل: أن تقع السماء على الأرض أيسر من وصولك إلى الخلافة، فقال محمد: دعني من هذا كله، ماذا تتمنى أيها الرجل؟

فقال الرجل: اسمع يا محمد، إذا أصبحت خليفة، فاجعلني على حمار، ووجِّه وجهي إلى الوراء، وأمر مناديًا يمشي معي في أزقة المدينة، وينادي: أيها الناس، أيها الناس، هذا دجال محتال من يمشي معه أو يحدثه أودعته السجن.

وانتهى الحوار، ونام الجميع، ومع بزوغ الفجر استيقظ محمد وصلى صلاة الفجر، وجلس يفكر. صحيح الذي يعمل حمَّارًا لن يصل إلى الخلافة، فكر محمد كثيرًا ما الخطوة الأولى للوصول إلى الهدف المنشود، فتوصل إلى قناعة رائعة جدًّا، وهي تحديد الخطوة الأولى، حيث قرر أنه يجب بيع الحمار، وفعلاً باع الحمار، وانطلق بكل إصرار وجد، يبحث عن الطريق الموصل إلى الهدف، وقرر أن يعمل في الشرطة بكل جد ونشاط.

بذل محمد الجهد الذي كان يبذله حين كان حمّارًا في عمله الجديد، فأعجب به الرؤساء والزملاء والناس، وترقى في عمله، حتى أصبح رئيساً لقسم الشرطة في الدولة الأموية في الأندلس.

ثم يموت الخليفة الأموي، ويتولى الخلافة بعده ابنه هشام المؤيد بالله، وعمره في ذلك الوقت عشر سنوات، هل يمكن لهذا الطفل الصغير أن يدير شؤون الدولة، فأجمعوا على أن يجعلوا عليه وصيًّا، ولكن خافوا أن يجعلوا عليه وصيًّا

مـن بني أميـة، فيأخذ الملك منه، فقـرروا أن يكون مجموعة من الأوصياء من غير بني أمية، فاختير لذلك محمد بن أبي عامر، وابن أبي غالب، والمصحفي.

وكان محمد بن أبي عامر مقربًا إلى صـبح أم الخليفة، واستطاع أن يمتلك ثقتها، ووشـى بالمصحفي عندها، فأزيل المصحفي من الوصاية، وزوج محمد ابنه بابنة ابن أبي غالب، ثم أصـبح بعد ذلك هو الوصي الوحيد، فاتخذ مجموعة من القرارات؛ فقرر أن الخليفـة لا يخرج إلا بإذنه، وقرر انتقال شـؤون الحكم إلى قصـره، وجيّش الجيوش وفتح الأمصار، واتسـعت دولة بنـي أمية في عهـده، وحقق من الانتصـارات مـا لم يحققه خلفـاء بني أميـة في الأندلس، حتـى إن بعض المؤرخين عـدّوا هذه الحقبة حقبة انقطاع في الدولة الأموية، وسـميت بالدولة العامرية. هكذا استطاع الحاجب المنصور بـن أبي عامر بتوكله على الله، واسـتغلاله القدرات الكامنة التي منحه الله إياها أن يحقق أهدافه.

القصـة لم تنتهِ بعـد، ففي يوم من الأيـام، وبعد ثلاثين سـنة مـن بيـع الحمـار، والحاجـب المنصـور يعتلـي عرش الخلافـة، وحوله الفقهاء والأمراء والعلماء، تذكر صـاحبيه الحمّارين، فأرسـل أحـد الجند، وقال لـه: اذهب إلى مكان كذا، فإذا وجدت رجلين صفتهما كذا وكذا، فأتني بهما.

ووصل الجندي، ووجد الرجلين بالصفة نفسها، وفي المكان نفسه، ومقرهما واحد، ومهاراتهما واحدة، بالعقلية نفسها.

قال الجندي: إن أمير المؤمنين يطلبكما.

فقالا: أمير المؤمنين! إننا لم نذنب. لم نفعل شيئاً، ما جرمنا؟

قال الجندي: أمرني أن آتي بكما. ووصلا، ثم دخلا إلى الخليفة.

قالا باستغراب: إنه صاحبنا محمد.

قال الحاجب المنصور: أعرفتماني؟

قالا: نعم، يا أمير المؤمنين، ولكن نخشى أنك لم تعرفنا.

قال: بل عرفتكما، ثم نظر إلى الحاشية، وقال: كنت أنا وهذان الرجلان سويًّا قبل ثلاثين سنة، وكنا نعمل حمّارين، وفي ليلة من الليالي جلسنا نتسامر، فقلت لهما: إذا كنت خليفة، فماذا تتمنيان؟ فتمنيا، ثم التفت إلى أحدهما، وقال: ماذا تمنيت يا فلان؟ قال الرجل: حدائق غنّاء.

فقال الخليفة: لك حديقة كذا وكذا.

وماذا بعد؟

قال الرجل: إسطبلًا من الخيل.

قال الخليفة: لك ذلك، وماذا بعد؟

قال: مئة جارية

قال الخليفة: لك مئة من الجواري، ثم ماذا؟

قال الرجل: مئة ألف دينار من الذهب.

قال: هو لك، وماذا بعد؟

قال الرجل: كفى يا أمير المؤمنين.

قال الحاجب المنصور: ولك راتب مقطوع - يعني من دون عمل - وتدخل عليّ بغير حجاب.

ثم التفت إلى الآخر، وقال له: ماذا تمنيت؟

قال الرجل: اعفني يا أمير المؤمنين.

قال: لا، والله حتى تخبرهم.

قال الرجل: الصحبة يا أمير المؤمنين.

قال: حتى تخبرهم.

فقال الرجل: قلت: إن أصبحت خليفة، فاجعلني على حمار، واجعل وجهي إلى الوراء، وأمر مناديًا ينادي في الناس: أيها الناس، هذا دجال محتال من يمشي معه أو يحدثه أودعته السجن.

قال الحاجب المنصور محمد بن أبي عامر: افعلوا به ما تمنى؛ حتى يعلم (أن الله على كل شيء قدير).

خاطـرة: هل تعلم مـا الحمار الـذي يجب أن نبيعـه جميعاً؟

هـو تلك القناعات التـي يحملها الكثير، مثل: لا أسـتطيع، لا أصـلح، أنا لا أنفع في شـيء، وأن نسـتبدل بها قولنا: أنا أستطيع بإذن الله:

إذا القوم قالوا من فتى خلت أنني

عـنيت فلم أكسـل ولم أتبـلد

هـل يمكن أن تحقق أحلامك، وأن تصـل إلى أهدافك؟ قل وبكل ثقة: نعم، إن شاء الله، وتذكر دائمًا:

(أن الله علـى كل شـيء قدير). وقـول الحبيب ﷺ عن ربه في الحديث القدسـي: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»(١).



(١) أخرجه البخاري (رقم ٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

الحكام وخدمهم

حكي أن بعض الملوك طلع يوماً إلى أعلى قصره يتفرج، فلاحت منه التفاتة، فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره، لم يرَ الراؤون أجمل منها، فالتفت إلى بعض جواريه، فقال لها: لمن هذه؟

فقالت: يا مولاي، هذه زوجة غلامك فيروز.

فنزل الملك، وقد خامره حبها، وشغف بها، فاستدعى غلامه فيروز، وقال له: يا فيروز.

قال: لبيك يا مولاي.

قال: خذ هذا الكتاب، وامضِ به إلى البلد الفلانية، وائتني بالجواب.

فأخذ فيروز الكتاب، وتوجه إلى منزله، فوضع الكتاب تحت رأسه، وجهز أمره، وبات ليلته، فلما أصبح ودّع أهله وسار؛ لينفذ أمر الملك، ولم يعلم بما قد دبره الملك، وأما الملك فإنه لما توجه فيروز قام مسرعاً، وتوجه متخفياً إلى دار فيروز، فقرع الباب قرعاً خفيفاً.

فقالت امرأة فيروز: من بالباب؟

قال: أنا الملك سيد زوجك.

ففتحت له، فدخل وجلس.

فقالت له: أرى مولانا اليوم عندنا!

فقال: زائر.

فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة، وما أظن فيها خيراً.

فقال لها: ويحك! إنني الملك سيد زوجك، وما أظنك عرفتني.

فقالت: بل، عرفتك يا مولاي، ولقد علمت أنك الملك، ولكن سبقتك الأوائل في قولهم:

سأتركُ ماءَكم منْ غيرِ وردٍ
وذاكَ لكثرةِ الوُرّادِ فيهِ

إذا سقطَ الذُّبابُ علَى طعامٍ
رفعتُ يدِي ونفسِي تَشْتهِيهِ

وتجتنِبُ الأسودُ ورودَ ماءٍ
إذا كانَ الكلابُ ولغْنَ فيهِ

ويرتجعُ الكريمُ خميصَ بَطنٍ
ولا يرضَى مساهمَةَ السَّفيهِ

وما أحسن يا مولاي، قول الشاعر:



قــلْ لــلــذِي شــفَّــه الــغــرامُ بــنــا
وصــاحــبُ الــغْــدْرِ غيــرُ مصــحُــوبِ
واللهِ لا قــالَ قــائِــلٌ أبــــداً
قــدْ أكــلَ الــلــيــثُ فضــلــةَ الــذيـــبِ

ثم قالت: أيها الملك، تأتي إلى موضع شرب كلبك تشرب منه.

قال: فاستحيا الملك من كلامها، وخرج وتركها، فنسي نعله في الدار، وهذا ما كان من الملك.

أما ما كان من فيروز، فإنه لما خرج، وسار تفقَّد الكتاب، فلم يجده، فتذكر أنه نسيه تحت فراشه، فرجع إلى داره، فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره، فوجد نعل الملك في الدار، فطاش عقله، وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة إلا لأمر يفعله، فسكت، ولم يبدِ كلاماً، وأخذ الكتاب، وسار إلى حاجة الملك، فقضاها، ثم عاد إليه، فأنعم عليه بمئة دينار، فمضى فيروز إلى السوق، واشترى ما يليق بالنساء، وهيأ هدية حسنة، وأتى إلى زوجته، فسلّم عليها، وقال لها: قومي إلى زيارة بيت أبيك.

قالت: وما ذاك؟

قال: إن الملك أنعم علينا، وأريد أن تُظهِري لأهلك ذلك.

قالت: حباً وكرامة.

ثم قامت من ساعتها، وتوجهت إلى بيت أبيها، ففرحوا بها، وبما جاءت به معها، فأقامت عند أهلها شهراً، فلم يذكرها

زوجها، ولا ألمَّ بها، فأتى إليه أخوها، وقال له: يا فيروز، إما أن تخبرنا بسبب غضبك، وإما أن تحاكمنا إلى الملك؟

فقال: إن شئتم الحكم، فافعلوا، فما تركت لها علي حقاً، فاطلبوه إلى الحكم، فأتى معهم، وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالساً إلى جانبه.

فقال أخو الصبية: أيَّد الله مولانا قاضي القضاة، إني أجَّرت هذا الغلام بستاناً سالم الحيطان ببئر ماء معين عامرة، وأشجار مثمرة، فأكل ثمره، وهدم حيطانه، وأخرب بئره، فالتفت القاضي إلى فيروز.

وقال له: ما تقول يا غلام؟

فقال فيروز: أيها القاضي، قد تسلمت هذا البستان، وسلمته إليه أحسن مما كان.

فقال القاضي: هل سلَّم إليك البستان كما كان؟

قال: نعم، ولكن أريد منه السبب لرده.

قال القاضي: ما قولك؟

قال: والله يا مولاي، ما رددت البستان كراهة فيه، وإنما جئت يوماً من الأيام، فوجدت فيه أثر الأسد، فخفت أن يغتالني، فحرَّمت دخول البستان؛ كرامة للأسد.

وكان الملك متكئاً، فاستوى جالساً، وقال: يا فيروز، ارجع إلى بستانك آمناً مطمئناً، فوالله إن الأسد دخل البستان، ولم

يؤثر فيه أثراً، ولا التمس منه ورقاً، ولا ثمراً ولا شيئاً، ولم يلبث فيــه غير لحظة يســيرة، وخرج من غير بأســ، ووالله ما رأيت مثل بستانك، ولا أشد احترازاً من حيطانه على شجره.

فرجع فيروز إلى داره، وردّ زوجته، ولم يعلم القاضي، ولا غيره بشيء من ذلك.

الحكمة:

إذا كـنـتَ فِــي حــاجــةٍ مــرســلاً
فــأرســلْ حــكــيــمــاً وَلَا تُــوصِــه

وإنْ بـــابُ أمـــرٍ عـــليـكَ الـتـوَى
فــشـــاورْ لـبـيـبــاً ولا تَـعـصِـه

وإنْ نـــاصــحٌ مــنــكَ يــومــاً دنَــا
فــلا تــنـــأَ عــنْــه ولا تُـقـصِـه

